الطريق إالى تحرر المرأة

البناء الفكري والسياسي و القانوني و التنموي

الباحث : مهند عبد الحميد

مساعد باحث : سمر الأغبر

مساعد باحث : محمد الأسمد



ROSA LUXEMBURG STIFTUNG
REGIONAL OFFICE PALESTINE

الطبعة الثانية: نيسان/ إبريل ٢٠١٤

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة

مركز: فؤاد نصار لدراسة التنمية

تلفاكس: 02 2963 593

ايميل: fnad@gmail.com

تصميم و إخراج فني : marcom Marketing Comunications & PR

ملاحظة:

البحث لا يعبر بالضرورة عن مؤسسة

روزا لوكسمبورغ

الطريق الى تحرر المرأة

البناء الفكري والسياسي والقانوني والتنموي من وجهة نظر يسارية

مهند عبد الحميد

مساعد باحث محمد الاسمر

مساعدة باحث سمر الاغبر

الأهداء

الى النساء اللواتي يبحثن عن حيز

المحتويات :

مدخل 9

الباب الاول : الفكر والوعي التحرري والتقدمي 13
الاساس المادي لتحرر المرأة 13
الفكر التحرري بين مد وجزر 17
بدايات الفكر التحرري الفلسطيني 19
تحولات رجعية وجمود فكري 21
السلطة تتماهى مع التحولات الرجعية 23
دور النظام العربي في إعاقة التحرر 24

الباب الثاني : الاسلام السياسي كمعوق للتحرر الاجتماعي 26
الموقف من الاسلام السياسي

الباب الثالث : مكانة المرأة في الفكر السائد 32
موقع المرأة في تجربة الاسلام السياسي 33
الحجاب رمز اللا تحرر 35
التماهي مع فكر الاسلام السياسي في قضية المرأة 37
العلاقة بين التمييز والعنف في الفكر السائد 40

الباب الرابع : الفكر النسوي 44
رائدات في الفكر النسوي 45
افتقاد حركات التحرر لفكر نسوي 46
ركائز الفكر النسوي التحرري في التراث 51
بصمات من عصر النهضة والحداثة المعاصرة 53
دور الادب في تحرر المرأة 56

الباب الخامس : التمييز ضد المرأة بالوقائع والارقام 63
المشاركة السياسية للنساء في المنظمة والاحزاب والسلطة 63
مشاركة النساء في سوق العمل 65
التقدم المضطرد للطالبات في مجال التعليم 68
دور المنهج في كبح التحرر 69
الصورة النمطية للمرأة في الاعلام 71
ظاهرة العنف ضد النساء 72

الباب السادس : دور السلاح القانوني في تحرر المرأة 76
التطور الذي طرأ على القانون الدولي بخصوص مساواة المرأة 77
قوانين وأنظمة وبرامج تنسجم مع تحرر المرأة 79
قوانين وأنظمة متناقضة مع تحرر المرأة 89
معوقات الالتزام بالقوانين وتطبيقه 93

الباب السابع : التنمية الاقتصادية والانسانية ودورها في تمكين النساء 94
التنمية المعاقة كبيئة غير مواتية 94
موقع رأس المال الفلسطيني من التنمية 98
التدخلات تكبح الاعتماد على الذات 104
اسس التنمية البديلة 107
نماذج مشجعة (قوة مثال) 102

الباب الثامن : الحركة التعاونية الفلسطينية 121
التعاونيات النسوية 123
الجمعيات التعاونية للتوفير والتسليف 124
العمل التطوعي 129

الباب التاسع : أفكار ومقترحات 135

مقدمة

مرة أخرى وبالتعاون مع مؤسسة روزا لوكسمبورغ، وانطلاقاً من إيماننا الراسخ بدور المرأة الاجتماعي والوطني في هذه الظروف التي يعيشها شعبنا الفلسطيني، وباعتبار الخلل الذي ألحقه سوق التمويل بتمكين المرأة وتعزيز دورها الحقيقي، فإننا في اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية، وبالتعاون مع جمعية فؤاد نصار لدراسات التنمية نقدم لنسائنا ومؤسساتنا وأحزابنا ولكل المهتمين والمؤمنين بأهمية تصحيح مسارات تمكين المرأة البحث الثاني الذي جاء بعد عام من بحثنا الأول، ليشكّل تطويراً له ومحاولة جادة لتقديم حلول عملية بناء على توصيات البحث الأول، آملين ممن يهمهم الأمر أن يتبنوا هذه الحلول ويعملوا على تطبيقها.

إن ثقتنا راسخة بأن اليسار الفلسطيني هو الحامل للهموم الاجتماعية والوطنية لفئات شعبنا المهمشة ومن بينها المرأة التي هي نصف المجتمع. وباعتبار اننا جزء أصيل من هذا اليسار، فأننا لن نألو جهدا في تقديم كل محاولة من شأنها ان تسهم في تصحيح الوعي الاجتماعي الذي تشوه بفعل المفاهيم الليبرالية التي بددت الجهد والمال، وأنتجت خللاً وإجحافاً في حق مفهوم تمكين المرأة يحتاج الى الكثير من الجهد الجاد والمخلص لوضعه على مساره السليم.

اننا ونحن نقدم هذه المحاولة لا يسعنا الا ان نشكر الباحث مهند عبد الحميد الذي عمل ليل نهار على إخراج هذا البحث الذي اعتمد المنهج التحليلي والموضوعية العلمية، كما نشكر مساعدي الباحث الرفيقة سمر الاغبر والرفيق محمد الاسمر. ونشكر كذلك مؤسسة روزا لوكسمبورغ، وشكر خاص للسيدة سلام حمدان.

محمود شقير
رئيس جمعية فؤاد نصار لدراسات التنمية

عفاف غطاشة
رئيسة اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية

التعريف:

دعم وإشراك المرأة مهمة تستهدف نصف المجتمع وتأتي في سياق مهام التحرر الاجتماعي والاقتصادي التي لا تنفصم عن التحرر الوطني من الاحتلال الكولونيالي الإسرائيلي. ان مهمة «التمكين»تبدأ بالفكر والوعي التحرري الذي يترك تأثيراته على مجمل العملية.

هدف البحث : امتلاك وعي فكري نظري وتعميق الانتماء لمنظومة قيم التحرر الاجتماعي، من خلال تفكيك عناصر الوعي المضاد. والبحث في سبل انتاج الموارد المالية داخل المجتمع، ومقومات الاعتماد على الذات، من خلال دمج النساء في بنى سياسية ووحدات تمتلك قدرة حقيقية على إنتاج الموارد المادية من داخل المجتمع، وذلك في سياق تعزيز ومعاظمة القوة السياسية الاجتماعية الثقافية الاقتصادية بوصفها الحامل الاجتماعي للتحرر. والخروج بتوصيات حول التمكين الفكري والاقتصادي والقانوي.

والتوقف عند إشكالية التحرر الاجتماعي والوطني في إطار تشكيلة اقتصادية اجتماعية مشوهة بفعل الكبح المتواصل والدائم الذي يفرضه احتلال كولونيالي إقصائي وعنصري، ومحاولة تقديم الجديد.

منهج البحث :

المنهج التحليلي التاريخي : هو التحليل الملموس للواقع الملموس، والذي يحدد الملامح والمظاهر العامة لانطفاء منظومة التحرر الاجتماعي في الواقع الفلسطيني. ويكتشف العناصر الجوهرية ومكوناتها من العناصر الفرعية التي تصب في خدمتها. ويحدد التناقضات فيما اذا كانت ثانوية او رئيسية ويحدد الاسباب، ونقاط القوة والضعف في متابعة تفاعل العوامل المختلفة في المسار التطوري للظاهرة، ومقاربة الحقيقة. وذلك عبر مراجعة نقدية لما سبق من تجارب. ان هذا المنهج يتطلب توخي الموضوعية والدقة في محاولة الاقتراب من الحقيقة التي عادة ما تنأى كلما دنا منها الباحث الموضوعي. كما ان هذا المنهج يرتكز الى النظرة العلمية لعناصر الظاهرة والى الخبرة المستمدة من تجارب ملموسة.

يعتمد المنهج التحليلي على المراجع الكتبية القديمة والحديثة، والدراسات والابحاث التي تتناول تجارب شبيهة للتجربة الفلسطينية. بل سيتم اعتماد الحوار وسماع الاراء والتقديرات لاناس شاركوا في التجربة او لديهم اراء مؤيدة او مخالفة، في سياق البحث عن المسكوت عنه.

مدخل

*** تقول الفكرة الماركسيّة : إن التاريخ الإنسانيّ كان، وما يزال، تاريخًا لصراع الطبقات، وبأنّ على الطبقة العاملة أن تحرّر ذاتَها وتحرّر المجتمعَ كلَّه معها في آن. ولكن : ما هو شكلُ الصراع الطبقيّ في مجتمعٍ تحتكره طبقة واحدة، أو تخترقه «أزمة عضويّة مغلقة وما حظّ الماركسيّة، وهي الشكل الأرقى للفلسفات البرجوازيّة، من النهوض في مجتمعاتٍ ما قبل رأسماليّة بالمعنى الإيديولوجيّ والسياسيّ؟ يتساءل د. فيصل دراج.[1]**

إن انهيار التجربة الروسية في بناء الاشتراكية والهجوم المضاد الذي تحدث عن انتصار الرأسمالية الليبرالية، ونهاية الصراع الطبقي، ونهاية التاريخ. كل هذا وما أفضى إليه من تخلخل الفكر المادي واختلاط المفاهيم وتداخل النزعات المثالية في بنيته ونكوص البعض عنه. إزاء ذلك يمكن القول، أن الشق الثاني الذي له علاقة بانتصار الرأسمالية ونهاية التاريخ أجابت عنه الأزمة الاقتصادية الحادة وبداية الانهيارات المالية للنظام الرأسمالي في العديد من البلدان وما استتبع ذلك من ركود اقتصادي، الازمة باعتبارها إحدى تجليات الرأسمالية المتوحشة، وضعت حدا لكذبة انتصار الراسمالية ونهاية التاريخ، وللمباديء الايديولوجية لليبرالية الجديدة باعتبارها الحل الشافي. أما الشق الاول والذي له علاقة بانهيار التجربة الاشتراكية وما طرحته من أسئلة حول الافكار، وكيفية ملاءمتها للتحولات، فما يزال قيد النقاش. ولا تجيب أزمة الرأسمالية السابقة والراهنة على تلك الاسئلة، ولا تبرر المراوحة عند المقولات التاريخية.علما ان اليسار التقليدي واصل الاختباء وراء أزمات الرأسمالية كمسوغ لوجوده، لكن ذلك أصبح باطل المفعول. علاقة الماركسيّة بالتحوّلات المتلاحقة في الواقع هي المحك، وقيمة النظرية ليس بتكرار المفاهيمَ الجاهزةَ عن الطبقات والصراع الطبقيّ بل بشرح أسباب ضمور الطبقات وتحولها في بعض البلدان الى جماهير أو التباسها. «الفلسفة الماركسيّة ليست ايديولوجيا منغلقة بل فلسفةٍ مفتوحة وخلاقة بآفاق التنوع، من الواحد الى المتعدد ومن اليقيني الى المحتمل ومن المطلق الى النسبي. ولا تختصر بلفظ « نظرية ثورية» كما لا يختصر مواكبة العلوم بلفظ «الفكر العلمي».[2] إن الاخفاق يطرح ضرورة الاعتراف بالأزمة في شكلها الراهن والتاريخي. ويستدعي نقد الاخطاء الماضية. فالاعتراف بالخطأ مقدّمةٌ لفكرٍ نقديٍّ مفتوح . ويستدعي تجاوز الهياكل التنظيميّةٍ القديمة وآلياتها البيروقراطية المعطلة للانفتاح على المجتمع. ويتطلب توليدُ حركةٍ شعبيّةٍ جديدة، انطلاقاً من الحاجات اليوميّة، ومن ضرورة إعادة بناء الهويّة اليسارية الجديدة. من اجل ان يكون لها تأثير مادي في الفعل السياسي

---

١ فيصل دراج / ماذا تبقى لليسار العربي / مجلة الآداب – بيروت ٢٠٠٩/١/٢٢

٢ فيصل دراج / مصدر سابق

وفي التحويل الاجتماعي. ويصير خطابُ الطبقة والطبقات في عملية التخليق الجديد ، خطاباً عن تكوّن المجتمع الحديث وتوليد الحداثة الاجتماعيّة. وعن التحرّر الإنسانيّ وانعتاقُ الإنسان.

التجربة الشيوعية السابقة انتجت هوية ايديولوجية عامة عناصرُها: العدالة الاجتماعيّة، والعلمانيّة ، والتحرّر الاجتماعيّ، ومناهضة الإمبرياليّة والصهيونيّة وقوى التخلّف العربيّة، وأنتجت منظومة قيم كفاحية وأخلاقية مهمة، وأنتجت رموز كفاح كبار بوزن فرج الله الحلو ويوسف سلمان (فهد) وحسين أحمد الرضي (سلام عادل) واحمد الهلالي وعبد الخالق محجوب وغيرهم. «المطروح إعادة تأسيس تلك العناصر اجتماعيّاً، بنقلها من حيّز الفكرة العمومية إلى واقع الفعل الاجتماعيّ. ووضعها في بنيةٍ فكريّةٍ متسقة ومؤهلة لبناء «هويّة اليسار الجديد، وشرعيته في الوقت الحاضر».[٣] ذلك ان التحرر الاجتماعي وإزالة الظلم والقهر والاستغلال بحاجة الى حامل اجتماعي وسياسي من داخل المجتمع. علما ان الحامل السياسي تبدى في صيغة تنظيمات اليسار لحظة صعودها، لكنها لم تتمكن من تخليق بنية اجتماعية تشكل رافعة للتغيير. وفي الزمن الراهن كَفَّتْ تنظيمات اليسار عن صفة الحامل السياسي طوعا، بدليل التباس هويتها اليسارية وتماهيها مع الفكر المضاد بشكل ملتبس ومزدوج.

غير ان اليسار ورغم وضعيته الملتبسة ما يزال بالمعنى الافتراضي هو الحامل السياسي للتحرر الاجتماعي. وحتى ينطبق عليه الدور، فإن عليه الجمع بين إعادة بناء الذات(تعديل البنية التنظيمية وتطوير البنية الفكرية)، وبين بناء القاعدة الاجتماعية، اي تجاوز خلل اليسار في مرحلة صعوده. ذلك هو التحدي الذي يواجه اليسار التقليدي غاب البديل الثوري.

من دون ذلك لا تكفي العناصر السابقة لاطلاق حركة يسار جديد. بسبب الاختلاف النوعي الهائل بين الزمن الذي أنتج التجربة السابقة والزمن الراهن المحكوم بالجماعات الخاضعة المتجانسة والطائفيات المسيسة وسلطة رجال الاعمال واستبداد الإعلام السمعيّ البصريّ؛ وبسبب الفرق بين الموروث الأخلاقيّ القيميّ السابق والتجدّد النظريّ السياسيّ والاجتهاد الفكريّ المطلوب.

جاء في أوراق ومداخلات مؤتمر اليسار : « اليسار يتفادى الاقتراب من القضايا الاشكالية من نوع «فصل الدين عن الدولة» و»استبدال الهوية الوطنية بهوية دينية»، ولا يدافع عن العلمانية التي تتعرض للتشهير» اليسار «يخفي هويته ويقدم هوية ملتبسة»، يتناغم مع أولوية التحرر الوطني ويرجيء التحرر الاجتماعي»، العدالة داخل الاحزاب اليسارية وبخاصة في التعامل مع العاملات والرفيقات بين متعذرة ومرتبكة»، غياب او إهمال الالتزام بالفكر والمنهج

٣ فيصل دراج مصدر سابق

الماركسيين[٤]. التقييم السابق الصادر عن كوادر يسارية بعضها في مواقع قيادية، يشير الى مشكلة مزدوجة. شقها الاول

التباس الهوية اليسارية بمختلف عناصرها المبينه أعلاه في صيغتها السابقة. وشقها الثاني ان اليسار لم يبادر الى التجدد النظري السياسي. وإذا كان الالتزام بالهوية السابقة بمختلف عناصرها لا يكفي لتجديد شرعية اليسار، فإن إدارة الظهر للتراث ولمتطلبات الحاضر معا يضع اليسار في مأزق كبير.

هل الاكتفاء بوجود نص في برنامج مركون على الرفوف يكفي للاحتفاظ بالهوية اليسارية القديمة التي لم يحالفها الحظ، وبخاصة بعد سقوط المركز. هل يكفي توثيق شعارات العدالة الاجتماعية والمساواة والحقوق والدولة العلمانية، والملكية العامة، والاشتراكية والديمقراطية، لبقاء الهوية اليسارية على قيد الحياة، ولتجديد شرعية التنظيمات اليسارية؟ إن هذا النص باستثناء (اشتراكية وملكية عامة) موجود ليس في ادبيات اليسار وحسب بل وفي ميثاق المنظمة والقانون الاساسي ووثيقة إعلان الاستقلال، بل ان الاسلام السياسي صار يطرح مسميات من العدالة والحرية والنهضة.

التصدي للاسئلة الاجتماعية التي تطرحها التحولات الرجعية وثقافة التعصب داخل المجتمع الفلسطيني، بات حاجة ملحة. يستدعى التدخل «الافتراضي» من قبل تنظيمات اليسار، للخوض في اسباب التحول وكشف الاذى والضرر الذي يلحقه بمصالح اكثرية المجتمع، ويستدعى تدخل اليسار، لتسليح المجتمع بوعي مضاد والشروع بالمقاومة عبر وضع خطط وبرامج. للاسف لم يحدث ذلك، وخلافا لحاجة الطبقات الشعبية لمثل هذا التدخل، كانت استجابة قوى اليسار عكسية وهي إبداء الحيادية تجاه تغلغل الفكر التعصبي الذي تفرض قواه المنظمة –بالترهيب والترغيب– اشكالاً من السلوك التي تحد من الحريات المدنية العامة والخاصة، وتستبدل الهوية الوطنية بالهوية الدينية والثقافة الديمقراطية التنويرية بثقافة الانغلاق من دون مقاومة او تدخل يذكر من أصحاب الفكر التقدمي. المشكلة إذا تطال الفكر، ولا تقتصر على التطبيق.

الهمود الفكري الذي يأخذ شكل افتقاد الاحزاب اليسارية القدرة على انتاج الفكر، وترك الاسئلة التي يطرحها الواقع من دون إجابة، والامتناع عن طرح الاسئلة الإشكالية. ومن مظاهر ضعف الفكر وهامشيته، إغفال المضمون الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للنضال وغياب العقيدة الاجتماعية التي تحتل قضية تحرر المرأة مركزها. والتطابق الى حد كبير مع سياسة النظام الابوي التي أرجأت النضال الاجتماعي الى ما بعد التحرر الوطني. الاختلال الثاني :

٤ مهند عبد الحميد / الفجوة بين الشعار والتطبيق / ورقة مقدمة لمؤتمر اليسار حول الموقف من قضية المرأة

ضعف الحامل الاجتماعي المتكون موضوعيا من الطبقات الشعبية ومجموع الكادحين باعتباره الرافعة المفترضة للتحرر والتحويل الاجتماعي. والعجز عن دمج الجماهير وبخاصة النساء في بنى قادرة على انتاج الموارد المادية من داخل المجتمع ضمن دورات انتاج متواصلة.

عندما نكون بصدد اختلال في المستوى الفكري يترافق مع غياب العقيدة الاجتماعية وضعف الحامل الاجتماعي، فإن هذا يعني الافتقار الى استراتيجية ثورية للتحرر، ويصبح كل حديث عن تحرر المرأة لا يعدو كونه شعارات فاقدة لمضمونها التحرري. وفي غياب عقيدة اجتماعية تضيع الحدود الفاصلة مع سياسة البيروقراطية الأبوية في حقول السياسة والاقتصاد والعمل الاجتماعي.

ويصبح كادر التنظيمات اليسارية عرضة للاستقطاب من قبل المنظمات غير الحكومية، وعرضة

لقبول أجندات وأولويات الدعم الخارجي. عندئذ يحدث نوع من الانفصام بين شعارات وأطروحات بلون يساري من جهة وممارسة غير يسارية من جهة أخرى. الاقوال شيء والافعال شيء آخر. غير أن أفدح تجليات المشكلة هو الاكتفاء باستعراض نقاط برنامجية ذات هوية يسارية لم تخضع للتطوير منذ زمن طويل، بمعزل عن خوض معارك ديمقراطية واجتماعية على أرض الواقع، وبتجزيء عملية تحرر المرأة لجهة التعامل مع المشاريع والانشطة والتمويل بمعزل عن السياسة والاهداف والمضمون التحرري.

وكنتيجة منطقية لأزمة الرأسمالية المتفاقمة بدأت عملية إعادة الاعتبار للفكر المادي وللماركسية الثورية المرتبطة بالتحويل الاجتماعي، ومن منظار الرؤية التاريخية للاحداث والبنى والعلاقات. واصبح التحدي المطروح على قوى اليسار الفلسطيني أن تستجيب وتكون جزءا من عملية استعادة الوعي والفكر التحرري التقدمي في حقلي النظرية والممارسة على حد سواء. والبحث في تجديده عبر عملية النقد التي تضع جانبا العناصر الشائخة وتتواءم مع الحداثة بمختلف جوانبها. وذلك بالاستناد لتراث اليسار الكفاحي، ولحاجة الشعب لعقد وطني اجتماعي ديمقراطي يشكل بديلا للفكر التعصبي الاقصائي ولعلاقات التبعية، ويكون فيه للعقيدة الاجتماعية والعدالة والتقدم الانساني الانساني دورٌ أساسي في مواجهة التحولات الرجعية. والاهم تقديم رؤية فكرية منفتحة على كل تقدم وتطور تجسد ذلك الوعي، وتسلح قوى التغيير والفئات المستهدفة بالفكر والمعرفة في سياق التنمية الانسانية الحقيقية.

تقول لوحة المعلومات أن نصف المجتمع الفلسطيني المكون من النساء يعاني من اضطهاد متوافق عليه ومن تمييز متواطأٌ معه. هذا الواقع الإضطهادي يُغَلَف أحيانا بشعارات ونصوص ومواقف ملتبسة لا تترك أثرا ايجابيا على المضطهدات سواء لجهة التغيير وإزالة أشكال التمييز، او لجهة التخفيف من أعبائه الثقيلة. ثمة حالة من التماهي الموضوعي مع الاضطهاد

والمضطهِدين من قبل الذين رفعوا من قبل مشاعل التحرر والحرية. وتلك مشكلة مستدامة تكونت واصبحت في عداد القضايا المسكوت عنها، والتي تحولت بمرور الوقت الى أحد العوائق الذاتية التي تكبح التحرر الاجتماعي وفي المركز منه تحرر المرأة.

مقولات وافكار عامة صحيحة تقول : إن تحرر المرأة وثيق الصلة بتحرر الرجل وبتحرر المجتمع، وأن التحرر الاجتماعي والاقتصادي وثيقا الصلة ايضا بالتحرر الوطني والاستقلال السياسي، وكل ذلك يبدأ بالتحرر الذهني، بالمعرفة وبالفكر الثوري الذي يضيء طريق التحرر.

كيف يمكن التعامل مع ضعف او غياب الحامل الاجتماعي المتكون موضوعيا من الطبقات الشعبية ومجموع الكادحين باعتباره الرافعة المفترضة للتحرر والتحويل الاجتماعي. كيف يمكن تجاوز

العجز عن دمج الجماهير وبخاصة النساء في بنى قادرة على انتاج الموارد المادية من داخل المجتمع ضمن دورات انتاج متواصلة.

الباب الأول

الأساس المادي لتحرر المرأة

الباب الاول : الفكر والوعي التحرري والتقدمي

أولا: الأساس المادي لتحرر المرأة

«يشكل انتاج وتجديد انتاج وسائل الحياة المباشرة العامل الحاسم في التاريخ»[٥]وحيث تصبح الحياة الاجتماعية والثقافية والايديولوجية والسياسية مشروطة بنمط الانتاج المادي المكون للبنية التحتية. فإن انتقال المجتمع الانساني من طور أدنى إلى طور أعلى يستند للتقدم في انتاج وسائل العيش، اي تطور القوى المنتجة الذي يواكبه تطور في العلاقات الاجتماعية المتلائمة مع ذلك التطور. «لقد تأسست العشيرة على حق الام، وارتبط ذلك بالاقتصاد البيتي المشاعي (ملكية مشتركة) الذي اقترن بسيادة النساء في البيت وبالاعتراف بالأم وحدها في إثبات أصل الاطفال وانتسابهم لها. لانه لم يكن ممكنا معرفة والد الطفل في مقابل معرفة أمه بدقة. كانت المرأة تزاول عملا مرهقا لكنها تتمتع بالحرية وتشغل وضعا اجتماعيا مرموقا في الازمنة البدائية»[٦]. ويلاحظ هنا ان سيادة المرأة اقترنت بالتوحيد الجماعي لنشاط الناس الانتاجي رجالا ونساء مع تميز نشاط النساء الاقتصادي كمصدر منتظم لمقومات الحياة. واقترنت بشبه ملكية مشتركة ذات طابع بدائي، وبتقسيم طبيعي للعمل بين الرجل والمرأة ضمن واجبات مشتركة. وتميزت تلك المرحلة بأنها لم تشهد اي شكل من اشكال الاستغلال والاضطهاد لا للرجل ولا لغيره. هذا النظام من المشاعة حَرَّمَ زواج الاقارب بين الاباء والابناء والاخوة والاخوات من ام واحدة، وقدم أول شكل منظم للعلاقات الجنسية هو الزواج الجماعي.

«في البدء كانت الانثى .. ما تزال جدران الكهوف والرقم الحجرية تؤرّخ لها. وما تزال رسوم سيدة براسمبوي في سنة ٣٦٠٠٠ قبل الميلاد حاضرة، كذلك رسوم فينوس دي سيروي الموجودة منذ ٢٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد. حينها كان المجتمع المتريركي (الأمومي) يسود الأرض. «[٧]

أدى تدجين الحيوانات وتربية القطعان الى خلق مصادر للثروة والى نشوء علاقات اجتماعية جديدة. «فعندما استطاع الرجل تحويل الحصان من حيوان للجر والسلم، إلى حيوان للحرب والعنف، وسخّر قوته الجسدية للتغلب على سلم الأنثى ، بدل أن يستخدمها في الزراعة والرعي والصيد. الأمر

الذي حوّل التجمعات النسائية المسالمة إلى مدن ذكورية مسوّرة، تخترع الحروب والغزوات

٥ انجلز /اصل العائلة ةالملكية ص ١٥٦
٦ مصدر سابق ص ٢٠٩
٧ روز ياسين حسن / الرجل والمرأة والتنازع التاريخي على السلطة / الحوار المتمدن ٢٠٠٧/٧/٧

كوسيلة للسيطرة والفاعلية[٨] منذ ذلك الوقت بدأت تتشكل الملكية الخاصة. وما ان اصبحت الثروات

ملكية خاصة للعائلات، حتى صار الزوج مالكا لمصدر الغذاء الجديد،(القطيع والعبيد) وأعطى تنامي الثروة الزوج مركزا اهم من مركز الزوجة، فتم إلغاء النسب تبعا للحق الأمي وكذلك ألغي حق الوراثة حسب خط الأم لمصلحة الرجل الأب»[٩].

إن إسقاط الحق الأمي كان هزيمة تاريخية للجنس النسائي، أخذ بموجبه الزوج دفة القيادة في البيت، وحرمت الزوجة من مركزها وأمست عبدة رغائب زوجها وأداة بسيطة لانتاج الاولاد، وتبدت سلطة الرجال في شكل العائلة «البطريركية» الأبوية، وتم الانتقال من الزواج الثنائي الى أحادية الزواج. ووضعت المرأة تحت سلطة زوجها المطلقة من أجل ضمان أمانتها وأبوة الاولاد، ذلك ان ثبوت الأبوة ضروري لامتلاك الاولاد أموال والدهم»[١٠].

لقد ارتكز اول شكل للعائلة على الشروط الاقتصادية (انتصار الملكية الخاصة على الملكية المشتركة البدائية. وبتكريس سيادة الرجل انتصر الزواج الاحادي الذي كان إحدى العلائم على بداية عصر الحضارة ، هذا الزواج الذي دشن الى جانب الثروة الخاصة والعبودية مرحلة ما زالت مستمرة كما يقول انجلز مرحلة يتحقق فيها ازدهار وتطور البعض بآلام البعض الاخر عبر القمع» كما أنشأ الزواج الاحادي للمرة الأولى المقدمة التي استطاع على أساسها ان يتحقق اعظم تقدم أخلاقي هو الحب الفردي العصري بوصفه عشقا، في بيئة الطبقات المظلومة وليس زواج الانتفاع القائم على وضع الزوجين الطبقي. كان أول تقسيم للعمل بين الرجل والمرأة، وأول اضطهاد طبقي يصادف استعباد جنس النساء من قبل جنس الرجال». انه التحول الذي ارتبط بالعائلة البطريركية وبضم العبيد وتعدد الزوجات»[١١]

بعد ان فقدت المرأة مركزها المرموق في المشاعة البدائية تحول دورها في مجتمعات العبودية والاقطاع والرأسمالية الى ملحق تابع للرجل الذي اصبح يملك الثروة ويسيطر على قوى الانتاج الاساسية في المجتمع. وقد كرست الديانات والتشريعات القديمة هيمنة الرجل.»ففي شريعة مانو في الهند لم يعترف بحق مستقل للمرأة. وفي شريعة حمورابي احتسبت المرأة في عداد الماشية. وكانت عند اليونان الاقدمين باستثناء اسبرطة مسلوبة الحرية والمكانة في الحقوق الشرعية. ولم تعترف القوانين الرومانية للمرأة بإرادة مستقلة – رغم ان الزوجة تمتعت بمزيد من الحرية الى درجة استطاعتها فسخ الزواج، وكانت النساء عند الجرمان يتمتعن بقدر كبير من

٨ روز مصدر سابق
٩ مصدر سابق ص ٢١٩ اصل العائلة
١٠ مصدر سابق ص ٢٢٠
١١ مصدر سابق ٢٣٢

الاحترام ويؤثرن تأثيرا كبيرا

في الشؤون العامة كما يقول إنجلز – . وفي العصور الوسطى اعتبرت المرأة ملكا للرجل وجزءا من الاقطاعة، واستخدم في هذا السياق «حزام العفة» كرمز من رموز الحط من شأن المرأة. ولم تكن زوجة القن أكثر من دابة ركوب مسحوقة تحت وطأة الاقطاع»[١٢].

عندما ظهرالتفاوت في الملكية أخذ العمل المأجور يتغلغل الى جانب عمل العبيد، وأخذ احتراف

البغاء من قبل النساء الحرات واكراه العبدات يتلازم مع العمل المأجور. وكان من شأن تعمق انقسام المجتمع الى طبقات منذ بداية عصر الحضارة نشوء تناقضات وأشكال من التناحرات عجز ذلك المجتمع على حلها.

وفي الطور الرأسمالي، انتزعت الصناعة الكبيرة المرأة من البيت وأرسلتها الى سوق العمل والمعمل وحولتها إلى معيلة للعائلة في كثير من الاحيان. وعرفت المرأة العاملة التي تحصل على أجر مستقل الطريق الى الانتاج الاجتماعي. وعندما انتقلت المرأة من نمط الانتاج العائلي والصناعات المنزلية الى العمل في المصانع الكبيرة وخارج البيت والاسرة، اصطدم ذلك بنمط العلاقات البطريركية – الابوية باعتبارها قيودا يجب التخلص منها. كان المجتمع الرأسمالي بحاجة الى جهود النساء في الانتاج الكبير، لكن العاملات الجديدات تعرضن الى استغلال مضاعف، من خلال أجور أقل من اجر العمال الذكور ومن خلال طبيعة الاعمال التي تناط بهن. وباتت المرأة تعاني من اضطهاد مزدوج، الأول اضطهاد الرجل والبنية العائلية القائمة على حماية الملكية الخاصة وتوارثها. والثاني اضطهاد صاحب العمل الرأسمالي. وهنا ثمة تناقض بين الانتاج الاجتماعي الذي وفرته الصناعة الكبيرة للمرأة العاملة الذي يحول دون قيامها بواجباتها الخاصة في خدمة العائلة من جهة، وإذا ما شاءت أن تشترك في العمل الاجتماعي وان تحصل على أجر مستقل عجزت عن أداء واجباتها العائلية من جهة أخرى»[١٣]

«إن تحرر المرأة ومساواتها في الحقوق مع الرجل امر غير ممكن ما دامت المرأة مقصاة عن العمل المنتج الاجتماعي ومضطرة للاكتفاء بالعمل البيتي الخاص. ولن يصبح تحرر المرأة امرا ممكنا إلا متى استطاعت ان تشارك على نطاق اجتماعي كبير في الانتاج ومتى اصبح العمل المنزلي لا يأخذ من وقتها إلا قدرا ضئيلا، ومتى اصبح جزءا لا يتجزأ من الانتاج الاجتماعي»[١٤].

تحدث لينين عن عائقين امام تحرر المرأة : الاقتصاد الفلاحي الصغير والمتوسط الذي استعبد الفلاحة وربطها بالاستثمارة الفردية وضيق افقها وجعلها عبدة لزوجها. ان استثمار عمل النساء

١٢ غازي الخليلي / المرأة الفلسطينية والثورة / ١٩٧٧ بيروت ص ٣٤
١٣ الخليلي مصدر سابق ص ٣٨
١٤ اصل العائلة ص ٣٥٧ ص ٣٥٨

يبلغ في الانتاج الصغير مقاييس كبيرة، لذا فإن التحرر يبدأ بالانتقال من الاستثمارات الصغيرة الى الاستثمار المشترك». العائق الثاني : الاعمال المنزلية الصغيرة التي تثقل كاهل المرأة وتخنقها وتذلها وتبدد جهودها في عمل غير منتج – لا يدخل في نطاق التعامل الاقتصادي –. وأضاف، إن تحرر المرأة يبدأ بالنضال ضد الاقتصاد المنزلي الصغير والبدء بتحويله الى اقتصاد اشتراكي كبير ودخول المرأة الى الحياة العامة [١٥]». لأن الاقتصاد البيتي ليس له طابع اجتماعي، ولم يعد له علاقة بالمجتمع، بعد ان تحول الى خدمة خاصة مناطة بالمرأة الخادمة المقصاة عن الانتاج الاجتماعي.

«حيث توجد الرأسمالية، وتدوم الملكية الخاصة للارض والمصانع، وتدوم سلطة الرأسمال، تبقى

الامتيازات ويستمر الفقر والعبودية ويستمر الاضطهاد المزدوج للمرأة .إن تحويل القسم الاعظم من

الثروات الدائمة التي يمكن توريثها الى ملكية عامة اجتماعية، وتحويل وسائل الانتاج الى ملكية عامة اجتماعية يصبح الاقتصاد البيتي الخاص فرعا من فروع النشاط الاجتماعي، الامر الذي يفضي الى تحرر المرأة والرجل والمجتمع على حد سواء، كذلك فان الحرية التامة في الزواج لا تتحقق بصورة تامة إلا بعد الغاء الانتاج الرأسمالي وعلاقات الملكية.

كيف جرى التعامل مع الماركسية الثورية المرتبطة بالتحويل الاجتماعي (نظرية ماركس الاجتماعية الاقتصادية) ؟ «الماركسية السوفيتية كانت نتاجا لحركة التناقضات الطبقية واصطدام مصالح المجموعات الاجتماعية او تحالف بعضها في مواجهة البعض الآخر»[١٦]. هل الستالينية الديكتاتورية وما فرضته من اقتصاد الاوامر الادارية واشتراكية الثكنات العسكرية هي سبب الركود والازمة والانفجار؟ رغم فداحة مسؤوليته يقول الناقد ابراهيم فتحي ان ستالين كان نتاجا لحركة التناقضات الاجتماعية وعلاقات القوى بين الطبقات التقليدية وبين الشرائح والفئات والمجموعات التي تولدت بعد الثورة. فلا بد من إقامة تمييز قاطع بين النظرية وبين الممارسة التي اتخذت طابع المؤسسة والتي تقمع الطبقة العاملة قمعا ايديولوجيا ونظريا ايضا بل لا بد من إقامة درجة ما من التمييز بين اي نظرية وبين ممارستها»فقدرة الممارسة على ان تكون المعيار الحاسم قدرة نسبية لان الممارسة تتغير وأشكالها الاكثر تطورا تنفي نفيا جدليا الاشكال السابقة البالية من النشاط العملي في الانتاج والحياة الاجتماعية السياسية والعلم»[١٧]. وهذا يعني إعطاء النظرية استقلالها النسبي ورفض المطابقة بينها وبين الممارسة.والنظر الى مسار التطور

١٥ لينين وقضية تحرر المرأة ص ٦٧

١٦ ابراهيم فتحي / الماركسية وأزمة المنهج ص ١٦ دار الحضارة الجديدة الطبعة الاولى ١٩٩٢

١٧ ابرهيم فتحي مصدر سابق ص ١٧ ، ١٨

الاجتماعي على النطاق العالمي.

ترى (مدرسة فرانكفورت) ان مرحلة الستالينية اوصلت الماركسية الى أعلى درجات انغلاقها. وكانت الاحزاب الستالينية تؤمن بنمط من الماركسية المناقضة في جوهرها لجدلية الفكر الماركسي وحركيته المتجددة في نقض وتثوير الواقع حيث تتحول الماركسية الى فكر بيروقراطي يبرر وجود المؤسسات ومن ضمنها الاحزاب الستالينية وإغلاق دينامية الماركسية عبر تحويلها الى ميكانيكية ذات حركة متكررة ومحددة». وقد اصاب الجمود والانغلاق الفكريين الاحزاب التي تعاملت مع منظومة افكار داخلية وآمنت بها ايمانا مطلقا غير قابل للنقاش، او الاستبدال باعتبارها الحقيقة المطلقة النهائية التي لا تحمل نقيضها. وذلك فيما يشبه ايديولوجيا كُلِيّانِية تفرض هيمنة كليانية على الفرد والجماعة» وتحيلهما الى اغتراب يشل اي انبثاق لمواقف نقدية»[١٨].

افترض غرامشي استنادا لتحليل ماركس الكلاسيكي للتطور الرأسمالي انه كان على روسيا المتخلفة ان تمر بتطور تدريجي الى الرأسمالية العالية التطور قبل ان توضع الثورة الاشتراكية على بساط البحث[١٩]»

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط التجربة الاشتراكية –التي اعتبرها االعديد من الناقدين وبعض المراجعات انها لم تكن اشتراكية – ظهرت أقوال تتحدث عن انتصار الراسمالية ونظامها الليبرالي وموت الشيوعية وفكرها الماركسي ونهاية الصراع الطبقي والتاريخ، وجرى التعامل مع النمو الحر للفرد باعتباره قيمة نهائية. خلافا لذلك تفاقمت تناقضات الرأسمالية وانعكس ذلك على مجتمعات تلك البلدان من خلال تراجع الضمان والتأمين الاجتماعي وارتفاع وتيرة البطالة بمعدلات متسارعة وبروز العنصرية اكثر من اي وقت مضى وتهديد البيئة وصعود المحافظين الجدد في الولايات المتحدة واليمين المحافظ الذين قدموا العسكرة ونشر القواعد العسكرية الى المقدمة واشعلوا الحروب. لقد اقترنت أزمة الرأسمالية الجديدة بالتطور الوحشي والمتناقض لنمط الانتاج الرأسمالي، الذي اعتمد الحرب التي ستأتي بالربح وتفتح اسواقاً جديدة وعقوداً جديدة ومؤسسات جديدة عدا عن وضع اليد على النفط كسلعة استراتيجية والتحكم بأسعاره وخطوط امداده. لقد اخذت تجليات الازمة بانهيارات في سلسلة النظام الرأسمالي رافقها تحركات احتجاجية في اكثر من ٢٢ بلداً رأسمالياً وفي مقدمتها حركة « احتلوا وول ستريت» الاميركية. إن التطور الوحشي لنمط الانتاج الراسمالي ولَّد قوى اجتماعية جديدة مقاومة ومتحدية للجشع الرأسمالي. في هذا السياق بدأ يعاد الاعتبار للماركسية التي شخصت النظام الرأسمالي وكشفت تناقضاته ووضعت الاساس الفكري لتغييره والانتقال الى نظام جديد غير قائم على الاستغلال. « « أستؤنف البحث عن ماركس في مجالي

١٨ علاء طاهر / مدرسة فرانكفورت : من هوركهايمر الى هابرماز ص ٢٣/ منشورات مركزالانماء القومي- بيروت
١٩ غرامشي / ثورة اكتوبر ضد كتاب رأس المال / ابراهيم فتحي ص ١٠ مصدر سابق

الفلسفة والعلوم الاجتماعية من أجل خلق أشكال جديدة للحياة والتفكير متحررة من الجشع الرأسمالي. ماركس لا يزال يشكل تحديا للعصر، فالفعالية الاجتماعية لفكره تتواصل وتكتسب اهمية متعاظمة. [٢٠].

ثانيا : الفكر التحرري بين مد وجزر

تأثرت الاحزاب اليسارية العربية بأزمة المركز الفكري والنظري في موسكو، وبذوبان او التحاق المنظومة الاشتراكية بالنظام الرأسمالي. كانت الأحزاب اليسارية واليسار الفلسطيني جزءا مهما من مكونات التحرر الوطني، ولكن هل كانت جزءا من انتاج الفكر التحرري؟

اذا توقفنا عند مدارس التنوير العربية، او «النزوعات النهضوية الحداثية» في المجتمعات العربية التي انجزتها جهود فردية وجماعية. سنجد اسماء : الطهطاوي، محمد عبده، الافغاني، عبد الله النديم، فرح انطون، قاسم امين، سلامة موسى علي عبد الرازق، طه حسين، احمد امين، خير الدين التونسي، ابن باديس، ومن فلسطين خليل السكاكيني، وروحي الخالدي. «هؤلاء التقوا جميعا عند فكرة التقدم من حيث هو غاية اجتماعية وسياسية ونص فكري مفتوح.

سؤال تحرير المرأة الذي طرحه قاسم امين، والفصل بين العلم والدين الذي عالجه طه حسين، وإصلاح ديني يتلائم مع التحولات الاجتماعية اقترب منه محمد عبده، والدولة العلمانية التي طرحها فرح انطون، وإعادة قراءة التاريخ العربي الاسلامي بشكل نقدي بعيدا عن الاساطير هو ما حاوله احمد امين»[٢١].

حاول الفكر التنويري محاكاة العلوم والفلسفة والتقدم الصناعي ونمط الحياة الاوروبي، والمصالحة بين العلم والدين، وتقديم تصور عقلاني للعالم. كان هذا الفكر يستولد سؤالا من سؤال سابق، يربط تحرر المجتمع بتحرر المرأة وتحرر المرأة بحقها في العمل والتعليم وهو ما ذهب اليه الطهطاوي. مقابل ذلك كان الفكر الديني يبشر بأفكار قروسطية تأمر العقل والمعارف على الخضوع الى المعارف الدينية ملغيا معنى الانسان ومكفرة العقل المتسائل. ومحولة الفكر الديني الى «علم اجتماع التكفير» الذي واجه ولا يزال كل جديد فكري بتهمة التكفير، فقد كُفِرَ على عبد الرازق وطه حسين وجعل من نجيب محفوظ مرتدا جديرا بالقتل ورأى «ابن باز»في كل الكتابات الفلسفية والشعرية والروائية والمسرحية والفنية كفرا خالصا من دسائس اعداء المسلمين «[٢٢] .

الفكر التنويري كان المحاولة الفكرية التجديدية الاكثر خصبا كما يقول الناقد فيصل دراج،

٢٠ د. علي سالم / مشاهد معاصرة في الماركسية / دار الفارابي طبعة أولى 2006
٢١ فيصل دراج / الحداثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس / مؤسسة مواطن ٢٠٠٥ ص ٩
٢٢ فيصل دراج / مصدر سابق ص ١١

لانه كان فكرا حرا متعدد الاجتهاد والنزوعات منفتحا على الانا والاخر يقبل النقد والحوار وتبادل الافكار والتسامح واحترام الاختلاف. وكان الاسهام المميز فيه لطه حسين الذي حاول ان يشتق أسئلته من حاجات المجتمع الفعلية والملموسة. وارتكزت رؤيته في الحداثة على «اختفاء الواحد وظهور المتعدد وفي بروز الفعل الجماعي كمحصلة لارادات فردية متحررة ومزدهرة. رأى طه حسين ان المطلوب خروج الاستعمار وخروج التخلف الاجتماعي الذي جعل الاستعمار ممكنا. وركز على التعليم وإصلاح العملية التعليمية باعتبارها الأساس الذي ينهض فوقه البناء الاجتماعي كله، ووحد بين سؤال الحرية وسؤال البحث العلمي. وتشكل الديمقراطية في منظور طه حسين الشرط اللازم لبناء المجتمع الحديث. وبناء عليه نقد مجتمع النص قبل النص وصارع عقلية جاهلية تحتفي بالثبات وواجه التراث بمنهج نقدي. حلم طه حسين بمشروع ثقافي سياسي يعيد تأسيس معنى الجماعة والاجماع، ورأى دور المثقف في انتاج مشروع ثقافي سياسي يرمي الى بناء مجتمع جديد[٢٣].

لكن مشروع طه حسين ظل قائما على الارادة الفردية، فهو لم يكن معبرا عن طبقة قادرة على حمل مشروعه، ولم يكن منتميا الى حزب سياسي يقبل مشروعه. إن مأساة طه حسين تتلخص في غياب المرجع الاجتماعي الذي يتوجه اليه. شأنه في ذلك شأن النزوعات النهضوية الفردية والجماعية التي لم تستطع ان تغير من بنية المجتمعات العربية ولم تتمكن من تثويرها[٢٤]. نزوعات جوبهت بمقاومة شديدة من أصحاب الفكر الديني التقليدي. وأدت الى استعادة الايديولوجيات الماضوية مواقعها بعد هزيمة ١٩٦٧ وتمكنت من تهميش التنوير تهميشا مروعا بلغت ذروته اليوم. ما حدث لعلي عبد الرازق وطه حسين ونجيب محفوظ ونصر حامد ابو زيد وفرج فوده هو امتداد لمحاكمة ابن رشد بتهمة المروق عن الدين ووصف فلسفته بأنها ضالة واتهام كل من يتعامل معها بالزندقة، لكن السبب الحقيقي لمحاكمة ابن رشد ونفيه وحرق كتبه كان بسبب اضطلاعه بفضح التسلط السياسي والاضطهاد الاجتماعي، وبسبب انحياز فلسفته للعقل والبرهان وتشكيكه في كل ما يتناقض مع ذلك.

العلمانية والحداثة والتنوير تتقاطع مع الفكر الماركسي وقد اقترب بعض التنويريين من الماركسية كفرح انطون واتهم بعضهم بالماركسية من قبل خصومهم. غير ان التجارب الماركسية في فترة ثلاثينات الى سبعينات القرن العشرين لم تستقو بهؤلاء أو لم تتحالف معهم. على العكس من ذلك هناك اتهام للايديولوجية الماركسية كما للايديولوجية القومية بإغلاق النص الفكري الذي فتحه التنويريون في الواقع[٢٥]. مع ملاحظة ان النقد يقتصر على الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين. ولكن لا يمكن إغفال الدور المميز لمفكرين

٢٣ فيصل دراج مصدر سابق ص ٦٢- ٦٤
٢٤ فيصل دراج مصدر سابق ص ٢٣٣
٢٥ فيصل دراج / مصدر سابق ص ٨

يساريين تركوا بصماتهم على الفكر السياسي وفي الفلسفة والتراث وفي نقد الفكر الديني التعصبي والرجعي في فترة الستينات والسبعينات والثمانينات وكانت ابرز الاسهامات النظرية :»النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية»للمفكر اللبناني حسين مروة الذي ضم اربعة مجلدات اهتمت بدراسة مرحلتي الجاهلية وصدر الإسلام. والنزوعات المادية لدى المعتزلة– الأشعرية–المنطق و تبلور فلسفة–التصوف– ابن عربي والسهروردي، ورسائل إخوان الصفا، وقدم مروة نبذة عن تطور العلوم عند العرب، «النزعات المادية في فلسفة الكندي–الفارابي– ابن سينا. وكتابات المفكر العراقي هادي العلوي حول التراث الفكري في الاسلام، وكتابات المفكر سمير امين في الفكر والاقتصاد والتنمية، واسهامات المفكر السوري جورج طرابيشي في نقد "نقد العقل العربي وكذلك إسهامات كل من صادق جلال العظم والطيب تيزيني في الفلسفة، ومحمود أمين العالم في النقد الأدبي.

ثالثا : بدايات الفكر التحرري الفلسطيني

هدم المشروع الصهيوني الكولونيالي التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية للشعب الفلسطيني، ولم يتح له بعد النكبة ان ينتسب الى سياسة ثقافية واحدة بفعل توزعه على اكثر من شرط وبيئة واتجاه. النضال التحرري شد الشعب الى أفق موحد وبدأ يولد ثقافة وطنية وهوية وانتماء. بدأت الهوية الفلسطينية تتشكل في مواجهة هوية إسرائيلية تسعى الى طمسها. وكان من مكوناتها الذاكرة التي احتفظت بتجربة الاقتلاع وحولتها الى قوة معنوية مقاومة. وإرادة تحرر تجعل الحاضر غير المحتمل محتملا. وفعل تحرري بمعايير كونية (العدل والتحرر والديمقراطية). وصورة الفلسطيني عند الاخر التي هي : (انكار وشيطنة وارهاب وصولا الى ان هذا الشعب يعد فائضا عن الحاجة، هذا النفي يحفز حضور الفلسطيني بصورة الانسان الذي يناضل من اجل حريته. لقد استوجب النضال الوطني جمعا بين المقاومة السياسية والمسلحة من جهة والكفاح الفكري الذي لا ينطلق من بداهة الحق بل من مساءلة المشروع الكولونيالي الاستيطاني وإظهار وجوه التهافت فيه، وتقويضه فكريا وفرضالتراجعات عليه وصولا الى فرض اعترافه بالحقوق الفلسطينية المشروعة من الجهة الاخرى.

رموز الفكر التحرري : «روحي الخالدي كان نموذجا للمثقف الوطني النقدي، اعتمد مبدأ السببية التاريخية ودور الانسان في تكون الظاهرة الاجتماعية (العقل والارادة). فسر تخلف المجتمعالفلسطيني بالسيطرة العثمانية وانطلق من ان الوضع الفلسطيني قابل للتغيير والاصلاح. ودعا الى مقاومة المحتل ومقاومة التخلف الذاتي في آن. راى الخالدي ان قوة التجمعات اليهودية التي لم تشكل مجتمعا نابعة من قوة المشروع السياسي الذي يقودها. وجاء ضعف المجتمع الفلسطيني من ضعف الحركة السياسية في فلسطين[٢٦]». الاساسي في خطاب

٢٦ فيصل دراج / كتاب الهوية الثقافة السياسة – قراءة في الحالة الفلسطينية / أزمنة للنشر والتوزيع طبعة اولى ٢٠١٠ ص ٨٢ -٨٥

الخالدي هو معرفة الأنا على ضوء معرفة الآخر. وأن الوعي يستيقظ حين يفكر الانسان نظريا وعمليا بالاسباب المادية التي قادت الى ضعفه، اي معرفة الموجود واقتراح البديل. وفي غياب التصور العقلاني الذي يحدد الهدف والوسيلة والممكن يصبح الفداء والشجاعة عقيمة كما يقول. «بنى الخالدي خطابه على التجدد الاجتماعي او الحداثة الاجتماعية التي تنصب العقل قاضيا عادلا بعيدا عن العواطف والعادات وطرح سؤال : كيف تجعل المجتمع الذي يرهقه تخلفه مجتمعا قادرا على المقاومة[٢٧]؟ ألف كتاب الصهيونية، وكتاب تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو. الذي طرح فيه عولمة الافكار مثل الحرية والعدالة والمساواة التي تصلح لجميع المجتمعات الانسانية.

خليل السكاكيني : الناقد والمربي الذي يذيب الانتماء الديني والمذهبي في الهوية الوطنية التي تجسد الفلسطيني. وقد تمرد على الكنيسة الارثوذكسية حين رأى انها خاضعة للاكليروس اليوناني

وانحاز الى أولوية الوطن نابذا التناحر الطائفي الذي يصرف الناس عنه. نقد الطائفية، والعصبية العشائرية والعائلية، والتمييز بين المدينيين والفلاحين، ونقد الحياة السياسية المريضة التي تضع مصلحة العائلة فوق مصلحة الوطن. وقدم سياسة تربوية تصنع شخصية حرة مستقلة مليئة بالامكانات (الانسان الجديد).وسعى الى مدرسة تعلم التلاميذ معنى الحرية[٢٨].

نجيب نصار : اسس جريدة الكرمل ١٩٠٨ – ١٩٣٩، «بنى سياسته الثقافية على ركيزتين: الأولى، إلقاء الضوء على مصادر الخطر الذي يهدد فلسطين. والثانية، اقتراح السبل اللازمة للتصدي للخطر. رأى نصار ان الخطر لا يأتي من الصهيونية وحدها بل من جملة من الظواهر الفلسطينية المريضة مثل، المتزعمون الذين يتاجرون بالقضية « بلفورات فلسطين»، وميوعة المتعلمين، والعادات الموروثة التي تشجع على الكسل وتبديد الوقت، وتجار الارض. اما الرد الوطني فيكون بتربية جديدة تقنع الشباب بقيمة العمل والزمن، وبإيلاء أهمية للجانب الاقتصادي، حيث ان تطور المجتمع يأتي من تطور اقتصاده. والاقتصاد المتطور ينتج بشرا أصحاب قيم و أخلاق متقدمة، وفي المحصلة دعا نصار الى إعادة بناء الانسان والارض والمجتمع والوطن «[٢٩].

ويصل الناقد فيصل دراج الى نتيجة مفادها ، أن افكار هؤلاء بقيت حبرا على ورق. بسبب غلبة ثقافة الوجهاء على ثقافة المثقف النقدي. ويمكن إضافة الاسباب ذاتها التي لم تمكن التنويريين المصريين من النجاح وهي غياب الحامل الاجتماعي والحزب السياسي والمؤسسة

٢٧ فيصل / الهوية مصدر سابق ص ١٠٤
٢٨ فيصل دراج / الهوية مصدر سابق ص ٨٨- ٩١
٢٩ فيصل دراج / الهوية /مصدر سابق ص ٩٣-٩٤

التي تجعل الفكر قابلا للتطبيق. ويتابع فيصل دراج في عرض رموز اخرى.

جبرا ابراهيم جبرا الذي قدم مشروعا وطنيا عنوانه الثورة الثقافية التي تجعل من الانسان طاقة متحررة. دعا جبرا الى التسلح بالمعرفة الحديثة وبالانفتاح على المعرفة والثقافة العالمية. وبرفض العقل المستبد الذي يعتقد انه يملك الحقيقة وهو لا يحتاج الى البحث والحوار والمساءلة. وبين جبرا ان الوعي القومي لا وجود له من دون مجتمع مدني حديث يؤمن بالمعرفة والحوار والقيم الثقافية وكل ما ينتج ذاتا انسانية قادرة على المبادرة والرفض والاختيار.

وكوكبة أخرى من المبدعين كغسان كنفاني الذي قدم وعيا نقديا وبخاصة «رجال في الشمس» وسميرة عزام التي عارضت بؤس اللجوء بجمالية الوطن المفقود واحسان عباس الناقد عالي الصوت وأنيس صايغ المؤرخ الهام وناجي العلي الناقد بفن الكاريكاتير وإميل توما الذي اهتمّ بالتأريخ للقضية الفلسطينية وإميل حبيبي ومحمود درويش وتوفيق زياد وسميح القاسم الذين اكملوا المشهد بشعرهم وأدبهم. وصاغوا الهوية الوطنية بما هي انتساب الى الوطن وكان من نتيجة ذلك تهميش الهويات الثانوية كالعشيرة والعائلة والطائفة والجهة. اصبح الفلسطيني يتعرف بهويته الوطنية ومن خلال حركة تحرر وطني جعلت من الوطن عنوانا وهوية شأنها في ذلك شأن جميع حركات التحرر في العالم.

رابعا : تحولات رجعية وهمود فكري

النضال التحرري دمج الهويات الثانوية في هوية وطنية واحدة، تنطلق من المصلحة الوطنية العليا، وتلتزم التعدد السياسي والثقافي والديني وبحق الاختلاف، وتسعى الى التحول الى مجتمع مدني، وتنفتح على الهويات الاخرى وعلى انجازات الحضارة الانسانية وتجارب الشعوب الملهمة وتتعلم منها. لا يستطيع ان ينجز التحرر الوطني والاجتماعي إلا إنسان متحرر من العوائق الداخلية التي تكبح مشروعه التحرري، وإلا بتحويل القضية الى قضية كونية عادلة تعزز قدرات الشعب الفلسطيني وتمكنه من التحرر.

التحول الرجعي الذي حدث هو تراجع الهوية الوطنية الجامعة بمضمونها التقدمي المدني لمصلحة هويات ثانوية طائفية وعشائرية وعائلية وجهوية ولمصلحة عادات وتقاليد التخلف المتوارثة.

بدأ التراجع على خلفية بدايات صعود الاسلام السياسي ونتائج حرب ٨٢ التي شطبت لبنان كمركز سياسي وعسكري للثورة الفلسطينية، والحصار المالي والسياسي الذي تعرضت له منظمة التحرير في أعقاب حرب الخليج. كانت بذور التحولات الرجعية موجودة داخل المجتمع الفلسطيني وكانت تنمو على وقع ضغوط وتدخلات سلطة الاحتلال، غير ان التحول

الملموس ظهر للعيان في السنتين الاخيرتين من الانتفاضة الشعبية الاولى ١٩٨٧ – ١٩٩٢. «بدأ فرض قيم تقليدية ودينية في إطار إعادة صياغة النظام الاجتماعي، ففي غزة منع المقاومون العائلات من التوجه الى شاطيء البحر للسباحة، وتبنى الجميع نمط حياة متقشف إما طوعا أو بالإكراه، وفرضت قيم ومعايير متزمتة على سكان الاراضي المحتلة حددت سمات جيل كامل، وكل ذلك باسم الانتفاضة ومقاومة الاحتلال، وكان خرق هذه القواعد الاخلاقية التقليدية او الدينية يعادل الخيانة الوطنية»[٣٠]. النساء كن الهدف المفضل في هذا النظام الاخلاقي ، فقد دفعت النساء لارتداء الحجاب في قطاع غزة. وتدريجيا كان الضغط في الاحياء الشعبية يحمل عامة النساء على تغطية رؤوسهن، وبسرعة خضعت نساء الطبقات المتوسطة والبرجوازية لايعاز الشباب المهدد وخضعن لصيرورة أسلمة العادات المعمول بها. منذ ذلك الوقت أصبحت المرأة حاسرة الرأس تعرض نفسها للشتم والرشق بالحجارة وأصبحت وسائل الضغط بالقوة تقنع الممتنعات من احترام القانون الذي سنه مسلحون[٣١]». وواقع الحال ما يحدث هو تطبيق لاستراتيجية الاسلام السياسي التي غلبت السيطرة على المجتمع على النضال ضد الاحتلال طوال عشرين عاما من الاحتلال،ولكنها وجدت فرصة التطبيق من خلال الانتفاضة والمقاومة التي بدأ الاسلام السياسي يشارك فيهما بعد طول امتناع ومهادنة. وبدعوى الرغبة في «تكوين مجتمع سليم» من خلال نظام أخلاقي صارم «، وبدعوى ان المخلين بالنظام الاخلاقي يكون من السهل على الاحتلال استغلالهم» وبهدف تركيز «كل الطاقات في عملية النضال».

بدعوى كل هذا جرى تحويل طاقة المجتمع التي انفجرت ضد الاحتلال إلى داخل المجتمع. فتراجعت المقاومة المدنية وبخاصة مشاركة النساء التي أضفت على الانتفاضة بعدا ديمقراطيا اجتماعيا ومنحت الانتفاضة قوتها. لحساب مهمة فرض السيطرة على المجتمع. تراجعت الانتفاضة التي كانت تتجه للعصيان المدني بمشاركة الاكثرية الساحقة من المجتمع.وجرى تحويل انجازها الاهم لمصلحة الاسلام السياسي. الانجاز المتمثل بعزل الزعامة التقليدية التي لعبت دور الوسيط مع الاحتلال وضاعفت مواردها وارباحها على حساب إفقار المجتمع. عوضا عن تحول الانجاز لمصلحة المنتفضين من الطبقات الشعبية والمثقفين والطبقة الوسطى. ثمة مضمون سياسي مشترك بين برنامج الاسلام السياسي وبرنامج الزعامة التقليدية هو التهادن مع الاحتلال والعداء للقوى التقدمية وهذا يعود للطبيعة الطبقية المشتركة بين الطرفين رغم التباين في الشعارات والخطابات والتباين بين ثقافة اجتماعية ليبرالية وثقافة محافظة منغلقة. عوامل أخرى ساهمت في هذا التحول، كالقمع الاسرائيلي الوحشي لرموز وبنية الانتفاضة، وانجرار تنظيم فتح وبعض الفصائل الاخرى نحو سياسة الاسلام السياسي في فرض النظام الاخلاقي، ورغبة زعامة الخارج في عدم بروز قيادة بديلة من الداخل. كل هذا جعل ثمار الانتفاضة تسقط

٣٠ ليتسيا بوكاي،استاذة جامعية فرنسية ومراسلة لوموند / ترجمة د.ماري الياس / الفلسطيني التائه – الانتفاضة تأكل أبناءها /شركة قدمس للنشر والتوزيع ص ٥٣

٣١ بوكاي مصدر سابق ص ٥٣

في سلال الاسلام السياسي والبرجوازية التي يمثلها ومشروعها الرجعي. تلك نتيجة سلبية وخطيرة لم تطرح على بساط البحث واحتفظت كل الاطراف

بادعاءات كانت بحاجة الى براهين. إن إخفاق الانتفاضة الذي لم يعترف به أحد « يرجع الى الصعوبة التي واجهها الفرقاء في ضمان تمفصل البعدين الوطني والاجتماعي»[٣٢].

لكن السلطة الفلسطينية التي أقيمت بناء على اتفاق أوسلو أعادت الاعتبار للنخب البرجوازية ورموز العائلات التقليدية التي همشها المنتفضون، استعاد هؤلاء مراكزهم، ضمن عملية تقاسم مع البيروقراطية الوطنية الاتية من الخارج. وبهذا المعنى تم سرقة الانتفاضة من قبل مكونات البرجوازية (البيروقراطية الوطنية والاسلام السياسي والزعامة التقليدية) أما المنتفضون من الطبقات الشعبية فكانوا الخاسر الاكبر والوحيد. وجاءت المرحلة اللاحقة مرحلة السلطة الوطنية لتعمق هذا التحول الرجعي.

خامسا : السلطة تتماهى مع التحولات الرجعية

عندما وضعت منظمة التحرير اللبنات الاولى لسلطتها الاولى عام ١٩٩٤ وما لحقها من خطوات وإجراءات، جاءت منافية للعلمانية التي طرحت في برنامج المنظمة وفي وثيقة إعلان الاستقلال على نحو خاص. «وبدلا من التأسيس لهوية تستمد تعريفها من مقوّمات مدنية انخرطت السلطة الجديدة في إنشاء نظامها «البطريركي» الابوي، بكل ما ينطوي عليه الأمر من تعزيز للعناصر البطريركية في الثقافة والمجتمع. وتحويل الوظيفة العمومية إلى نوع من المحاصصة، وتحويل الانتماء العائلي، العشائري، أو القبلي إلى نوع من الرصيد السياسي والاجتماعي». عادت منظومة العائلة الممتدة والتمركزات العشائرية وشبكات القربى الى الواجهة وتحولت الاحزاب والنقابات والمجالس والوزارات والصحافة والبرلمان الى ديكورات فارغة من المعنى .»وقد جرى ذلك في ظل ثقافة شعبوية تعمل على شخصنة النظام السياسي، وتضفي على الشعب صفات العائلة الكبيرة الممتدة»[33].

" يدخل المجتمع في أزمة عضوية حين يلف العجز السلطة والمعارضة معا" كما قال غرامشي. أو يدخل المجتمع في صيرورة من التفكك والاستنقاع حين يساوي العجز بين السلطة والمعارضة كما يقول لينين[٣٤]. اليسار بمختلف تنظيماته لم يقاوم التحولات الرجعية، وهذه نتيجة منطقية لتغييبه الهوية الفكرية والطبقية، تغييبا مس جوهر دوره الاجتماعي والثقافي والسياسي. وكنتيجة للخمول الفكري وغياب المراجعات النقدية. لم يخض اليسار معارك ضد

٣٢ بوكاي / مصدر سابق ص ٥٦
٣٣ حسن خضر / العلمانية في فلسطين / الحوار المتمدن ٢٠٠٣/٥/٢٤
٣٤ فيصل دراج / الحداثة المتقهقرة مصدر سابق ص ٣٣٩

اسلوب بناء المؤسسة الزبائني ولا ضد الفساد والاحتكارات الجديدة ولا ضد تقييد الحريات وتغليب الهويات الثانوية (العشيرة العائلة الطائفة الجهة)، ولم يخض اليسار معارك احتجاجية على سياسة التمييز المتبعة ضد النساء، ولا ضد جرائم ما يسمى بشرف العائلة. وظل اليسار يعتمد على (الكوتا) أو المحاصصة كبديل لامتلاكه مشاريع ومؤسسات انتاجية.

وفي غياب دور فاعل لليسار احتدم الصراع بين حركتي حماس وفتح على السلطة على خلفية التحولات الرجعية. وكما نافست حركة فتح المعارضة اليسارية وتأثرت ايجابا بها في مراحل السبعينات والثمانينات، لجأت للاسلوب نفسه في منافسة حركة حماس وأيديولوجتها الدينية وتأثرت بها سلبا الى درجة تبني بعض شعاراتها السياسية، والمشاركة في فرض منظومة قيم رجعية على المجتمع، واستخدمت بعض أساليبها العسكرية « العمليات الاستشهادية ضد مدنيين اسرائيليين».ويمكن القول ان فتح تخلت عن علمانيتها بعد ان حجب اليسار هويته الفكرية وفقد دوره النقدي التقدمي والتنويري داخل المجتمع.

سادسا : دور النظام العربي في إعاقة التحرر

اختزل النظام العربي الدولة الى سلطة تحتكر كل شيء ولا تترك للمجتمع اي شيء، سلطة تمتلك القدرة على إخضاع الشعب وإحالته الى وضعية العجز الكلي. سلطة دفعت المجتمع المضهد للبحث عن مراجع انتماء جديدة كالدين والطائفة والعشيرة والجهة. وفي هذه الحالة يصبح الدين هو الوطن،والانتماء الجهوي بديلا عن المواطنة ويرد المجتمع الى وضع الرعية»[٣٥] . تقول حنه آرندت : إن تحويل الطبقات الى جماهير وإلغاء كل تضامن بين الجماعات إلغاء متوازيا هما شرطان لازمان للاستبداد الكلي». قبل ذلك وبوجود طبقات يلازمها صراع طبقي، طبقة في مقابل طبقة، ويمثل الطبقة حزب وممثلين يصيغون البرامج والخطابات السياسية والثقافية والاستراتيجيات ويشكلون النقابات» الطبقات تحللت الى جماهير منعزلة لا يجمعها اي رابط عمال مياومون وفقراء مهمشون وفلاحون بلا أرض وطلبة وعاطلون عن العمل وتجمعات عشوائية أحزمة فقر»هؤلاء شكلوا سندا لتيارات الاسلام السياسي، ويستخدموا لتكوين ديكتاتورية ثيوقراطية»[٣٦].

اقتصاديا يرتبط بالسلطة البديلة عن الدولة او دولة السلطة،سلطة ريعية ترى في السلطة السياسية مدخلا الى الثروة، ضمن ثنائية الثروة والسلطة، أي إثراء السلطة وإفقار المجتمع. سلطة تنتمي الى ثرواتها اللا شرعية فقط،– كشفت الانتفاضات العربية المليارات المنهوبة في مقتنيات وحساب رموز تلك السلطات– . إن تطرف السلطة الاقتصادي ينقل فئات شعبية

٣٥ الحداثة / مصدر سابق ص ٢٤١
٣٦ رجائي موسي / ورقة نقاش / مجموعة تقدم اليسار المصري ٢٠٠٦/٨/٣

واسعة ومتعاظمة من عالمها الثالث الى عالم رابع ويقطع الطريق أمام المشاريع الانتاجية التي كانت تطلقها البرجوازية الوطنية وتساهم في الوقت نفسه في بناء الاحزاب السياسية والمؤسسات الثقافية»[٣٧].

أدى انطفاء الدولة الى انطفاء المجتمع وانطفاء الحزب السياسي. وكان من شأن ذلك «إعادة انتاج بل وترسيخ وضعية (ما قبل الدولة القومية) بمكوناتها الاثنية والقبلية والطائفية، وتحويل الولاء اليها على حساب الوطن والدولة والهوية الوطنية. وهذا يعكس في الواقع تناقضا صارخا بين المبادئ المثالية التي وضعها رواد النهضة لقيام دولة حديثة وبين تطبيقاتها العملية في الواقع. فقد عادت التكتلات العائلية والعشائرية والطائفية تلعب دورا هاما وبارزا. وليس من النادر ان نجد افراد قبيلة واحدة او طائفة واحدة او مدينة واحدة أو عائلة واحدة او منطقة واحدة يسيطرون على السلطة والدولة والمجتمع ويتحكمون في رقاب الناس. وهذا دليل على ان السلطة الابوية ترتكز على العائلة الممتدة، التي هي النمط القرابي السائد. إن بنية المجتمع الابوي العربي، الذي هو اكثر ابوية واشد تقليدية واكثر محاصرة لشخصية الفرد وثقافته وأكثر ترسيخا لقيمه واعرافه الاجتماعية التقليدية، وأكثر تهميشا للمرأة واستلابا لشخصيتها، هذا النظام يقدم سيطرة الاب على العائلة وسيطرة الرجل على المرأة والولد على البنت، بحيث يبقى الخطاب المهيمن هو خطاب الاب الذكر وأوامره وقراراته»[٣٨].

٣٧ الحداثة / مصدر سابق ص ٢٤٣- ٢٤٤

٣٨ النظام الابوي البطيركي وتشكيل الشخصية العربية / إيلاف صحيفة إلكترونية ٢٠١٢/٩/٢٨ د. ابراهيم الحيدري/

الباب الثاني

الاسلام السياسي كمعوق للتحرر الاجتماعي والسياسي

الباب الثاني :

الاسلام السياسي كمعوق للتحرر الاجتماعي والسياسي

يتعرض الانسان العربي لاستبدادين، الأول استبداد السلطة، وبعض اشكال السلطة الليبرالية لا تتدخل في الشؤون الحياتية. والثاني استبداد ديني يفرض نمط حياة ديني ويتدخل في تفاصيل حياة الناس.

رسالة الاسلام السياسي وعدت بدرجة من الرعاية للمقهورين لا تتجاوز حدود «تقديم التعزية لهم» وفي الوقت عينه وعدت بتوفير الحماية للطبقات المستغلة ضد اي انتفاضة ثورية. فالاسلام السياسي يرفض مصادرة أموال الاغنياء «كالتأميم» ويرفض الخروج على حكومة عادلة. ويمنح النساء حقوقا أقل من الرجال في الزواج والميراث وفي الابناء وحالات الطلاق، ويشدد على احتشام المرأة من خلال ارتداء الحجاب ورفض الاختلاط في المدارس والجامعات ويعارض الموسيقى والفنون. وهو بهذا يحاول تنظيم عملية الاضطهاد ضد الثورة وضد الإضطهاد الأشد في آن»[٣٩].

ينطلق كريس هارمان من الاساس الطبقي للحركات الاسلامية بالقول « يجد الإحياء الاسلامي مساندة من أربع شرائح اجتماعية هي: ١– المستغلون القدماء من الطبقات التقليدية «ملاك الأراضي». ٢– رجال الدين الذين يعتمدون على عوائد الأراضي المملوكة للمؤسسات الدينية.٣– التجار الرأسماليين التقليديين ٤– أصحاب العدد الهائل من المحلات الصغيرة والورش. وكان موقف الاخوان المسلمين المعارض للاصلاح الزراعي في مصر وسورية والجزائر وايران وأفغانستان بمثابة دفاع عن مصالح كبار الملاك والاقطاعيين في مواجهة مصالح سواد الفلاحين»[٤٠]. كذلك كان موقفهم المعارض لمصادرة املاك وأموال الرأسماليين بمثابة دفاع عن البرجوازية الكمبرادورية لكن الطريقة البيروقراطية الفوقية التي جرى فيها تطبيق الاصلاح الزراعي والتأميمات جعل فوائده لا تطال القسم الاعظم من الفلاحين والفقراء.مما خفف من حدة رد فعل هؤلاء على الاسلام السياسي.

الارصدة المالية التي قدمتها طبقة ملاك الاراضي والاغنياء الجدد والحكومة السعودية للاسلام السياسي، ساهمت في تعزيز المساجد كمراكز اجتماعية لاناس ضاعوا في المدن ولا يملكون شيئا، وذلك في غياب المساكن والأماكن العامة والمراكز الثقافية الحكومية. واستخدمت الاموال في بناء مجموعة المؤسسات الصحية والتعليمية ولجان الزكاة والمشاريع والمصارف

٣٩ كريس هارمان / النبي والبروليتاريا / مركز الدراسات الاشتراكية – مصر ٢٠٠٧/١٠/٢٠ ص ١٥-١٦
٤٠ هارمان / مصدر سابق ص ٢١

والجمعيات التابعة للاسلاميين بشكل مواز لمؤسسات الدولة والتي تستهدف تقديم رعاية نفعية لشبكات من الاعوان. في الوقت عينه تغلغل الاسلام السياسي في مؤسسات الدولة وبخاصة في مؤسسة الاوقاف والتربية والتعليم والجامعات ضمن صفقات سياسية مع الانظمة. وفي هذا السياق نمت برجوازية إسلامية جديدة ضمت (اصحاب اراضي وتجار وأعضاء الاخوان الذين اصبحوا مليونيرات في الخليج والداخل والطبقة الوسطى الاسلامية). وشكلت هذه الشرائح الاجتماعية الحامل الاجتماعي لمشروع (الاسلام هو الحل) والدولة الاسلامية.

«من الخطأ اعتبار الاسلام السياسي ضد الدولة وضد الامبريالية، يقول كريس هارمان، فالعداء لا يتجه ضد رأس المال الاجنبي وضد الاحتكارات والدولة. الاسلام السياسي يبرىء البرجوزية الحاكمة من المسؤولية في الافقار وتدمير حياة الطبقات الشعبية الساقطة من حساباتها أصلا. لكنه يفتح المعارك ضد العلمانية والنساء واليسار والاقليات العرقية والدينية وضد الاسلاميين المتنورين والكتاب والفنانين والصحافيين. وعوضا عن فتح معركة ضد علاقات التبعية والاستغلال المادي فتحوا معركة ضد الصليبية واليهودية والشيوعية والعلمانية. وبدلا من طرح تغيير المجتمع يستعاض عن ذلك بفرض أشكال من السلوك على المجتمع القائم»[٤١]. وهذا لا يعني عدم وجود تناقضات لدى بعض الحركات الاسلامية مع الامبريالية، والاحتلال، وتناقضات للاسلام السياسي مع الانظمة المستبدة. لكنها تناقضات في إطار النفوذ والصراع على السلطة والمجتمع.

المفكر سمير أمين يقدم رؤية أعمق من مفهوم هيرمان حين يتحدث عن «وجود تلاق في الاهداف والاستراتيجيات بين الحركة الاسلامية والاستعمار»[٤٢]. يقول امين : الرأسمالية لا تستهدف التنمية ولا تطوير المناطق المتخلفة حتى تصبح بلدانا نامية على نمط الغرب. ان ما تريده الرأسمالية من المنطقة العربية هو ضمان الحصول على النفط (الثروة)، وبقاء المنطقة تابعة وملحقة بالرأسمالية العالمية وليس السماح ببناء رأسمالية وطنية مستقلة. فمن يوفر هذه البضاعة ؟ إن السمة الرئيسية التي تتسم بها الحركات الاسلامية هي غيابها عن إدارة الصراع على أرضيات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وهجرها الى سماوات الحلول العامة المجردة (الاسلام) هو الحل)وامتناعها عن تحويل هذا الشعار الى برنامج ملموس وإجابات عينية للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية . على قاعدة تسليم الاسلام السياسي بعلاقات التبعية فالاستعمار لا يمانع على الاطلاق أن تقوم ديكتاتورية باسم الاسلام السياسي بإدارة الازمة إذا اتضح ان هذا الشكل أكثر فعالية»[٤٣].

٤١ هرمان / مصدر سابق ص ٣٠ - ٣١
٤٢ سمير امين / حوار الدولة والدين / دار الفارابي طبعة ثانية ٢٠٠٣ ص ٢٧
٤٣ سمير أمين / مصدر سابق ص ٣٢

الايديولوجيا الاسلامية تدعو الى تجميد التطور الاقتصادي والتطور الاجتماعي عبر التوفيق بين الاغنياء والفقراء الذي لا يحتمل غير قبول الاكثرية عملية الاضطهاد التي تمارسها الأقلية. وهذا يعني بقاء علاقات التبعية. وتلك نقطة جوهرية ساعدت سمير أمين على استشراف ما سيحدث في مصر وتونس من اضطلاع الاسلام السياسي بهذا الدور. يشاركه التقييم او يؤكد على نتيجته المفكر المصري خليل كلفت الذي قال إن «مصر تنتمي الى بلدان «قبل صناعية متخلفة وتابعة وتقف الرأسمالية الامبريالية العالمية عقبة كأداء تحول دون تقدمها. ويضيف. ما يمكن ان ينقذ مصر ليس مجرد حكم في ظل نفس الرأسمالية التابعة، بل عبر تحويل مصر الى بلد صناعي وتحديثه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا. غير ان البرامج الاقتصادية للرأسمالية الليبرالية المتوحشة التي يتبناها الاسلام السياسي لا تبشر إلا بالخراب وتعميق التبعية»[٤٤].

ويحدد «كلفت» موقع الاخوان المسلمين أثناء ثورة ٢٥ يناير بانه ضمن اصطفاف قوى الثورة المضادة وليس ضمن اصطفاف قوى الثورة. « إن المظهر الأكثر بروزا للتحالف الطبقى الذى عمل المجلس العسكري الأعلى على إنشائه يتمثل فى المحل الأول فى التحالف مع قوى سياسية تعبِّر عن أقسام وقطاعات متعددة من نفس الطبقة : طبقة الرأسمالية الكبيرة التابعة. كان تركيز المجلس العسكري الأعلى منذ البداية على التفاوض مع ممثلى قوى الإسلام السياسى وبالأخص الإخوان المسلمين والليبرالية اليمينية. وكان التحالف ناجحا بكل معنى الكلمة لأن هذه القوى تنتمى جميعا إلى الطبقة الرأسمالية التابعة. فالمجلس الأعلى يمثل رأس الحربة فى الطبقة وسلطة دولتها ونظامها وفى الثورة المضادة. كما أن قادة الإخوان المسلمين والسلفيِّين والوفد والمصريِّين الأحرار والحزب الديمقراطى الاجتماعى المصرى والحزب الوطنى وأحزابه الجديدة وغيرهم ممثِّلون سياسيون لمصالح وقطاعات كبرى من الرأسمالية الكبيرة التابعة. وتمثل أحزاب وحركات وجماعات هذه القوى الطبقة المذكورة رغم أن غالبية عضويتها تنتمى إلى الطبقة العاملة والطبقات الشعبية والفقيرة وهذه طبيعة الأشياء فهذا شأن كل الأحزاب الرأسمالية الكبيرة فى كل مكان. وإذا كانت قيادات هذه الأحزاب والجماعات تتاجر بأيديولوچيات بعينها وتخفى مصالحها الحقيقية فإن قواعدها غالبا ما تكون بعيدة عن مثل هذا الاتجار بل تمثل ضحايا تلك الأيديولوچيات واليوتوپيات ووقود معاركها. وتؤلف هذه القوى معا أركان حرب الثورة المضادة التى هى الطبقة الحاكمة وسلطة دولتها ونظامها عندما تمتشق السلاح فى زمن الثورة الفعلية»[٤٥].

يتابع المفكر سمير امين عرضه لعناصر الالتقاء بين الامبريالية والاسلام السياسي بالقول. الاسلام السياسي في الحكم قَبِلَ قواعد العمل طبقا لمنطق الرأسمالية الكمبرادورية وتخلى

٤٤ خليل كلفت / إلا الرسول الكريم / الحوار المتمدن ٢٠١٢/٩/٢٧
٤٥ خليل كلفت / كتاب ثورة ٢٥ اينايير / الحوار المتمدن / ٢٠١٢/٧/٢

عن التنمية الاقتصادية. والاسلام السياسي يهدف الى احتكار الحكم باسم الاسلام فلا يحترم الديمقراطية وغير معني بتطوير مقوماتها ويميل الى حل الخلافات اما بالعنف الفكري– الترهيب والتكفير– او العنف المادي كما حدث في ايران وافغانستان والسودان والجزائر وفي قطاع غزة. كما ان ايديولوجية الاسلام السياسي تنازلت عن طموحات الحركة الشعبية الوحدوية والتقت مع الاستعمار الذي يعتمد على الاثنية والطائفية وتفكيك روابط الوحدة. ويخلص سمير أمين للقول : إن الكتل الدينية التي تطمح في الوصول الى الحكم باسم الاسلام السياسي هي تمثلات لقوى وطبقات ومصالح تنخرط في المشروع الرأسمالي التبعي (الكومبرادوري)، وبالتالي فإن التناقضات التي تفصل بينها وبين الكتل الحاكمة ليست اساسية بل ثانوية"[٤٦].

وفي كتابه «ما بعد الرأسمالية المتوحشة» يقول سمير امين « الاسلام السياسي يدعو الى الخضوع لا التحرر ، عندما يضع الصراع الحديث من اجل التغيير الاجتماعي في مأزق. فهو من جهة لا يقبل ولا يعترف بالفصل بين الدين والدولة، والدولة عليها ان تطبق القانون الساري الى الابد (الشريعة)، ويرفض فكرة الحداثة، وكل ما انتجه التفاعل بين الاسلام التاريخي وبين الفلسفة الاغريقية في زمانه. ويتمسك بالافكار السائدة في مجتمع تجمد تطوره. ويرى سمير أمين ان الاسلام السياسي هو مجرد تحوير للوضع التابع للرأسمالية الكمبرادورية، وتسدي ايديولوجيته خدمة هائلة لهيمنة الليبرالية لانها تنقل الصراع من مجال التناقضات الاجتماعية الحقيقية في الواقع الى العالم الخيالي الذي يوصف بأنه ثقافي» وهذا يؤدي الى إضعاف مقاومة الشعوب للنهب والهيمنة والتبعية»[٤٧]. انتفاضة الاسلاميين ضد الفيلم الاميركي السخيف والهابط والرسومات المسيئة في صحيفة فرنسية صفراء، جاءت كترجمة عملية لتحويل النضال من نضال ضد غطرسة القوة والنهب والافقار والاحتلال والقواعد، الى معركة الدفاع عن الرمز الديني فقط لا غير وبشكل منعزل عن مسلسل الاهانات والقهر اليومي الناجم عن علاقات التبعية والاحتلال.

وسواء كان الاسلام السياسي راديكاليا ام معتدلا فإنه ينطلق من الاسس ذاتها، من الفكر الوهابي كمرجعية، وفقه ابن تيمية الذي يعد من اكثر الفقهاء تزمتا في العصر الوسيط.ولا يوجد اختلاف جوهري في مشروع الاسلام المعتدل إلا من زوايا المرونه والتضليل والمرحلية. لذا فإن الاتجاه المعتدل (الاتجاه المركزي الآن) هو الاكثر خطرا. لانه يقوم الان بدور خطير هو قطع الطريق على الثورات العربية التي بدأت في مسار رفض علاقات التبعية الاقتصادية والسياسية ومسار التأسيس لديمقراطية حقيقية في سياق عملية التحرر.لقد دخل الاسلام

٤٦ حوار الدولة والدين / مصدر سابق ص ٣٤- ٣٥

٤٧ سمير أمين / من كتاب ما بعد الرأسمالية المتهالكة ملحق ٦ / الاسلام السياسي الوجه الاخر للرأسمالية المتوحشة / الحوار المتمدن / ٢٠١٢/٩/١٠

السياسي على خط الثورات بعد ان كسرت الجماهير جدار الخوف واستبدلت بالعجز القدرة على الرفض. وسرعان ما انسحب وتحالف مع النظام التابع وقوة البترو دولار الاقليمية ودوائر الغرب الامبريالي لقطع الطريق على الثورة عبر انتخابات وتعديلات دستورية وعبر دعوات ومحاولات حثيثة لوقف الحراك الجماهيري الديمقراطي ومنع الثوريين الجدد من التشكل.

«المفكر الاسلامي السوداني محمود طه قدم قراءة للاسلام في اتجاه التحرر، لكنه أُعدم على يد نظام جعفر النميري بتهمة الردة ولم يأت على ذكره ولم يعامل كرمز اسلامي تحرري من قبل تنظيمات الاسلام السياسي.

تجربة حزب الله الناجحة في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي في الجنوب اللبناني لم ترتبط بتغيير بنية النظام الطائفي، بل ساهم الحزب في تكريس نفسه كحزب طائفي، وفي تكريس النظام الطائفي الرجعي من خلال تعديل التحالفات في إطار التركيبة الطبقية الطائفية العائلية ذاتها. ولم يرتبط انتصاره المتمثل بإنهاء الاحتلال العسكري الاسرائيلي للجنوب بتحرر اجتماعي ولا بتحول اجتماعي ديمقراطي عابر للطوائف، ولا برفع الظلم عن المخيمات الفلسطينية الحليف الموضوعي للمضطهدين اللبنانيين. وظلت المخيمات تعاني ابشع الوان الاضطهاد والتمييز وهي في معظمها تقع تحت سيطرة حزب الله في الجنوب والضاحية الجنوبية لبيروت. خلافا لذلك حول الحزب لبنان الى ورقة اقليمية مهمة في خدمة النظام الايراني والنظام السوري، كما يشهد انحيازه للنظام الديكتاتوري على ذلك، لكنها ورقة منفصلة عن تحرر لبنان من النظام الطائفي، وعن تحرر لبنان الاجتماعي.

وكان مركز الثقل في مقاومة حماس للاحتلال الاسرائيلي،هو السيطرة على المجتمع وفرض نمط حياة ديني عليه، وإقصاء القوى العلمانية الممثلة بمنظمة التحرير. وعندما تحقق لها ذلك من خلال السيطرة العسكرية على قطاع غزة أوقفت المقاومة وحولتها الى ورقة يمكن استخدامها اقليميا، وساهمت في إحداث أكبر انقسام سياسي في تاريخ النضال الوطني.

لم يغير العدوان الاسرائيلي في تشرين ثاني/نوفمبر٢٠١٢ من هذه النتائج. لقد صمد قطاع غزة أمام العدوان الإسرائيلي الغاشم المُؤَيَدْ من الولايات المتحدة ودول الغرب. وفي حين أبدى المقاومون شجاعة وبطولة فاقت التوقعات بفعل امتلاكهم اسلحة متطورة – نسبيا– جرى ردعت العدوان، وبفعل تَوحُد الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية ضد العدوان. إلا ان اتفاق وقف اطلاق النار واتفاق التهدئة الذي أعقبته طرح العديد من المخاطر، يأتي في مقدمتها مقايضة الاعتراف العملي «بكيان غزة» تحت سيطرة حماس مقابل تكريس الانفصال عن الضفة الغربية ومدينة القدس وما يعنيه هذا من تعميق الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وتقويض مقومات المشروع الوطني الفلسطيني. نتيجة خطيرة تتقاطع مع هدف دولة الاحتلال الاسرائيلي في تصفية القضية الفلسطينية، وقد جاءت امتدادا لسياسة حماس في الامتناع عن خوض المعركة السياسية

والجماهيرية ضد حلقات الهجوم الاسرائيلي الاخرى، المتمثلة بتهويد مدينة القدس واقتطاع وضم مساحات شاسعة من أراضي الضفة الغربية في الاغوار والمنطقة المسماة (ج). لم تتعامل حركة حماس مع قوتها العسكرية المتطورة باعتبارها جزءا من ميزان القوى الفلسطيني لنيل الحقوق الوطنية الفلسطينية، وعاملا داعما للديمقراطية الداخلية الفلسطينية. وقد اتضح ذلك في التجاوب مع استخدام قوى اقليمية «للمقاومة الاسلامية «كورقة ضغط لتحسين شروط مساومتها مع الامبراطورية الاميركية بمعزل عن المصالح الوطنية الفلسطينية. وفي استخدام السلاح والحسم العسكري في حل الخلافات الداخلية لتقويض الديمقراطية الفلسطينية الناشئة التي صعدت حماس الى الحكم بفعلها. واتضح مؤخرا في بنود اتفاق التهدئة الجديد غير المعلن لكنه المتداول في وسائل الاعلام– والذي خلا من الربط بين الضفة والقطاع ومن طرح قضية الاحتلال الكولونيالي الإسرائيلي للضفة الغربية والقدس واحتلال قطاع غزة –عن بعد – كسبب دائم لاحتدام الصراع. الخطر الاكبر هو اصطفاف القيادة السياسية لحماس مع نظيرتها الإخوانية التي سرقت الثورات العربية، ومع تركيا ودولة قطر ودول البترودولار في إطار سياسة الهيمنة الاميركية وأولوياتها في المنطقة، كأولوية تقديم «الخطر الايراني» على رأس الاجندة العالمية والاقليمية، مقابل وضع القضية الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي المزمن للارض الفلسطينية على هامش تلك الاجندة، وأولوية قطع الطريق على الثورات العربية من خلال صفقة اميركية غربية مع الاسلام السياسي.

الموقف من الاسلام السياسي

الاسلام السياسي الذي نجح في حشد قطاعات كبيرة من الجماهير خلف شعاراته وبخاصة الفقراء والمهمشين في أحزمة الفقر والعشوائيات والعاطلين عن العمل والطلبة. لا يوجد موقف موحد لليسار منه. هناك فريق يساري يعتبر الحركة الاسلامية فاشية ويناصبها العداء. وقد يكون هذا الموقف ردا على بعض اتجاهات الاسلام السياسي التي أعلنت الحرب على اليسار. وهناك موقف آخر لقوى يسارية يعتبر الإسلام السياسي ذا طابع تقدمي يمكن التحالف معه وتذيله باعتباره الطرف الاقوى في التحالف. هذا التباين يعود للاختلاف في تحديد الأساس الطبقي للاسلام السياسي.ويعود لافتقاد اليسار الى استراتيجية ثورية تكون قادرة على نقدوكشف طوباوية ورجعية مشروع الاسلام السياسي وتقديم مشروع ثوري يستجيب لحاجة المقهورين. والاهم هو استقلال اليسار وعدم خضوعه لرؤية الطبقات الحاكمة وموقفها من الاسلام السياسي[٤٨]. إن تجاهل الاسلاميين كفاشيين لا يوجد اي مشترك معهم، والنظر لهم كتقدميين لا يجب توجيه النقد ضدهم كلا الموقفين يعتبر خاطئا ومن الضروري وجود رؤية مختلفة. تنطلق من مشروع تقدمي مستقل وقيادة متماسكة طبقيا وسياسيا وجريئة في طرح

٤٨ كريس هارمن / مصدر سابق ٣٤

المواقف، يكون الهدف جذب الحالات المتقدمة من الاسلاميين الى أرض ثورية. والاستفادة من تناقضات الحركة الاسلامية في علاقتها بالمقهورين لدفع العناصر الحية من مراجعة انتمائهم للافكار الرجعية. ان اي تقارب ميداني مع الاسلاميين لا يلغي استمرار معارضتهم، والتمسك الحازم بفصل الدين عن الدولة، وبحق النساء المتساوي مع الرجال وبحريتهن بما في ذلك رفض الحجاب، وبرفض التمييز على اساس الدين او الجنس او العرق. وبالحق في التعبير وفي الاختلاف. فليس بفكر مرتعد او متردد او ملتبس يتم تصويب استقطاب المضطهدين والمقهورين لمصلحة حزب اليسار الثوري.

الباب الثالث

الاسلام السياسي كمعوق للتحرر الاجتماعي والسياسي

الباب الثالث :

مكانة المرأة في الفكر السائد

التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية التي شهدها القرن العشرون وضعت الاساس المادي لتوزيع الادوار بين الرجال والنساء، كالحق في التعليم والعمل والسياسة والحياة العامة والمشاركة في الفضاء العام. وقد وضعت حقوق المرأة العربية في تنازع بين منظومتين متناقضتين. منظومة الحداثة وحقوق الانسان من جهة، ومنظومة الفحولة الذكورية من جهة أخرى، كما تقول د. رجاء بن سلامة.

اصبح النظام الاخلاقي الجنسي السائد لدى الدول العربية اكثر تعصبا نتيجة عاملين. الاول اعتماد انماط إخضاع الفرد التي استحدثتها الدولة الغربية الحديثة. وظهور الحركة الوهابية في الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر، وميلاد حركة الاخوان المسلمين في مصر في عشرينيات القرن العشرين.وتستعرض د. سلامة عناصر المنظومة الفقهية التي تقوم على هرم اجتماعي أعلاه الرجل تليه المرأة ثم العبد والأَمَة ثم الطفل والمجنون. المرأة في هذا الهرم تساوي نصف رجل، ترث نصف ما يرث الرجل، وشهادة المرأتين مضاهية لشهادة رجل واحد. الرجل يتمتع بتعدد الزوجات وحرية التطليق، وتحرم النساء كثيرا من حق اختيار الزوج. للرجل افضلية انتولوجية الاصل والفرع. ويترتب على ذلك حظر تولي المرأة الولايات الخاصة والعامة، وضرورة طاعة الزوجة زوجها، وحق الزوج في تأديبها ومعاقبتها، ووفقا لذلك تتحول المرأة الى مملوكة لزوجها ولم يتورع البعض عن القول، ان «النكاح» نوع من أنواع الرق»[٤٩]، والنكاح مصطلح له صلة بمفهوم الزواج الذي يختصر العلاقة بغريزة الجنس.

عام ١٩٣٠ كتب المفكر التونسي (الطاهر الحداد) : لقد حكم الاسلام بتمييز الرجل عن المرأة في مواضع صريحة، وليس هذا بمانع ان يقبل بمبدأ المساواة الاجتماعية بينهما عند توفر اسبابها بتطور الزمن، ما دام يرمي في جوهره الى العدالة التامة وروح الحق الاعلى، وهو الدين الذي يدين بسنة التدريج حسب الطوق». هذه الرؤية الفكرية المتطورة جوبهت بمواقف الحركات الأصولية التي كانت في أساسها حركات مقاومة تحرر المرأة. حركات ومراكز ونظم بدأت تنتشر وتسود منطلقة من تحريم إعادة تأويل النصوص. وهي الحركة الوهابية ، الاخوان المسلمون، الازهر ، منظمة المؤتمر الاسلامي، وفضائيات شعبوية وناشرون يملؤون السوق بأدبيات احتقار المرأة»[٥٠]. وأكاديميون ويساريون ايضا.

٤٩ د. رجاء بن سلامة / بنيان الفحولة - أبحاث في المذكر والمؤنث /دار المعرفة للنشر تونس/ الطبعة الاولى ٢٠٠٦ ص ٥٢
٥٠ بنيان الفحولة / مصدر سابق /ص ٥٣

أولا : موقع المرأة في تجربة الاسلام السياسي

« أخذ الاسلاميون على عاتقهم مسؤولية النضال الوطني، باعتبارهم حملة لواء التحرر الوطني الحقيقي» كما يقولون. وانتقلت حركة حماس من حركة دينية حصرا الى أن تصبح منافسا قويا وبديلا للحركة الوطنية الفلسطينية العلمانية المتمثلة بمنظمة التحرير والسلطة الفلسطينية». وذلك بعد ان «انكب الاسلاميون على تشكيل ايديولوجية جديدة يحتل النضال الوطني فيها موقع الصدارة». «واضطلعت حماس بإعادة تشكيل الوطنية الفلسطينية في مظهرها الاسلامي الجديد».تحول الاسلام الى جوهر الهوية الوطنية الفلسطينية».ولم تكد م.ت.ف تتخلى عن راية الكفاح المسلح حتى رفعتها الحركات الاسلامية» لتعيد الفلسطينيين الى هويتهم الاسلامية الكاملة». وأصبحت الوطنية جزء غير قابل للانفصام عن الاسلام « إن ما حدث هو : أسلمة فلسطين وجعل الاسلام وطنيا»[٥١]. ما أرادت ان تقوله د.إصلاح جاد هو أن النضال الوطني انتقل بالكامل من محور الوطنية العلمانية بعد قيام السلطة الى محور الاسلام السياسي الذي تعبر عنه حركة حماس. وتحولت بفعل هذا الانتقال هوية فلسطين الوطنية العلمانية، الى الهوية الاسلامية الوطنية. معتبرة ذلك تحويلا في الاتجاه الصحيح إذا لم يكن ثوريا كما يفهم من السياق. والسؤال الذي يتبادر الى الذهن، هل هذا الانتقال ارتبط باستنفاد الطاقة الوطنية للاتجاه البرجوازي البيروقراطي المسيطر على المنظمة، لمصلحة طاقة الاسلام السياسي الذي يعبر عن مصالح الطبقات الشعبية مثلا. إن إجراء مقارنة مع بعض الدول العربية يوضح التحول المطروح. منذ توقيع النظام المصري لاتفاقية كامب ديفيد انتقل النضال الوطني من المحور البرجوازي الى محور الطبقات الشعبية بالمعنى الموضوعي وليس الفعلي في غياب احزاب وقوى قادرة على إحداث التحول، ولم تنتقل قيادة النضال الى الاخوان المسلمين. في التجربة الفلسطينية اعتمدت الكاتبة معيار الكفاح المسلح كبديل للتبدل في أدوار الطبقات يكفي رؤية تراجع المنظمة عن الكفاح المسلح ورفع رايته من قبل الاسلام السياسي كمقياس على التحول. علما ان الفعل المسلح هو «امتداد للسياسة بأشكال عنيفة».

ولم تر الكاتبة ان الكفاح المسلح تحول من شكل وحيد للنضال، الى شكل رئيسي، ثم الى أحد اشكال النضال، بعد إغلاق كل الحدود العربية أمامه. وتحول النضال الجماهيري الى شكل رئيسي للنضال كما حدث في الانتفاضة الاولى، وكان عنصر قوة لها. ثم جرى الانتقال الى المفاوضات بعد مؤتمر مدريد. لم تتوقف الكاتبة عند مأزق الكفاح المسلح الذي جعل تنظيمات اليسار الرافضة لأوسلو والمتمسكة بالكفاح المسلح غير قادرة على ممارسته قبل مرحلة السلطة وبعدها. استخدام الاسلام السياسي للكفاح المسلح جاء عبر اكثر اشكاله ضررا بقضية التحرر الفلسطيني، وذلك عندما أقدم الاسلام السياسي على مهاجمة أهداف

٥١ د. إصلاح جاد / نساء على تقاطع طرق / الحركات النسوية الفلسطينية بين الوطنية والعلمانية والهوية الاسلامية / مؤسسة مواطن ص ١٢، ٢٠، ٩٧، ١٠١

مدنية في العمق الاسرائيلي، ليؤكد عجز السلطة عن توفير الامن وفقا لنصوص في اتفاق اوسلو. وكان الهدف من الكفاح المسلح إسقاط

الاتفاق وهذا مشروع مبدئيا، لكنه غير مشروع ديمقراطيا بعد انتخابات الرئاسة والمجلس التشريعي الأول الذي أفضى الى اكثرية شعبية مع الاتفاق وأقلية ضده. وكان من المنطقي ان تقوم المعارضة الاسلامية واليسارية ومن داخل فتح بالتعبئة الجماهيرية ضد الاتفاق من اجل التحول الى أكثرية وبعد ئذ تكون حرة في تحديد موقف من الاتفاق. بعد اوسلو « تقزمت الارادة الجماعية في سلطة واحدية تختزل الجبهة الوطنية الى مؤسسة الرئاسة، وتراجع المعيار الاخلاقي والجدارة الفكرية لمصلحة الفساد المغطى بالموالاة»، لقد نكصت المنظمة الى القديم(الهيئة العربية العليا) الذي نقضته بدلا من تجسيد الحداثة السياسية التي وعدت بها. كان من المنطقي والمفترض ان تبادر القوى القادرة على السير في طريق الحداثة والديمقراطية الى التدخل الديمقراطي من أجل تصويب المسار الوطني والارتقاء به ، كما فعلت التنظيمات الفدائية والسياسية قبل وبعد حرب ١٩٦٧. وكان من شأن هذا التدخل صون المشروع الوطني والحفاظ على المنظمة وابتكار أشكال نضال تتلاءم مع الخصائص المتناقضة بين الشعب ودولة الاحتلال، وذلك من خلال وضع عناصر قوة الشعب الفلسطيني على عناصر ضعف الاحتلال وعدم السماح بحدوث العكس. هذا ما لم يحدث اثناء صعود حماس، بل حدث العكس، أضعفت المنظمة ولم يسقط الاتفاق، وأبرمت الهدنة، وتحول التفاوض غير المباشر مع الاسلام السياسي الى وعود بهدنة طويلة الامد وهي الوجه الاخر للاعتراف بإسرائيل. وسقطت مطالب وقف وإنهاء الاستيطان وانسحاب الاحتلال وإقامة الدولة تحت شعارات لفظية تطالب بالحقوق الكاملة غير المنقوصة. كان يمكن للمقاومة الاسلامية ان تركز عملياتها ضد قوات الاحتلال في أراضي ٦٧، وفي هذه الحالة ستعزز نفوذها الجماهيري وتحافظ على وحدة الشعب وتعمقها، وتكون النتيجة انتقال قيادة النضال الى طرف اكثر تماسكا والمضي به نحو أهدافه المشروعة. وفي هذه الحالة كان يصعب على دولة الاحتلال دمج النضال الوطني بالارهاب العالمي،ويصعب عليها ايضا توحيد الاسرائيليين في موقف واحد وجبهة واحدة ضد خطر التفجيرات». وكان يصعب على القوى الاقليمية استخدام وتحويل المقاومة إلى ورقة ضغط تكتيكية في المساومة مع الامبريالية.

كان الدين (الاسلام والمسيحية) جزءا لا يتجزأ من الهوية الوطنية الفلسطينية. الجديد الذي جاءت به حماس هو طمس الهوية الوطنية بمكوناتها الحديثة، لمصلحة هوية طائفية وهويات ثانوية كالعشيرة والحمولة والعائلة والجهة. وقد أتى هذا التغيير في سياق تحولات رجعية داخل المجتمع بعد إخفاق المشروع الوطني. وانعكس «إنجاز» حماس في تغيير الهوية سلبا على المجتمع، حيث تضعضعت الوحدة الوطنية والمجتمعية، وتم إحياء واستعادة علاقات ما قبل

رأسمالية، كالتعصب والثأر والسطوة الذكورية وجرائم ما يسمى بالشرف والنظرة الدونية للنساء.

رغم ذلك ترى د. إصلاح جاد أن ما حدث هو «انبعاث الاسلام» كظاهرة لا يمكن فهمها بالرجوع الى الطرق التقليدية في التفكير».ظاهرة تمثل جهدا معاصرا لتوليد أشكال جديدة من الفعل السياسي والاجتماعي واسباغ الشرعية عليه في مجتمعات تتغير بشكل راديكالي». انها ظاهرة مستجدة وحديثة وليس إحياء لنموذج قديم من الماضي» وهذا يخالف مقولة «اسلام غير قابل للتغيير» والفكرة الخاطئة القائلة بوجود جوهر تاريخي ثابت ومستمر للاسلام، بل هناك نقاش حول ما إذا كان باستطاعة المنظمات الاسلامية أن تكون جزءا من مجتمع مدني في الشرق الاوسط، بعد الانبعاث الاسلامي» «[٥٢].

من يقرأ أو يسمع هذا الكلام يخالجه شك بأن حركة حماس قوة جديدة فتية منقطعة الجذور عن الاخوان المسلمين وفكرهم وسياساتهم وبرامجهم وانتماءاتهم الطبقية. وكأن حماس لا تنضبط لمرجعية المركز الاسلامي للاخوان ذي السياسات الواضحة فلسطينيا وإقليميا وعالميا. كأن حركة حماس تنتمي الى جماهير وليس الى طبقات لها مصالح وتنظيم يتبنى السياسة التي تخدمها. إن عدم تجاهل الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية والسياسية في تشخيص صعود حماس وانبعاث الاسلام السياسي وتحوله الى مركز الوطنية الجديدة ذات الهوية الاسلامية. يدفع الى استعارة نصوص من دراسة د. جاد حين تقول :» كان لاسرائيل اهتمام بتغذية نفوذ الاسلاميين من أجل إضعاف م.ت.ف وتفكيك الحركة الوطنية» ووفقا لما قاله الحاكم العسكري الاسرائيلي في قطاع غزة، إننا نقدم بعض العون المالي الى جماعات اسلامية من خلال المساجد والمدارس الدينية من اجل المساعدة على خلق قوة تستطيع الوقوف في مواجهة القوى اليسارية التي تساند م.ت.ف. وتؤكد الكاتبة أن الاسلاميين لم يشكلوا خطرا على الاحتلال إلا منذ عام ١٩٨٩» والعنصر الاهم الذي يلخص التحول هو وبحسب الدراسة :»تمكن الاسلاميون من خلال دعم الاردن والقبول الاسرائيلي وأموال من الخليج أن ينشئوا بنية ارتكازية تثير الاعجاب(!)في قطاع غزة وإلى حد ما في الضفة»[٥٣]. لا يمكن القفز او إقصاء العامل التاريخي في تشكل الاسلام السياسي. سواء عبر دوره التهادني مع الامبريالية والاحتلال، أو من خلال دفاعه عن الطبقات الاستغلالية والقوى الرجعية داخل المجتمع، أو احتضانه لثقافة التخلف النقيضة لثقافة التنوير. هذه السياسات الممتدة لعقود طويلة لم تكن وليدة هفوات او أخطاء عابرة بل كانت تعبيرا عن مصالح. وإذا افترضنا ان «الاسلاميين الجدد» أحدثوا قطيعة مع الماضي الأسود، فإنهم لم يقدموا مواقف بديلة لا في حقل الفكر الناقد للتجربة ولا في حقل الممارسة التي توجت بانقلاب عسكري وبهدنة مع الاحتلال، يصار الى قمع كل من يحاول اختراقها، وإلى فرض سلطة الإمارة.

٥٢ نساء على تقاطع طرق/ مصدر سابق ص ٩٩، ١٠٠

٥٣ / مصدر سابق / ص ١٠١، ١١٨،١١٣ نساء على تقاطع

ثانيا : الحجاب رمز اللا تحرر :

الحجاب ليس مسالة شكلية او ثانوية ولا يمكن فصله عن الحرية والمساواة والكرامة والمواطنة ويمكن التعرف على قيمته الفعلية من وظائفه وأشكاله. فالحجاب الفضائي الذي يؤدي وظيفة الفصل بين النساء والرجال. وخروج او عدم خروج النساء من بيوتهن ودخول او عدم دخول الرجال من غير

المحارم عليهن. والحجاب الجسدي وهو احدى آليات منع ظهور الاجساد الانثوية

ومراقبة حركة خروجها. وكلاهما يحدد مجال المرأة ونوعية نشاطها ويضعها في وعاء حافظ، وعاء البيت او وعاء الخمار او وعاء الجلباب. علما ان الخمار او النقاب ينطوي على شطب للجسد تكون صاحبته حاضرة غائبة ،وهو ليس زيا فقط بل هو مجموعة من التصرفات والسلوكيات كالتأثم ورفض المصافحة والاختلاط والخلوة ورفض الزينة وتأثيم النساء غير المتحجبات واتهامهن بالرذيلة والتبرج. مؤسسة الحجاب كما تقول د. رجاء بن سلامة اقدم من الاسلام لانها وثيقة الصلة بتقسيم الادوار الاجتماعية بما يحافظ على النظام الابوي والاسرة الابوية القائمة على الزواج.

«كان الحجاب علامة انتماء طبقي وتمييز بين النساء الحرائر والنساء الإماء. وقد حرص النظام الابوي على حجب الحرائر لانهن يدخلن في إطار المبادلات الزوجية الرمزية – البضائعية. أما الإماء فيدخلن في إطار المبادلات البضائعية الصرف. الزوجة الحرة مملوكة لزوجها يجب ان تحصن وتمنع وتراقب حفاظا على مؤسسة الزواج الابوية وعلى مبدأ قوامة الرجال وملكية الزوج لعصمة زوجته. والأمة مملوكة لسيدها كبضاعة لا تستوجب الرقابة والمنع»[٥٤] .

الحجاب بنوعية الفضائي والجسدي مقوم اساسي من مقومات الوضعية الدونية للمرأة التي عليها ان تلتزم الفضاء الخاص، وأن يكون جسدها ملكا خالصا لمالكها وأن تكون وسيلة لحفظ النسل والاسرة وحفظ عرض الزوج والعشيرة. والمرأة في مجتمع الحجاب ليست ذات كرامة، ليست غاية بل وسيلة لتنمية رأسمال الرجال المادي والرمزي.

لعبت عوامل التحديث الاجتماعي رغم ما تضمنته من استغلال اقتصادي، وانتشار التعليم في زعزعة الهندسة الاجتماعية التي تقضي ببقاء المرأة في البيت، فتراجع الحجاب الفضائي واختفت ظروف انتاجه. واضمحل الحجاب المؤسسي واضمحل معه الخطاب المنادي بأدوار المرأة التقليدية»[٥٥]. غير ان الحجاب الجسدي استمر ولم تختف ظروف انتاجه، فانتشر في

٥٤ بنيان الفحولة مصدر سابق / ص ٨٣ ،٨٤

٥٥ بنيان الفحولة / مصدر سابق / ص ٩٠

اوساط نساء الطبقة الوسطى والبرجوازية وبقي خطابه فاعلا. هناك مجموعة من العوامل. بعضها يرى ان الازمات الاقتصادية والسياسية تؤدي الى انطواء الشعوب على الهوية والحجاب جزء من الهوية. هذا التحليل غير منسجم لان الزي الشعبي التراثي الذي يشكل مكونا من مكونات الهوية هو الاجدر بأن يعبر عن الهوية كبديل للزي الغربي وليس الزي الذي يفتقد لهوية وطنية او الزي الغربي مضافا اليه غطاء للرأس. على سبيل المثال ارتدت الشابات الفلسطينيات الكوفية كرمز وطني للمقاومة الوطنية ورمز للهوية الفلسطينية في مواجهة الاحتلال والإقصاء، واصبحت الكوفية الفلسطينية فيما بعد رمزا للتحرر العالمي ضد العولمة المتوحشة.

العامل الرمزي والثقافي كان وراء نجاعة ثقافة الحجاب، يقول عالم الاجتماع بورديو: إن قوة النظام الذكوري تكمن في كونه في غنى عن التبرير، والاستغناء عن الكثير من التبرير ناتج عن العنف الرمزي

المرتبط بالهيمنة الذكورية. وهو عنف هاديء ولا مرئي يجعل المهيمِن والمهيمَن عليه يشتركان معا في اللغة نفسها وفي المقولات التصنيفية نفسها التي يبتنيان بها العالم، ويجعل المهيمن عليه يرتاح الى قيده وينجذب اليه وكأنه واقع تحت مفعول السحر: يجعل النساء أنفسهن يخترن الحجاب ويدافعن عنه ويعتبرنه تحررا»[٥٦]. وتضيف د. سلامة. الحجاب الجسدي الجديد ليس علامة على الانتماء الى تيار الاسلام السياسي وحسب، وليس رؤية سلفية للوجود وحسب، بل هو علاقة على رفض اضطراب الفوارق بين النساء والرجال من حيث الادوار الاجتماعية.

وبفعل هذه العوامل لم تمتلك المرأة جسدها رغم انها تعمل وتتقلد احيانا المسؤوليات التمثيلية والحكومية وكانها ظلت حريما او حريما من نوع جديد يستوجب بقاء آليات المراقبة القديمة, ويحتفظ بأبنية اللا مساواة والهيمنة الذكورية والعنف المنبثق عنها. وحيث لا يمكن التوفيق بين الحجاب وكل من الحرية والمساواة والكرامة والمواطنة. إلا إذا كانت حرية المُقَّيَدْ في اختيار قيده، او حرية المرأة في بيع جسدها وهو شكل عبودي من نوع آخر، او حرية المرأة في شطب نفسها[٥٧].

٥٦ بنيان الفحولة / مصدر سابق / ص ٩٢
٥٧ والعلمانية على ارتداء بنيان الفحولة / مصدر سابق / ص ١٠٠_ ١٠١

ثالثا : التماهي مع فكر الاسلام السياسي في قضية المرأة

الاكاديمية والكاتبة د. إصلاح جاد لها رأي آخر، ففي دراستها نساء على تقاطع طرق، تقول : «إن تحول حماس الى حركة كفاح وطني راديكالية استعاد الهوية الجماعية القديمة في م.ت.ف التي تخلق لحمة تقوم على الكفاح والتضحية والمعاناة مشبعة بالقدسية ...ضمن هذه المنظومة يعتبر اي عمل ينتقص من الكفاح تدنيسا إن لم يكن خيانة» وتضيف مستشهدة بنصوص كتابات حمامي ومقدم وتراكي» إن طهرية المرأة تصبح مرة أخرى في سياق الكفاح حجرا أساسا في تمتين الروحية الجماعية المتكونة في الكفاح والتضحية والمعاناة، ابتعاد النساء عن الحشمة يسيء الى كرامة ذكرى الشهداء، وانشغال النساء بالتفاهات والموضة في زمن التضحية والكفاح إهانة للمقاتلين في سبيل التحرير. وتقوم النساء بلباسهن وسلوكهن غير المحتشمين بمساعدة غير واعية للعدو في مخططاته لافساد الأمة»[٥٨]. هكذا ترى د. جاد «في تغليب الهوية الدينية على الهوية الوطنية، بعد «اشباعها بالقدسية» مظهرا من مظاهر تحول حماس الى حركة كفاح وطني راديكالية.وذلك بإغفال التناقض مع مشروع الاسلام السياسي الذي كان على مدار عقدين خارج النضال الوطني وفي حالة «تفاهم» مع سلطات الاحتلال، عدا عن التباس برنامجه السياسي، ورجعية برنامجه الاجتماعي الذي وضع وما

يزال المرأة في موقع أدنى. تتابع د. جاد « إن إرغام النساء ذوات الميول الوطنية والعلمانية على وضع غطاء للرأس، جاءت كمبادرات من شبان يبحثون في الشوارع عن دور مراقبة وطني يلعبونه من خلال الضغط على طالبات المدارس والنساء الشابات. في حين ان هذه التصرفات لم ترد بشكل واضح في التوجيهات الدينية للاخوان في الانتفاضة»[٥٩]. خلافا لذلك فإن فرض الحجاب استند لحملة تحريض متواصلة عبر المساجد، واستخدم تنظيم الحركة الاسلامية العنف قبل الانتفاضة من اجل فرض الحجاب، ومن أجل إخضاع طالبات الجامعة الاسلامية غير المحجبات وجلهن من اليساريات والعلمانيات. وكانت معركة الحجاب شكلا من أشكال السيطرة على النساء والمجتمع، وبندا أساسيا في فكر الاسلام السياسي. وكان الاخوان المسلمين في مصر – مرجعية حماس الفكرية– قد طالبوا الرئيس جمال عبد الناصر بإصدار مرسوم جمهوري يلزم النساء بارتداء الحجاب. ان اعتماد رواية الاسلام السياسي في تسويق الحجاب وإضفاء صبغة وطنية على هذه العملية، من خلال عرضها بدون نقد، ينطوي على مستوى من التفهم من قبل د. جاد وهذا يشكل تحولا كبيرا لمصلحة الرؤية الاسلامية المناهضة لتحرر النساء في الشكل والجوهر. إن سوق أقوال من نوع :»حماية الاعضاء العسكريين من الاختراق»و» ينظر الى الحجاب كمؤشر على المعاصرة» وينظر الى الثوب الطويل ذي

٥٨ د. إصلاح جاد / نساء على تقاطع طرق/ الحركات النسوية الفلسطينية بين الوطنية والعلمانية والهوية الاسلامية / مؤسسة مواطن -٢٠٠٨ ص ١٢٥-١٢٦

٥٩ نساء على مفترق / مصدر سابق ص ١٢٨

اللون الواحد كرمز موحد للاتباع وللاعضاء، ويدل على ان من يلبسنه متعلمات، يعطي من يلبسنه هيبة كما يفعل لباس الشيوخ العلماء، وهو يعتبر متفوقا على ثوب المرأة الفلاحة الذي تستعمله الامهات والجدات»، «زي يعبر عن التزام واع وعن خيار من ترتديه»، إن الالتزام بالحجاب هنا يعني المشاركة والانتماء الى حركة اجتماعية وطنية تعطي من تلبسه شعورا بأن لها مكانة ووضعية تزيد من رفعتها معنويا واجتماعيا إزاء العلمانيات والفلاحات، ولكن على الرغم من هذا الغطاء السياسي للحجاب فإنه يعبر ايضا عن قوة اجتماعية». والحجاب يسهل الحركة للنساء الملتزمات سياسيا ويعطيهن الشرعية المطلوبة لتجاوز القيود الاجتماعية التي قد تعيق المتزوجات عن الحركة في ساعات متأخرة من الليل». والحبكة الاكثر أهمية هو وضع الحجاب كرمز لمقاومة المستعمرين.بالقول «إذا كان المستعمرون قد استخدموا عادة التحجب ووضع النساء في المجتمعات المسلمة دليلا على المركز الادنى للاسلام ومبررا لمحاولة إخضاع المسلمين، فإن الاسلاميين الان يعكسون شروط هذه الاطروحة ويؤكدون اهمية التحجب والعودة الى الممارسات الاصلية كصيغة من صيغ المقاومة» ان الانشغال الاسلامي بلباسهن ليس نوعا من المقاومة وحسب ولكنه يبتغي ان يثأر تاريخيا برؤية لباس المرأة كدليل على الافلاس الاخلاقي للغرب وعلى تفوق المسلمين».وكانت النتيجة « أن كثيرا من النساء اللواتي كن نشيطات في الحركة النسوية الوطنية العلمانية تحجبن في التسعينات، وأن أغلبية نساء فتح تحجبن»[٦٠]. ويمكن إضافة، إن اكثرية من كوادر واعضاء وبعض قيادات في تنظيمات اليسار والمنظمات النسوية اليسارية صارت الان من المحجبات.

الرواية بكافة عناصرها هي رواية الاسلام السياسي التبريرية، التي تم عرضها على لسان ناشطات من الاسلام السياسي، او عبر تحليلات متماهية معه، هذه الرواية، تغلغل تأثيرها داخل المجتمع الفلسطيني وتم التماهي معها او الصمت عليها من قبل علمانيين ويساريين ومثقفين وأكاديميين بما

يتناقض مع الفكر التحرري. التماهي والصمت شكل هزيمة فكرية هي اسوأ أنواع الهزائم. لانها تردد إدعاءات تخفي وراءها الغبن والتمييز الذي يلحق بالمرأة. الرواية لا تصمد أمام الفكر التحرري اليساري والعلماني الذي كشف على الدوام مواقع الاسلام السياسي الرجعية سياسيا ووطنيا واجتماعيا، دون ان يغفل دخوله في بعض المراحل والمنعطفات في تناقضات مع الاستعمار والامبريالية، ودون إغفال ان القاعدة الجماهيرية التي يستند اليها اثناء تصادمه مع الاحتلال لا تختلف في كفاحيتها كثيرا عن قواعد التنظيمات الاخرى. لم تخطئ د. جاد الفكر التحرري اليساري، بل وضعته جانبا وهي تعرض رؤية نقيضة له، لم تفند مثلا تقسيم الادوار الاجتماعية التي تحافظ على النظام البطريركي، وقوامة الرجال وسلطة الزوج، ولا عن العنف الرمزي وتوحد المضطهَدات بمضطهِديهن ، وهو ما تم تبيانه في العناوين السابقة. كل

٦٠ نساء على مفترق / مصدر سابق / ص ١٢٨، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧

ذلك اختفى وراءالدعاية للهوية الاسلامية التي تقدم نفسها كبديل للهوية الوطنية الجامعة.

والرواية وأسانيدها تسقط في التجربة الملموسة، ذلك ان نهوض حركات التحرر ارتبط بفكر يساري علماني ساوى بين النساء والرجال ودمجهم في نضال مشترك ضد الاستعمار والاحتلال والرجعية، وحققت حركة التحرر الفلسطينية انجازات كبيرة وخاصة لجهة مشاركة الشابات اليساريات والعلمانيات في الثورة ضد الاحتلال في إطار هوية وطنية كان من رموزها الكوفية والثوب الفلاحي والعلم والنشيد وقادة الكفاح التاريخيين والكلاشينكوف، وكان الدين الاسلامي ومعه الدين المسيحي ورموزهما جزءا من الهوية الوطنية. ولم ينكشف الفدائيون للعدو لان المرأة سافرة وبدون حجاب بل كانت المرأة فدائية جنبا الى جنب تحمي وتدافع وتُعتقل وتُطارد وتتحرك بحرية وتتلقى الحماية من شعبها الذي دعمها وافتخر بها وهي بدون حجاب، وكانت النساء وبخاصة الفلاحات المزينات بأثواب الحرير في الانتفاضة الاولى يُخَلِّصْنَ الشباب من قبضة الجنود ويتعاركن معهم. الدافع الوطني والتوق للحرية والكرامة والانعتاق كان حافزا للمرأة والرجل على حد سواء للانخراط في الثورة. كان الاسلام السياسي وهويته ورموزه الدينية الاستخدامية المفتعلة خارج النضال الوطني منذ الخمسينات وحتى بداية الانتفاضة اواخر الثمانينات. ولم يمض على مشاركة الاسلام السياسي سنة واحدة حتى حول مركز ثقل النضال الى داخل المجتمع في الوقت الذي كانت فيه القوى العلمانية واليسارية والديمقراطية تسعى الى تصعيد الانتفاضة بالانتقال الى مرحلة العصيان المدني ضد الاحتلال.وهذا يعكس تغليب السيطرة على المجتمع من خلال تغيير سلوكياته وأخلاقياته، على النضال ضد الاحتلال. بمعنى تغليب التناقض الثانوي في صفوف المجتمع على التناقض الأساسي

مع الاحتلال. ولا يغير من حقيقة هذا الدور الذي أحدث انكسارا في الانتفاضة، مشاركة أطراف محسوبة على فتح والعلمانيين واليساريين في الارتداد. المفارقة ان الانشغال بالمجتمع لم يمس وكلاء الاحتلال والشرائح البرجوازية االطفيلية والفساد في إطار المؤسسات، ولم يلتفت لضرورة تنمية موارد المجتمع والاعتماد على الذات، ووضع ذلك في سياق تطوير الانتفاضة والنضال. بل انشغل بالمرأة عبر فرض الحجاب ومنع الاختلاط وتأديب النساء وبعض العملاء الصغار او المشتبه بعمالتهم وترك العملاء الكبار احرارا. وقد أدى هذا الارتداد الى عودة أغلبية النساء المشاركات في الانتفاضة الى المنازل، وتراجع الطابع الشعبي للانتفاضة لمصلحة المجموعات شبه المسلحة « الصقور والنسور والكتائب». إن فرض سلوكيات محافظة على المجتمع وعلى المرأة بشكل خاص لم يعزز او يطور النضال ضد الاحتلال، بل ادى الى تراجع النضال، نتيجة على طرف نقيض من الادعاءات السابقة.

لم تتوقف د. جاد عند مغزى الافعال السياسية التاريخية المتمثلة في اعتلاء النساء المنابر سافرات او في تمزيقهن حجاب الرأس في الاماكن العمومية في سياق نضالهن ضد الاستعمار

والرجعية. كيف تم التعاطي مع الحجاب فكرا وممارسة كرمز للانعتاق. ففي عام ١٩٢٤ ظهرت التونسية (منوبية الورتاني) سافرة وألقت كلمة في منبر جمعية الترقي الادبية الاشتراكية مطالبة بحقوق المرأة المسلمة ومطالبة برفع الحجاب عنها ورفع مستواها وترك التشبث بحرفية النص». وقادت ثريا الحافظ السورية سنة ١٩٢٦ مجموعة من النساء في مظاهرة الى ساحة المرجة بدمشق وقرأت بعض الآيات القرآنية ورفعت النقاب عن وجهها وتبعها النساء في ذلك قائلة ،إن الله لم يأمر المرأة بالتحجب والانزواء». وعندما عادت المصرية هدى شعراوي في اعقاب ثورة ١٩١٩ البرجوازية كان في استقبالها جمع من النساء بميناء الاسكندرية، نزعت نقابها ملوحة به ثم ألقت به في البحر قبل ان تنزل الى الشارع»[٦١]. لقد تعاملت حركة تحرر المرأة مع الحجاب وتداعيات مؤسساته الذكورية في أوائل القرن العشرين كرمز لكبح المرأة واضطهادها وكان التخلص منه بداية الانعتاق وانخراط المرأة في النضال ضد الاستعمار والرجعية. فكيف يتحول الى رمز لمقاومة الاحتلال وتماسك المجتمع والحفاظ على رفعته بعد قرن من الزمن والتطور في نضال المرأة على صعيد كوني؟

رابعا : العلاقة بين التمييز والعنف في الفكر السائد

التمييز في حد ذاته عنف، بل هو نوع من العنف الأساسي ، وهو بهذا المعنى «نفي لجوهر الانسان في الاخر»، نفي لحق الاخر في أن يكون له حق، نفي للانسانية الكاملة للمرأة ولمبدأ المساواة» انه عنصرية.

العنف والتمييز دائرة مفرغة ،هذا يؤدي الى ذاك، فالتمييز المستمد من مبدأ طاعة الزوجة يفتح المجال أمام الزوج لاستخدام العنف، وتخفيف العقاب على مرتكب جريمة ما يسمى بالشرف يبرر

العنف ويشجع على ارتكابه، وفرض الادوار النمطية التقليدية على النساء بما هو تمييز يقود إلى تنظيم العنف لفائدة الرجل والنظام الابوي السائد.

أهم مظاهر التمييز ضد المرأة هو حرمان المرأة من ملكية جسدها، وهذا يؤدي الى مراقبة المجموعة لحياة المرأة مراقبة دقيقة ،ويقود الى العنف وأعلى مراحلة «جرائم ما يسمى بالشرف». وعندما يتحول جسد المرأة الى جسد رمزي للمجموعة تصبح المهمة المركزية مراقبة جسد المرأة وحجبه بأشكال متنوعة، وتغيب او تتراجع للوراء مهمات ايجاد الحلول للفقر والبطالة والبؤس والتبعية السياسية والاقتصادية [٦٢]. مثال على ذلك الحملة الكبيرة المعززة بالفتاوي وبيانات الاستنكار ضد حادثة اقتياد عشرات النساء السعوديات لسياراتهن، اللواتي

٦١ بنيان الفحولة / مصدر سابق / ص ٨٩
٦٢ بنيان الفحولة / مصدر سابق / ص ١٠٤،١٠٥، ١٠٦ ، ١٠٧

اعتبرت سياقتهن للسيارة خطرا على الاسلام وتهديدا للامن الاجتماعي، هؤلاء لم يحركوا ساكنا ضد القواعد العسكرية الاميركية في المملكة ولا ضد علاقات التبعية. تلك هي سيكولوجية الانسان المقهور، «بدل ان يثور ضد مصدر عاره الحقيقي، يثور ضد من يمثل عاره الوهمي(المرأة المستضعفة).[٦٣]

التمييز القانوني الذي يجسده قوانين الاحوال الشخصية في كل البلدان العربية والاسلامية تقريبا، تلك القوانين التي تعتبرها د.رجاء بن سلامة أهم معقل من معاقل النظام الابوي. فلا تطبق الشريعة في معظم البلدان إلا في مجال الاحوال الشخصية وقوانينها التي تكرس دونية المرأة والتي أصبحت غير قابلة للنقاش.

إن اغلب التشريعات تضع المرأة تحت وصاية الزوج والاب، فتشترط موافقة الزوج على عمل زوجته وسفرها خارج البلد، ولا تمنح معظمها ابناء المتزوجات من اجانب جنسية الام، وتمنع زواج المسلمة من غير المسلم، وتمنع الاجهاض، وتجيز ختان البنات، وتبيح تعدد الزوجات، وتجعل الزواج والطلاق بيد الرجل رغم التعديلات الطفيفة، وتميز بين الرجل والمرأة في جريمة الزنا»[٦٤]**. هذه القوانين التمييزية مضافا اليها عدم المساواة في الارث الذي يعتبر عنفا بنيويا ينفي مبدأ المساواة ويتعامل مع المرأة بشكل دوني، تقود الى العنف ضد النساء بأشكال ومستويات متنوعة.**

ثقافة العنف هي العنصر الاخطر والاشد تأثيرا.»العنف الجسمي والنفسي والجنسي ضد المرأة منتشر في كل انحاء العالم. والاختلاف في مدى الاعتراف والتوعية بالظاهرة وسن القوانين التي تحمي النساء وايجاد الهياكل التي تستوعب ضحايا العنف. ثقافة العنف هي التي تجعل الناس يعتقدون ان العنف ليس عنفا فهو يسمى «حماية المرأة»، «وصون الشرف والعرض» «والخصوصيات الثقافية»التي تجعل النساء يدافعن عن العنف بأنفسهن، وتشجيع الضحايا على الصمت وعدم تقديم شكاوي. وفي المحصلة فإن ثقافة العنف تنتج احتقارا منظما للنساء ولأجسادهن، وتحد من حريتهن.وتستند ثقافة العنف ضد المرأة الى عنف التكفير والتأثيم. وإذا كان العنف الثقافي هو أقسى

أنواع العنف ضد المرأة، فإن أقسى أنواع العنف الثقافي ذاك الذي يضطلع به أشخاص يتكلمون باسم الله»[٦٥]**. فتاوي عبدالعزيز بن باز التي تعتبر وجه المرأة وكامل جسمها عورة لغير المحرم.»وفتوى طنطاوي مفتي جمهورية مصر العربية»سابقا»الذي اعتبر المرأة غير المتحجبة**

٦٣ لحسن وزين / المرأة مدخل للحرية والتحرر / موقع الأوان ٢٠١٢/٦/٨
٦٤ بنيان الفحولة / مصدر سابق / ص ١٠٩ ، ١١٠
٦٥ بنيان الفحولة / مصدر سابق ص ١٣١

آثمة وعاصية لله تعالى لكن عقابها من شؤون الاخرة». وفتوى تحريم لبس النساء والفتيات للبنطلون لكن العقاب في الدنيا وهناك أوامر بإلقاء القبض على اي امرأة ترتدي البنطلون في السودان، وقد حوكمت الصحافية «لبنى الحسيني» بتهمة ارتداء البنطلون بالسجن لمدة شهر. وفي الصومال جلدوا امرأة لانها ترتدي صدرية «سوتيان»، وفي افغانستان حرمت البنات من التعليم وأغلقت كافة مدارس البنات، وفي السعودية يحرم على المرأة قيادة السيارة والترشح والانتخاب. وفي مصر افتى الاسلام السياسي ممثلا بالاخوان المسلمين بأنه لا يجوز للمرأة ولا للمسيحي تولي الولاية الكبرى كرئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة.

خامسا : تبرير التمييز

اتكأ إقصاء المرأة على طبيعتها التي لا تسمح بتوليها المناصب العامة كتولي رئاسة الدولة والقضاء والإمامة والسلطنة والخلافة وجميع ما فيه مسؤوليات عامة. التذرع بطبيعة المرأة لاقامة التمييز أصبحت هامة ومركزية منذ ان تزعزع التقسيم الاجتماعي التقليدي لأدوار النوع الاجتماعي بعد خروج النساء للعمل ولطلب العلم، ما أدى الى سقوط الحجاب الفضائي. ولكن حدث الالتفاف على ذلك من خلال التركيز على طبيعة المرأة واختلافها البيولوجي المدعم بخطاب ديني. فالمرأة عاطفية وانفعالية مقابل الرجل العقلاني والمتزن، المرأة ضعيفة والرجل قوي، المرأة رقيقة لا تحتمل الصعاب والرجل خشن يحتمل، المرأة سلبية والرجل ايجابي، المرأة ناقصة العقل والرجل مكتمل العقل. إزاء ذلك يتم استخراج غطاء ديني وإفتاءات متباينة للمرجعيات الدينية حول تولي النساء بعض المسؤوليات في حقل القضاء والحكومة والبلديات تتراوح بين مرونة تسمح للمرأة بتولي بعضٍ منها، وتعنت بعنوان « سد الذرائع» الذي ينطلق من بنية رُهابية هوسية تعتقد ان الامر الذي يُفضي إلى أمر محرم يكون محرما، وبناء عليه فكل ما تقوم به المرأة يمكن ان يؤول الى الزنا، فيكون عمل المرأة من أعظم وسائل الزنا بحسب إفتاء عبد العزيز بن باز.

يختصر هذا النوع من التفكير المرأة في كونها جسدا وأداة للمتعة والانجاب والغواية، وهو بهذا ينزع عنها الطابع الانساني تماما كما يتم التعامل مع جسد المرأة في النظام الرأسمالي كسلعة. المرأة أصل الغواية والمسؤول الاول عن الخطيئة، والبشر ذكورا وإناثا لا يستطيعون السيطرة على غرائزهم»[٦٦].وضبطها بالاستناد لمنظومة قيم انسانية قائمة على الاحترام المتبادل والثقة المتبادلة.

إن تطور علم البيولوجي بين أن الفروق بين الرجال والنساء في تركيب الجسد ووظائفه لا ترتب فروقا عقلية تجعل من الرجل أفضل أو أعلى والمرأة أسوأ أو أدنى، وأن كل ما جرى مراكمته من

٦٦ / 20/10/2009 موقع علاء علاء الاسواني/ لماذا ينشغل المتطرفون بجسد المرأة

أشكال التمييز ضد النساء هو صناعة اجتماعية طبقية ثقافية انتجت ما اسماه علماء الاجتماع بظاهرة السيطرة الذكورية التي ترسخت في الثقافة والممارسة حتي أصبحت عملية الإطاحة بها عملية تاريخية معقدة وطويلة المدى لكن الإنسانية تسير بثبات إليها»[٦٧].

٦٧ فريدة النقاش / أفكار الرئيس البالية / الحوار المتمدن /٢٠١٢/١٠/٣

الباب الرابع

الفكر النسوي

الباب الرابع :

الفكر النسوي

الفكر النسوي جزء لا يتجزأ من الفكر التحرري وهو الفكر الذي يطرح قضية تحرر النساء، المترابطة مع تحرر الرجل والمجتمع. ويناقش وينقد واقع عدم مساواة المرأة بالرجل، وما يترتب عليه من اضطهاد وتمييز ضد النساء خاصة وبشرائح وطبقات وشعوب بصفة عامة. والفكر النسوي يتصدى لمهمة شرح وتفكيك جميع انظمة الهيمنة المبنية على أساس الجنس او العرق او الطبقة او القومية او بعض الاختلافات. ويوضح مدى مساهمة الشروط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عدم المساواة. ويدمج نضال المرأة بنضال الرجل ضد الاستغلال والقهر والاضطهاد المزدوج الذي تعاني منه المرأة. ووفقا لذلك تصبح مشكلة المرأة هي مشكلة الرجل والمجتمع بأسره، ويتأتى الحل الفعلي من خلال الصراع الاجتماعي الذي تشارك فيه المرأة والرجل لتغيير الاوضاع الاجتماعية وإدخال تغيير جذري على علاقات الانتاج القائمة على الاستغلال.

الفكر النسوي يتعدد بتعدد المدارس النسوية، كالنسوية المادية ونظرياتها، ونسوية العالم الثالث ما بعد الكولونيالية ، نسوية الحداثة وما بعد الحداثة، النسوية الراديكالية. وتشترك النسويات جميعا في نقدها ومعارضتها للتعصب الديني والعرقي وفي معارضتها للاستعمار والحرب والتسلح وفي محاربتها للفقر والامية وفي الحفاظ على البيئة. لكن النقد والمعارضة تختلف من زاوية المستوى والعمق من اتجاه ليبرالي وإصلاحي يعبر عن مصالح شرائح اجتماعية عليا وطبقات متوسطة تنتمي لها النساء المستهدفات. وبين اتجاهات ثورية تعبرعن مصالح الطبقات الشعبية والسواد الاعظم من النساء الكادحات المستهدفات.

باحثات وأكاديميات وناقدات قمن بمناقشة وتحليل الظلم الذي تعرضت له النساء، ونقدن الادوار النمطية للمرأة. وقد شكلت قيم الحداثة رافعة للفكر النسوي. وبرز منهاج فلسفي اعمق من مجرد المطالبة بالمساواة مع الرجال، يسمى (الفينومولوجيا)، عمد الى تحليل الخبرة الحية المعاشة في الواقع. وإلى إعادة قراءة الوثائق التاريخية التي كتبها الرجال من منظور ذكوري لاستخراج الدور الحقيقي للمرأة»[٦٨].

تطور الفكر النسوي عبر المطالبة بالمساواة سياسيا وقانونيا وبدأت النساء يحظين بحق الانتخاب والترشح في البلدان المتقدمة. ثم انتقل الى البحث في أساليب تنهي تبعية النساء، الى ان

٦٨ حفناوي بعلي

حاز على درجة عالية من الاعتراف في خطابات الفلسفة والنقد الثقافي والعلوم الاجتماعية والانسانية

التي اسهمت في بلورة نظرية سياسية نقدية تساعد على تغيير نظرة المجتمعات للمرأة. «واعتمدت معظم المدارس النسوية الحديثة على إعادة نبش التاريخ والأسطورة، حيث مثّلت مدارس ما بعد الحداثالأوروبية، بإعادة تفكيكها للأسطورة والقص الشعبي والغيبيات»[٦٩].

دافع رواد الاشتراكية عن الحقوق المتساوية للجنسين ورأوا أن الانتقال للاشتراكية يحرر كليهما، وكانوا أول من استخدم حالة النساء في المجتمع كمقياس لدرجة تقدمه، وأن تطور الانسان ككل يأتي من تطور علاقة المرأة بالرجل، واصبح تحرر المرأة يشكل اساسا للتقدم الاجتماعي. وربطوا بين الوضع الادنى للمرأة والملكية الخاصة. وركز الفكر الاشتراكي على ضرورة التحول في العلاقات الاجتماعية الاقتصادية من علاقات قائمة على الاستغلال الرأسمالي الى الملكية العامة. وبناء عليه فإن نجاح المرأة في التحرر يرتكز على مقدار نجاحها في المساهمة بتغيير المجتمع وتحويله الى مجتمع يحقق فرص المساواة والعدالة للجميع، اي تحرر المرأة والرجل معا.

اولا : رائدات في الفكر النسوي

روزا لوكسمبورغ المفكرة والكاتبة المتمردة على الظلم ابرزت الاشتراكية كفلسفة للتحرر ولمجتمع متحرر، ولعالم خال من الاستغلال والاستلاب . ورأت ان البروليتاريا والنساء جميعا يتحررون بالتطور الاقتصادي نحو الاشتراكية، وبالمثل تتحرر البشرية بأسرها من نير الاستعمار والامبريالية .»واعتبرت التمييز بين الناس حسب الجنس إهانة للشخصية الانسانية. واكدت على أن الديمقراطية كما الحرية شرطان أساسيان للتحرر والنضال، ونقدت انتهاك الثورة البلشفية للديمقراطية بالقول : إن إعطاء الحرية حصرا لاعضاء الحزب ولمحابي حكومته ليس بالحرية في شيء. واعتبرت ان الحرية هي حرية من يريد ان يفكر بشكل مخالف، وفي إجراء انتخابات عامة ، وفي حرية الصحافة وصراع الاراء»[٧٠]. وقد اعطت لسلاح النقد أهمية كبيرة في تجاوز الاخطاء والانحرافات وفي تحقيق الانجازات. كان النضال من اجل حقوق المرأة عند لوكسمبورغ ياتي من خلال الحركات العمالية التي تشارك فيها العاملات. البعض اعتبر ذلك نقيصة لكن المفكرة النسوية الحديثة «أندريا دفوركين ارتأت غير ذلك بالقول» ان إقصاء الكلمات المؤنثة لا يغطي صحة الجوهر في فكر روزا لوكسمبورغ التحرري».

المفكرة الفرنسية «سيمون دي بوفوار» أضافت للفكر النسوي التحرري أفكارا مهمة في

٦٩ روز ياسين / مصدر سابق
٧٠ غياث نعيسة / روزا لوكسمبورغ شيوعية القرن الحادي والعشرين / الحوار المتمدن ٢٠٠٤/٣/٨

كتابها (الجنس الثاني) الكتاب الذي كان واحدا من الاعمال المائة الاكثر أهمية في القرن العشرين. وشخصت عبره واقع المرأة من منظور نسوي واقعي تحرري بالاستناد للفلسفة الوجودية. وكانت مقولتها الشهيرة :»المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة» بالنظر للدور الكبير الذي يقوم به المجتمع في صياغة وضع الانثى والتفرقة بينها وبين الذكر. وقد قوضت بوفوار نظرية الحتمية البيولوجية

لطبيعة المرأة كونها تبريرا ذكوريا لتبعية النساء وللقمع الذي يتعرضن له. قالت : ان البيولوجيا ليست قدرا محتوما، لأن المجتمع البطريركي هو الذي جعلها واقعا عندما فرض على النساء أدوارا ووظائف دونية. الرجل «ذات» تعامل مع المرأة «كآخر»، وأمسك بمصيرها ولم يقرر فيه تبعا لمصلحتها، بل تبعا لاهدافه الخاصة، لانها تفتقد الى القوة، ولأن المجتمع البطريركي يعيق تحقيق المرأة لذاتها. «ورأت ان تحرر المرأة يعتمد على: انخراط النساء في العمل حتى لو كان فيه استغلال لانه من خلال

العمل تستطيع المرأة ان تحقق ذاتها. ممارسة النشاط الفكري الذي يمكنها العمل في ميادين مختلفة وفي إحداث التغيير الاجتماعي. والاستقلال الاقتصادي عن الرجل الذي يعتبر مفتاح التحرر»[٧١].

سيمون دي بوفوار فضحت السمات الفاشية والفردانية والمأساوية في الفكر البرجوازي الاوروبي الحديث في كتابها بعنوان (واقع الفكر اليميني). ورأت ان الثورة الاشتراكية ستكون الحل التلقائي النهائي لاضطهاد المرأة. غير انها عادت ونقدت الفكر الاشتراكي الذي وقع في ازدواجية العقل الذكوري بين الفكر والممارسة، ولم يساعد في رفع الهيمنة عن النساء»[٧٢].

ثانيا : افتقاد حركات التحرر لفكر نسوي

الثقافات التي قاومت التغلغل الاستعماري نعتت بالبربرية والتخلف وكان ذلك مبررا لمحاربتها، اما الثقافات التي رضيت بالحكم الاستعماري فكانت توصف بالثقافات المتحضرة.خطاب استعماري هدفه ممارسة الهيمنة والسيطرة والنهب طوال حقبة الاستعمار.

غير ان مرارة النساء لدى جميع الشعوب التي تحررت من الاستعمار كانت كبيرة، وذلك عندما تم إقصاء مناضلات معارك التحرير من المواقع القيادية ودوائر ومؤسسات السلطة ومن الحياة العامة في مرحلة ما بعد الاستعمار. وأصبحن في موقع ثانوي لا يتناسب مع دورهن

٧١ سوسن مروة / نساء مبدعات - سيمون دي بوفوار/ صوت النساء ٢٠٠٨/٣/٢٠

٧٢ الاستاذ حفناوي بعلي /مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية / الدار العربية للعلوم / الطبعة الاولى ٢٠٠٩ ص ١٠١ ،١٠٥

في النضال. تحررت البلدان وبقيت النساء مستعمرات من قبل استعمار داخلي ممثلا بالرجل. تقول أ.ب.ماي النسوية الفيتنامية في مقال بعنوان: «اغتصاب عادي للغاية ...امبريالية مألوفة للغاية « انها تعرضت للاغتصاب كأنثى ضعيفة من قبل رجل قوي، وتقارن اغتصابها داخل المجتمع الذكوري باغتصاب الشعوب الضعيفة من قبل الاستعمار. نوعان من الاضطهاد : الاغتصاب هو نتيجة منطقية للتفكير الذكوري ، وقتل الشعوب هو نتيجة منطقية للتفكير الفاشي الامبريالي. وتصل الى نتيجة ان كل شعب رازح تحت السيطرة عليه ان يكافح امبريالية الاجنبي كي يسترد هويته واستقلاله، وعلى النساء ان يكافحن الامبريالية الذكورية كي يستردن هويتهن واستقلالهن»[٧٣].

والنساء الجزائريات بادرن دونما إذن من احد وقد صرن مقاومات وممرضات وفدائيات في ايديهن الخرائط والاقلام. كن بالامس القريب رازحات تحت نير نظام اقطاعي أبوي واستعمار جشع. وإذا بهن يتحررن من خلال الانتماء للمقاومة. المقاومة التي جردت المقاومين رجالا ونساء من صفتهم الجنسية ووحدتهم في البحث عن حريتهم جميعا»[٧٤]. والنساء الفلسطينيات انخرطن في الانتفاضة الشعبية الأولى، وقمن بدور مميز في الصدام مع المحتلين وفي التمرد عليهم، تعاركن مع جنود الاحتلال لتخليص الشبان وللحيلولة دون اعتقالهم. لكنهن عدن الى البيوت بعد ان حُوِلَ النضال الى داخل المجتمع ومن اجل تغيير سلوكياته بما يضمن السلطة الذكورية. التجربة الجزائرية جرى الانفصال بين الرجال والنساء مرة أخرى بعد التحرر من الاستعمار، تم إقصاء النساء من المشهد بعد ان حرمن من قطف ثمار الاستقلال. السبب يعود إلى فكر وثقافة حركات التحرر التي فصلت النضال الاجتماعي عن النضال الوطني. ولم تدرك بأن حرية المجتمع لا تتحقق إذا بقي نصفه غير حر. ولأن القوى اليسارية فشلت في تعبئة وتنظيم الكادحين من عمال وفقراء الفلاحين، وأخذت تتكيف مع الروابط القبلية والعائلية والعشائرية . ووفقا لذلك كان التعامل مع انخراط النساء تكتيكيا واستخداميا وبوضعية مؤقتة. لم يرتبط بالنضال التحرري وبعملية تحويل اجتماعي وبتوليد الموارد من داخل المجتمع.الامر الذي أدى الى فقدان التحرر لمضمونه الانساني ولعدالته الاجتماعية. وكان من المنطقي ان يكون الاستقلال عاثرا منقوصا. وأن يعاد انتاج علاقات التبعية.لم يكتف اليسار والقوى العلمانية بالاخفاق، بل ذهب البعض الى ابعد من ذلك بالتذيل للاسلام السياسي الصاعد. وفي ما يلي توضيح ذلك في التجربة الفلسطينية.

٧٣ مدخل في نظرية النقد النسوي / مصدر سابق / ص ٢٤٧،٢٤٨

٧٤ مدخل في نظرية النقد النسوي / مصدر سابق ص ٢٤٩

حركة حماس والنسوية الاسلامية

استعرضت د. إصلاح جاد النضال النسوي أثناء صعود م. ت.ف وبينت عناصر القوة وعناصر الضعف، انطلاقا من فكرة تقول : «إن أحد المعايير التشخيصية لكشف مضمون جوهر المشروع الوطني هو فحص كيفية بنائه للنوع الاجتماعي وعلاقات النوع الاجتماعي «الجندر».[٧٥]. في المرحلة الاولى» لم تعط فصائل المنظمة مساحة للنساء لتحديد أولوياتهن الخاصة ولتنظيمها والنضال من أجلها في منظمات نسوية مستقلة». ولم تملك الحركة الوطنية رؤية او ايديولوجية اجتماعية حول التغيير الاجتماعي.منير شفيق أحد المنظرين اليساريين في فتح طرح مفهوما محافظا عندما قال :»النساء يجب أن لا يتحدين التقاليد التي تنعكس في الادوار المهنية لعلاقات النوع الاجتماعي». كما ان كثيرا من القادة نساء ورجالا أقروا بأن اضطهاد النساء لا يوجد له حل. رغم ذلك دعت «مي صايغ» إلى تطوير الميثاق الوطني ليقرر بوضوح مبدأ المساواة وإعطاء النساء دورا حقيقيا، وتجاوز استخدام المرأة كمادة دعائية في الثورة.

المرحلة التي شهدت تأسيس منظمات نسوية في أواخر السبعينات سجلت تطورا ملموسا في العمل النسوي، وذلك من خلال التركيز على احتاجات النساء العملية التي كثيرا ما اشتملت على وسائل لتوليد الدخل وشبكة واسعة من رياض الاطفال والحضانات. نجحت المنظمات في بناء هوية جماعية للنساء وانشاء روابط بين نساء المدن ونساء الريف والمخيمات. كانت النساء جزءا عضويا من كل اشكال الرئيسية للمقاومة.[٧٦].

كما نرى فإن تشخيص ونقد د.جاد للحركة النسوية في إطار م.ت. ف اتسم بالموضوعية. لكن تنصيب حركة حماس للنضال الوطني بهوية اسلامية، افتقد للموضوعية كما جرى توضيحه ونقاشه في مكان آخر. وبدت محاولتها تنصيب المنظمة النسوية الاسلامية على رأس النضال النسوي الفلسطيني أقل موضوعية. ولا يغير من لا موضوعية الكاتبة محاولتها ايجاد دور ترشيدي لليساريات وللعلمانيات في عملية التحول نحو الاسلام السياسي، هذا الدور الذي لا يعدو كونه تذيلا للاسلام السياسي. ويمكن تحديد الملاحظات التالية :

أ- ترجح الكاتبة الرأي الذي يعتقد ان باستطاعة المنظمات الاسلامية ان تكون جزءا من مجتمع مدني، وتتحدث عن دراسات معمقة تقول بأن حقوق النساء قد زادت ودعمت من قبل التيار الاسلامي[٧٧]. وهذا يتناقض مع

٧٥ نساء على مفترق / مصدر سابق ص ٧٥
٧٦ نساء على مفترق / مصدر سابق ص ٢٨- ٣٨
٧٧ نساء على مفترق/ مصدر سابق ص ١٠١،١٠٢

الارقام والمعطيات في البلدان التي يحكم فيها الاسلام السياسي كإيران والسودان وباكستان وأفغانستان.

ب- **النسوية كما تقول الكاتبة : اي حركة ترفض بشكل واع أنماط التفكير والممارسات التي تنشيء تمييزا قائما على أساس النوع الاجتماعي (الجندر) وتنشط وتعمل لاسقاط الظلم القائم على الجنس». وتتحدث عن نسويات اسلاميات يدركن اشكال الاضطهاد الخاص الواقع على النساء اللواتي يسعين بفعالية الى تصحيحه بالاستناد الى مباديء اسلامية. غير أن النساء المنتميات للاسلام السياسي عارضن بشدة مسودات قانون العقوبات التي قدمها المجلس التشريعي الاول التي تضمنت تخفيف التمييز – وليس إزالة التمييز– في العقوبات بين الجنسين. ونظمن مسيرات جماهيرية كبيرة في قطاع غزة ضد التغيير ومن اجل الحفاظ على القانون الاردني الرجعي الذي تراجعت عنه بلد المنشأ، وترافق النشاط النسائي الاسلامي مع تهديد قيادة حماس بالرد الشديد على التغيير. واستخدم المؤتمر الخامس للنساء لاطلاق هجوم ضخم على المسودة المقترحة. والنتيجة كانت إفشال المشروع. وتحت ضغط الاسلاميين أضيف بند الشريعة كمصدر رئيسي**

ج- **للتشريع والاسلام دين الدولة، في بلد هو منشأ الديانات، وشهد مستوى من التعدد الديني والثقافي والسياسي.**

د- **شجعت قيادة الاسلام السياسي مشاركة الطالبات في انتخابات الجامعات من منطلق براغماتي صرف هو الفوز في الانتخابات او تعزيز وجود الحركة الاسلامية في الجامعات ولم تنطلق المشاركة من القناعة بحق الفتيات بالمشاركة. وانطبق ذلك على على المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي وفي انتخابات المجالس المحلية.**

ه- **« أصبحت النساء للمرة الاولى يشكلن اهتماما استراتيجيا للحركة الوطنية هذه المرة تحت راية الاسلام السياسي.[٧٨] لأن حزب الخلاص الاسلامي (منظمة جماهيرية تابعة لتنظيم حماس) ضم الى صفوفه عددا كبيرا من الخريجات والمهنيات، ونساء اصبحن لاحقا جزءا من الحركة الفكرية، ولان الدائرة النسائية حققت نجاحا ملحوظا في تعبئة عدد كبير من النساء للدفاع عن الحزب وفي الدفاع عن الشريعة، علما ان الحزب العتيد انتهى مع صعود حماس في الانتخابات عام ٢٠٠٦ . يمكن القول هنا ان التوسع**

٧٨ نساء على مفترق/ مصدر سابق ص ١٤٠

الحزبي والاهتمام الاستخدامي شيء والاهتمام الاستراتيجي شيء آخر.

و- تقول د جاد : « ايديولوجية حماس تتغير مع تطور قوة النساء الاسلاميات. وتستعرض مواد النظام الداخلي لحركة حماس الخاصة بالنساء. فهي مصنع للرجال ودورها في توجيه الاجيال، ورعاية البيت وتنشئة الاطفال على المفاهيم والقيم الاخلاقية».[٧٩] . تتابع د. جاد « النساء الاسلاميات تمكن من تغيير هذه الرؤية، كيف؟ كانت النساء الاسلاميات قوة حاسمة في توسيع قواعد حماس في الحركة الطلابية، وكان لهن حضور في الجمعيات الخيرية ، والحصول على هبات مهمة من رجال الاعمال المسلمين ، وتنظيم مهرجان المرأة المسلمة كبديل ليوم المرأة العالمي. السؤال ما علاقة هذا الحراك بالمضمون وهو « تحرر النساء» لطالما بقيت النساء في إطار القبضة الذكورية، وبقيت النصوص الناظمة على حالها.

ز- التطور الذي تستند اليه د. جاد هو افكار مطروحة في أوراق عمل مقدمة في يوم دراسي او في مؤتمر وهي افكار فردية غير معتمدة من قبل الاطار النسائي ولا الحزبي، ولا تعبر عن تحول في الموقف. والغريب في قول ان بعض الاوراق

ح- كانت «محاولة منهجية لنزع الشرعية عن المجموعات النسوية غير الاسلامية « هذا الموقف يتناقض مع الديمقراطية ومع التعدد ومع الحق في الاختلاف والنقد. ثمة فرق بين نقد يكشف خطورة سياسة معينة ويدينها ويطالب اصحابها بالتراجع عنها ويخلق رأياً عاماً ضدها وبين نزع الشرعية والاقصاء». ان المطالبة بمنع تعدد الزوجات أو وضع قيود عليه، وممارسة حق الطلاق،وإثارة موضوع الاختلاط بالرجال وإعادة تفسير النصوص والصيغة المعدلة للشريعة، هذه أصوات مهمة لكنها اصوات فردية غير ملزمة ولم تتحول الى سياسة عامة ولا ترتقي الى مستوى التغيير في المواقف ونصوص النظام الداخلي والبرامج المعتمدة. رؤية هذه المواقف وتشجيع اصحابها على تطويرها شي مهم والتعامل مع التغييرفي المواقف والسياسات باعتباره منجزا شيء آخر . يكفي القول ان تلك المواقف تبخرت في مدى زمني قصير نسبيا وتبخر معها حزب الخلاص.

٧٩ نساء / مصدر سابق ص ١٥٣

ط- تقول د. جاد « إن الاسلاميين في سياق بحثهم عن ارضية لهم كحركة وطنية اضطروا الى استعارة رؤى جديدة وإدخالها للتجاوب مع الاحتياجات العامة بهدف توسيع قواعد اتباعهم. وتضيف، ان تحديات الخصوم دفعت الاسلاميين للتعامل مع افكار مثل التعددية وحقوق النساء والصالح العام والتنمية المستدامة والذات الاجتماعية مقابل الذات الفردية وهي كلها افكار قام الاسلاميون باستعارتها من سياقها العلماني واعتمدوها». صحيح ان بعض الاسلاميين تفوهوا ببعض الشعارات وتقاطعوا مع مواقف، لكن هذا لم ينعكس على الخطاب السياسي الرسمي ولا على الوثائق في حين ظل الخطاب الديني التعبوي يفتقد الى المرونة. وكان الهدف من وراء ذلك توسيع النفوذ الجماهيري على حساب م.ت.ف. وتنظيماتها. وظل هذا الموضوع يراوح بين استخدام تكتيكي مؤقت وبين وجود بعض الكوادر البراغماتية داخل حماس تطرح هذه الافكار. وكانت المشكلة في المبالغة والتعميم والتعامل مع تحول قائم مع انه لم يتجاوز حدود الافتراض، وفي غياب النقد والتشخيص الموضوعي لواقع الاسلام السياسي كعامل مساعد في عملية التحول الافتراضي، والاستعاضة عن ذلك بالمبالغة في التطور. ويلاحظ ان حركة الاخوان المسلمين في كل البلدان لجأت الى تكتيكات مرنة لكنها سرعان ما تراجعت عنها وعملت بنقيضها بعد فوزها او بعد تحسن ميزان القوى لمصلحتها. لقد تعاملت د.جاد مع حماس باعتبارها حركة صاعدة مستقلة عن تنظيم الاخوان المسلمين العالمي، مع ان ميثاقها وسياساتها تخضع لمرجعية الاخوان الفكرية والسياسية والتنظيمية المحددة وغير القابلة للالتباس.

ي- ختمت د. جاد دراستها بالقول « هناك تناقضات كثيرة قد تؤدي الى احتمال الانغلاق والانكفاء ... تكون لها تأثيرات سلبية على النساء. ولكن على الرغم من كل ذلك « أرى ان نوع الدولة الاسلامية التي قد تقود اليها هذه الفعالية يعتمد على الاطار العام الذي يخطه العلمانيون» وتضيف « خطاب النساء الاسلاميات لا ينبع فقط من القرآن ولكن كذلك من التَماس الايجابي مع خطاب المجموعات الوطنية والعلمانية» وهذا بدوره سيدفع الاسلاميات للعودة الى النص الديني من اجل البحث عن قراءات جديدة ممكنة بغية الاستجابة للتحديات التي تنشئها المجموعات النسائية والنسوية الاخرى ويمكن لهذا التماس ان يكون الارضية المشتركة التي تتوحد عليها النساء الاسلاميات والعلمانيات عبر الدفع نحو قراءات جديدة للنصوص

الدينية»[٨٠] . توفيق غريب وعجيب يقفز عن فكر الاخوان وقيادتهم المحافظة اجتماعيا، ويقفز عن ميزان القوى الذي يحسم لمصلحة الاسلام السياسي في حالة الدولة الاسلامية، ومعروف بحسب تجربة ايران والسودان وجبهة الانقاذ في الجزائر التي رفضت التعدد ومارست ديكتاتورية ثيوقراطية، لكن مثل هذا التوفيق يحتفظ للعلمانيات «المهزومات» بدور إرشادي وبشراكة هي محض رغبة أو إسقاط لرغبة على الواقع المغاير. الغريب في الامر ان يتم ذلك في ظل دولة إسلامية تتوقع الكاتبة باحتمالات حدوثها من غير اعتراض لها من قبل الكاتبة العلمانية واليسارية. وكما اشرت لا يجوز لي نقاش نتائج وصول حماس للسلطة وطبيعة خطابها وممارساتها بعد ذلك لان النص ينتمي لفترة سابقة.

ثالثا : ركائز الفكر النسوي التحرري

الحداثة في التراث العربي الاسلامي، والحداثة الغربية المعاصرة، والحداثة النهضوية الاصلاحية، التي تحمل وتعالج قضايا اساسية ، كالتحديث السياسي والعلمانية وحقوق الانسان والمساواة والعدالة. وكانت حرية المرأة اساسية في الحداثة. تميز كارل ماركس «الفيلسوف الذي تتكامل في منظومته الفلسفية عناصر التحرر المتفرقة في من سبقه، وسواء كان ماركس يعبرعن فكر الطبقة العاملة ام عن العقل الكلي للانسان في لحظة تراكم للفكر العقلي وتفجرها في ذهنه العبقري. فإننا لا نجد في فكر ماركس أثرا لتفكير ديني او عنصري او ذكوري. الامر الذي يستدعي القول إن تحرر ذهن الرجال من الذكورية يكتمل بفلسفته الكونية التي حررت الوعي الفلسفي من آثار المراحل الاجتماعية السابقة»[٨١].

الملكة زنوبيا نموذجا

وبالذهاب الى التراث العربي قبل الاسلام تستوقف المرء تجربة الملكة زنوبيا او «الزباء»، الشخصية التاريخية التي وضعت خطة لاقامة دولة حقيقية مستقلة في مواجهة الاحتلال الروماني لسورية. ونجحت في إقامة تلك الدولة المدنية. كانت من الملوك المعدودين مثقفين في عصر الثقافة الهللينية (مزيج من ثقافة اليونان وثقافات آسيا الغربية). سواء لجهة إتقانها عدة لغات ، او لجهة استقدام الفيلسوف الروماني «كاسيوس ديونيسيوس» وجعلته مستشارا لها. واستدعت ايضا المؤرخ «كليكراتس».وفلاسفة وكتاب من شراح الفلسفة اليونانية. كان من بين

٨٠ نساء على مفترق ص ١٧٣

٨١ هادي العلوي/ فصول عن المرأة في الجاهلية والاسلام/دار الكنوز الادبية /بيروت – لبنانطبعة أولى ١- ١٩٩٦ ص ٨٣

سكان تدمر عدد كبير من اليهود وجدوا الامن في ظلها. امتدت مملكة الزباء من الفرات الى البحر المتوسط ومن صحراء العرب الى آسيا الصغرى. ودامت ١٧ سنة الى ان هزمها امبراطور اورليانوس وقام بتدمير المملكة وأسر الملكة عام ٢٨٤م. الزباء من عجائب التاريخ النسوي ويصعب العثور على قرين لها في

النساء. لكن البعض شبه (جان دارك)الفرنسية التي قادت حرب المقاومة الفرنسية ضد الانجليز وقدمت حياتها ثمنا لوطنها بالزباء»[٨٢].

ثلاثة من عظماء الاسلام كانوا من أنصار المرأة ومع مساواتها بالرجل بلا تحفظ . ابو ذر الغفاري، صاحب مقولة: عجبت لمن لا يجد قوتاً **في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه «.و روزبة الاصفهاني (سلمان الفارسي)، وابن رشد. ويضاف اليهم ابو العلاء المعري. كانوا مع الملكية العامة ومع الانحياز للفقراء وكانوا مع احترام ومساواة المرأة. التزموا بالعائلة الوحدانية ضد تعدد الزوجات. الثورة الاسماعلية ولبنتها القرمطية الغت الزواج التعددي تأثرا بأفكارهم، لكنها أجهضت. وأمر المعز لدين الله الفاطمي بلزوم الزوجة الواحدة، وكان ابو العلاء المعري هو المروج الاكبر للعائلة الوحدانية لكن ثورته بقيت في بطون الكتب"[٨٣].**

و»تجربة الصّالون الأدبي بالمدينة في بيت حفيدة الرّسول (ص) سكينة بنت الحسين، وهي نبيلة شاعرة، ناقدة من أجمل نساء عصرها، تجالس الأجلة من زعماء قريش، ويؤم مجلسها كبار الشعراء، وروى أحد معاصريها قائلا : أتيتها وإذا ببابها جرير، والفرزدق، وجميل، وكثير، وكانت من أجمل النّاس شَعرا (بفتح الشّين) تصفّفه تصفيفا لم ير أحسن منه، وأصبح نموذجا تقتدي به نساء المدينة عرف «بالطرة السكينية» نسبة إليها.

من هو المغفل الذي يعتقد أنّ حفيدة الرّسول كانت تدير مجلسها الأدبي، وهي منقبة، وكيف يمكن أن يرى النّاس جمال وجهها، وتصفيفة شعرها إذا كانت منقبة ! أسعفتني الذّاكرة بتألّق صورة أخرى، صورة عائشة بنت موسى حفيدة الصّحابي الجليل طلحة بن عبيد الله، أما أمها فهي أم حكيم وجدها للأب هو أبو بكر، فجداها للأب وللأم من المبشرين بالجنة، وخالتها عائشة أم المؤمنين، وأخبارها مع الشّعراء كثيرة، ولعمر بن أبي ربيعة غزل بها.

كانت عائشة لا تستر وجهها فعاتبها زوجها مصعب بن الزّبير في ذلك فقالت : «إن الله قد

٨٢ هادي العلوي / مصدر سابق ص ٢٥،٢٦،٢٧

٨٣ هادي العلوي / مصدر سابق ص ٧٩،٨٠

وسمني بميسم الجمال أحببت أن يراه النّاس، فما كنت لأستره، ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد».

حدث ذلك من حفيدة النبي العربي، ومن حفيدة رفيق دربه أبي بكر قبل ما يربو عن أربعة عشر قرنا، ويحدث اليوم ما يحدث في كلية الآداب بمنوبة في مطلع الألفية الثالثة [٨٤]!

فلسفة ابن رشد

تدعو فلسفة ابن رشد الى مساواة المرأة بالرجل بشكل كامل وصريح. بالاستناد الى المساواة النوعية بين المرأة والرجل في امتلاك العقل. وإذا كان هناك اختلافات بين الجنسين فهي اختلافات كمية وليست نوعية،وتنضوي في إطار الفروق الفردية بين البشر, يقول : النساء والرجال نوع واحد في الغاية الانسانية فإنهن بالضرورة يشتركن وإياهم في الافعال الانسانية. وهن أهل لفعل جميع ما يفعل الرجال من حرب وفلسفة ونحوهما، والاختلاف يكون بالدرجة. الرجال أكثر كدا في بعض الاعمال والنساء اكثر حذقا في بعض الاعمال كما في صناعة النسيج والخياطة وكفن الموسيقى، مع ان كمال هذه الصناعة هو بالتلحين من رجل والغناء من امرأة. ويؤكد ان الكثير من المهن التي يعتقد انها حكر على الرجال يمكن للنساء القيام بها. ومن بينها ان يكن فيلسوفات ورئيسات ومحاربات.

ويعترض ابن رشدصراحة على استبعادالمرأة من ان تكون حاكمة، يقول: ولما ظن ان هذا الصنف من النساء نادرا منعت بعض الشرائع النساء من الامامة الكبرى ، وقد اختلف علماء المسلمين في إمامة المرأة، أجازها الشافعي والطبري، ورفضها الامام مالك. إن النساء يصلحن لتولي الرئاسة وانتاج الحكمة ولا تعوزهن الفطنة ولا ينقصهن العقل لتحقيق ذلك.

هكذا حرص ابن رشد على تأكيد المساواة بين الجنسين بالبرهنة العقلية والتجريبية. وقد ارتبط ذلك بمشروع التجديد السياسي والاجتماعي الذي يطمح في جعله حقيقة واقعة في مجتمعه وعصره. ودعا

جمهور النساء الذي كان يشكل ثلثي المجتمع في ذلك الزمان، للمشاركة في الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية للنهوض بالمجتمع[٨٥]. ابن رشد الذي عمل على إعادة تأصيل الأصول في كل مجال من مجالات الثقافة العربية الإسلامية، في العقيدة والشريعة والفلسفة والطب والعلم واللغة والسياسة• وكتب أكثر من خمسين كتاباً. هذا الفيلسوف والعالم والفلكي والطبيب كُفِّرَ، وأحرقت كتبه وحظرت من التداول. ومن المفارقات ان الايطالية (الكسندرا دي فيدل)

٨٤ الحبيب الجنحاني / يستطيعون قطف كل الزهور ولكنهم لا يستطيعون حجب الربيع / فصل من كتاب / الاوان – 12/10/2012

٨٥ فريد العليبي / صوت النساء عدد ٢٨٨ –أيار / ٢٠٠٨

استمدت مجدها في القرن ال١٣ من الدفاع عن أطروحات ابن رشد[٨٦]، لكن فيلم المصير الذي تحدث عن محنة ابن رشد حورب من قبل الاسلام السياسي، وتعرض يوسف شاهين مخرج الفيلم والممثلون والممثلات للتحريض، وقامت مجموعة من الطلبة الاسلاميين بمنع عرض الفيلم لطلبة الاعلام في جامعة بير زيت.

رابعا : بصمات من عصر النهضة

كان يمكن ان تكون حرية المرأة أساسية في الحداثة الفكرية العربية لا فرعية وأن تسمى سفورا. . السّفور كان مشروع مجموعة من مثقّفين مصريّين (لطفي السيد، طه حسين، علي عبد الرازق،أحمد

امين، منصور فهمي)، هؤلاء أسّسوا سنة ١٩١٥ صحيفة باسم «السّفور»، وكانوا يدعون إلى السّفور بالمعنى الشّامل: «سفور المرأة، والسّفور في كلّ أبواب التّقدّم والصّلاح»، وكانوا يرون أنّ «المرأة ليست وحدها المحجبة في مصر، ولكن نزعات المصريين وفضائلهم وكفاياتهم ومعارفهم وأمانيهم كلها محجبة»[٨٧].

يقول الشيخ محمد عبده «لو أن في الشريعة الإسلامية نصوصاً تقضي بالحجاب، على ماهو معروف الآن عند بعض المسلمين، لوجب عليّ اجتناب البحث فيه، ولما كتبت حرفاً يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرة في ظاهر الأمر، لكننا لا نجد نصاً في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة، وإنما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وبالغوا فيها وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين والدين براء منها»[٨٨].

مبدأ القوامة بقي صخرة صمّاء حافظ عليها أغلب مصلحي النّهضة العربيّة وروّادها : من قاسم أمين إلى محمّد عبده ونظيرة زين الدّين ورشيد رضا. إنّ محاولات الاقتراب من هذه البؤرة والتّصدّي لها

في عصر النّهضة كانت مغامرات خطيرة، أدّت إلى الاحتراق أو إلى النّبذ، أو استوجبت خروجا من الملّة.

٨٦ هادي العلوي / مصدر سابق ص ٨٣

٨٧ بنيان الفحولة / مصدر سابق ص ١٧٥

٨٨ رجاء بن سلامة /من قضية المرأة الى أطيقا الشرق/ الاوان -٢٠١٢/١٠/٥

ومن ابرز تلك المحاولات التي تستعرضها رجاء بن سلامة هي : المحاولة البهائيّة التي كان منشأها إيران والاثناعشريّة، محاولة أبطلت حكم الشّريعة وساوت بين النّساء والرّجال.

كتاب منصور فهمي عن «منزلة المرأة في الإسلام» الذي نشر بباريس– جامعة السوربون سنة ١٩١٣ . نقد فهمي معاملة الشريعة للمرأة المسلمة. وكان الرد عليه بطرده من الجامعة المصريّة، ولم تر أطروحته النّور باللّغة العربيّة إلاّ سنة ١٩٩٧ أي بعد أكثر من ثمانين عاما على صدورها.

محاولة التونسي الطّاهر الحدّاد (١٨٩٩–١٩٣٥). وهي محاولة كتبت بالعربيّة، ولم تقم على النّقد ولا على الدّعوة إلى إبطال الشّريعة بمعنى «أحكام الفقه»، بل على تحويل ذكيّ تمثّل في تنسيب الأحكام القرآنيّة وتعريف للشّريعة على أنّها ليست أحكاما بل مقاصد سامية وقيما.: يجب أن نعتبر الفرق الكبير البيّن بين ما أتى به الإسلام وجاء من أجله، وهو جوهره ومعناه فيبقى خالدا بخلوده، كعقيدة التّوحيد ومكارم الأخلاق، وإقامة قسطاس العدل والمساواة بين النّاس، والنفسيات الراسخة في الجاهليّة قبله دون أن تكون غرضا من أغراضه فما يضع لها من الأحكام إقرارا لها وتعديلا فيها باق ما بقيت هي، فإذا ما ذهب ذهبت أحكامها معها. وليس في ذهابها جميعا ما يضير الإسلام، وذلك كمسائل العبيد، والإماء، وتعدّد الزّوجات، ونحوها ممّا لا يمكن اعتباره حتّى كجزء من الإسلام».

هذه المحاولة كانت جريئة في عصرها، وقد نبذ الكاتب في حياته، وطرد من الوظيفة وكفر. لكنّها كانت ناجحة فيما بعد لأنّها ألهمت المشرّع التّونسيّ في مجلّة الأحوال الشّخصيّة بعد أكثر من ربع قرن من صدور الكتاب، لا سيّما في منع تعدّد الزّوجات، وإقرار الطّلاق القضائيّ. وتحوّل الطّاهر الحدّاد في دولة الاستقلال إلى رمز وطنيّ، تسمّى باسمه دور الثّقافة والشّوارع، وتظهر صورته على الأوراق النّقديّة... ثمّ إنّها ناجحة إلى اليوم، لأنّ المدافعين عن المساواة يمكنهم إلى اليوم اعتمادها في سياق السّجال مع الإسلاميّين الذين لم يخرجوا من فلك الأحكام الفقهيّة[٨٩].

وفي سنة ١٩٢٨، كتبت الشّاميّة نظيرة زين الدّين في نداء لها إلى السّلطات : «لقد بلي بعضنا في هذا الشّرق بظلمات أربع : ظلمة نقاب من نسيج، وظلمة نقاب من جهل، وظلمة نقاب من رياء، وظلمة نقاب من جمود. فأمسينا في ظلمات بعضها فوق بعض». يلاحظ ان رواد النهضة الاهم لم يقتربوا من «قوامة الرجال» إلا بشكل محدود وخجول . «لكنهم ركزوا على الحجاب الذي مثّلت فيه المرأة استعارة عن جسد المجتمع وعقله، مجتمع لا يرى الضّوء

٨٩ رجاء بن سلامة / مصدر سابق

بسبب نقابه، تماما كالمرأة»[٩٠]. وانقلبت الصورة في العقود الاخيرة، حين تضعضعت القوامة بفعل انخراط المرأة في العمل المنتج وفي التعليم وفي المشاركة السياسية. وبفعل نجاحها المضطرد في مختلف مجالات الحياة، فأصبحت شريكا في إعالة الاسرة. هذا التطور دفع الاسلام السياسي لخوض معركة الحجاب بقوة وضراوة في محاولة لضبط السيطرة وعدم تمكين النساء من الافلات من قبضتهم. التطور الفكري الاهم جاء في عصر النهضويين المعاصرين عبر السجال الفكري المفتوح بين المفكر المغاربي محمد عابد الجابري والمفكر السوري جورج طرابيشي، ومفكرين آخرين.السجال بدأ في ثمانينات القرن العشرين واستمر حتى وفاة الجابري في أيار/ مايو ٢٠١٠، وصدور المجلد الخامس المعنون باسم (الانقلاب السني: من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث) الذي حاول فيه طرابيشي أن يقرأ ويراجع التراث اليوناني والتراث الأوروبي الفلسفي والتراث العربي الإسلامي في علم الكلام والفقه والتصوف واللغة.

تمحور السجال بين المفكرَّين حول الأسباب الحقيقية التي أدت إلى استقالة العقل الإسلامي. "نظرية الجابري تتمحور حول أن العقل العربي الإسلامي أقيل بغزوة خارجية، حيث تسلل له العدو من الخارج في قناع صديق تماما كما في قصة حرب طروادة التي تمكن أعداؤها من اقتحامها عن طريق حصان مصنوع من الخارج.

ويقول الجابري إن العقل العربي الإسلامي لم يتخلف ولم يغرب ويأفل ولم يستقل إلا نتيجة غزوة خارجية جاءته من رياح "الهرمسية" و"الغنوصية" و"الأفلطونية المشرقية". أما نظرية جورج طرابيشي

المضادة والاكثر إقناعا فتقول إن هذا غير صحيح، وإنه لا يمكن للعقل أي عقل أن يغزى من خارجه وأن يجبر على الإقالة من خارجه إذا لم تكن له القابلية الذاتية، فالعقل عندما يستقيل فإنما يستقيل نتيجة الآليات الداخلية قبل كل شيء.

الجابري حمل كل المسؤولية للخارج، ولم يتوقف إلا على المظاهر الخارجية معتبرا أنها هي التي أجبرت العقل العربي الإسلامي على الاستقالة ولا سيما في طبعتيه المشرقية والشيعية مشيرا إلى أن العرفان الشيعي أحد مظاهر استقالة العقل الإسلامي. وهذا الأمر فسره طرابيشي في الجزء الرابع من مشروعه (استقالة العقل الإسلامي). من خلال البحث في الآليات الداخلية لاستقالة العقل في الإسلام.

القضية الخلافية الثانية بين طرابيشي والجابري هي العلمانية : اعتبر الجابري العلمانية بأنها مجرد مشروع غربي لا تصلح للإسلام. وقال صاحب "نقد العقل العربي" إن "العلمانية هي فصل الكنيسة عن الدولة وليس في الإسلام كنيسة ليخلص إلى أنه لا حاجة للإسلام بالعلمانية".

٩٠ رجاء بن سلامة/ مصدر سابق

طرابيشي صاحب نقد نقد العقل العربي يقول بأن هناك فرق جوهري بين "فصل الدولة عن الكنيسة"وبين "فصل الدين عن الدولة". ويرى ان البذرة الأساسية للعلمانية في المسيحية هي قول المسيح: "أعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر". وفي الإسلام كانت البذرة قول الرسول : "انتم أدرى بشؤون دنياكم". وهذا يعني فصل الديني عن الدنيوي. ويرى طرابيشي ان الإسلام دين قبل اي شيء، ومن المفترض أن لا يتدخل في الدنيوي. الجابري وقع في الخطأ عندما قال لا حاجة للإسلام بالعلمانية لأنه لا وجود لكنيسة في الإسلام مع العلم أن الإسلام الشيعي والذي يمثل حوالي ربع عدد المسلمين فيه مؤسسة شبيهة بالكنيسة لا تقل سطوة وسلطة عن الكنيسة البابوية الكاثوليكية. وهناك في الإسلام سلطات دينية هائلة ممثلة في الأزهر ومؤسسات الفتوى المتواجدة في كل مكان، فالسلطة الدينية في الإسلام لا تكاد تختلف في المتانة والقوة عن السلطة الكنسية. والعلمانية هي تحرير الدولة من هذه السلطة أي منع السلطة الدينية من أن تتدخل في شؤون الدولة، ومنع السلطة السياسية أن تتدخل في شؤون الدين [٩١].

حاول الجابري ان يتوافق ويقترب من الاسلام السياسي، لكنه قوبل بالصد والتكفير من قبلهم. أما طرابيشي فقد انتصر للفكر التحرري.

خامسا : دور الادب في بلورة ثقافة التحرر

يقول المفكر إدوارد سعيد « لا شيء يستحق التوبيخ اكثر من تلك الطباع الذهنية للمثقف التي تغري بتجنب المخاطر والابتعاد عن موقف صعب ومبدئي، يدرك أنه صحيح لكنه يقرر ألا يتخذه». فثمة دور كبير للفكر في تنشيط وتعجيل عمليات التفاعل الاجتماعية والاقتصادية وفي نشر ثقافة التحرر. إن إحجام عدد كبير من المفكرين والمثقفين عن بحث مختلف المواضيع الاجتماعية بشكل جذري، بحجة ان المجتمع ما زال في مرحلة غير ناضجة لمثل هذه الابحاث بحكم تركيبه الاقتصادي والاجتماعي والحضاري، يسم الكثيرين منهم بالجبن او قصر النظر. إن الدور الرئيسي للمفكر والكاتب لا بد ان يكون دورا رياديا يسبق الكتلة الاجتماعية البطيئة الحركة ويمهد لاحداث التغييرات في بنية المجتمع»[٩٢].

الادب كان المجال الارحب لطرح القضايا الاجتماعية وفي مركزها مكانة المرأة. وكان الباع الاطول للاديب نجيب محفوظ وبخاصة في الثلاثية (بين القصرين، قصر الشوق، السكرية) صورة المرأة تعكس رؤية محفوظ تجاه الشخصية النسائية المصرية، ففي الجزء الأول من الثلاثية «بين القصرين» الزوجة الأولى للسيد أحمد عبد الجواد، ذات الرغبات

٩١ هادي يحمد / حوار مع جورج طرابيشي / موقع حكمة الالكتروني
٩٢ د. سلوى الخماش/ المرأة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف / الطبعة الثالثة / دار الحقيقة – بيروت ص ٨٨

الجنسية الجامحة، قد تحدّت زوجها فطلّقها، ويقابلها الزوجة الثانية أمينة وهي سيدة مسكينة خانعة ضيقة العقل محدودة الثقافة مستسلمة بلا شروط، كما نساء البرجوازية الصغيرة تربين على اعتبار الزوج سيدا لا يرد له أمر.

في «السكرية» سوسن فتاة ذكية متفتحة ومثقفة ومستقلة من الطبقة العاملة، وأحمد يتخيل نفسه عن طريق المؤلف بانه تقدمي وراديكالي ورغم ذلك يبدي معظم اهتمامه برؤية الانثى في سوسن واللمسات الحسية وليس المرأة المتحررة والحوار العقلاني الذي يتناول الشؤون العامة والحالة الاجتماعية.... يقول أحمد دعيني أصارحك انني كنت آمل بفتاة عاطفية لا بفكر محاسب. تمثل سوسن المرأة الجديدة ونوعا فريدا من النساء اللواتي عرفهن احمد. فهي تكسب قوتها بيدها وتتخذ القرارات التي تهمها وتتعلق بمصيرها، وتحاول ان تنمي مقدرتها العقلية ومهتمة بانجازات احمد الثقافية والفكرية، تمثل المرأة التي لم تعد تعتبر جسدها كرأس مالها الوحيد.

شخصية أحمد عبد الجواد في «بين القصرين» يتوقع من زوجته أمينة أن تكون ابدا جاهزة لخدمته مهما كانت ساعة عودته ليلا او فجرا من سهراته الغرامية. كان نموذجا للسلطة الذكورية بهيئة رجل صارم وقور في المنزل.وكان يتحول مع اصدقائه في صحبة العالمة والمغنيات الى زير نساء وسكير. وصفته عشيقته زبيدة : يا لك من رجل مظهره الوقار والتقوى وباطنه الخلاعة والفجور[٩٣].

وفي رواية «اللّص والكلاب» يقدّم نجيب محفوظ نموذجين للمرأة هما نبوية زوجة سعيد مهران، ونور الفتاة المومس عشيقة مهران. في هذه الرواية يعيش سعيد مهران أزمة حادّة بين زوجته الخائنة التي يتأهب لينتقم منها ومن عشيقها، أمّا نور البغي التي حمته من مطاردة الكلاب/ الشرطة وموّهت عليهم، وكانت راغبة به زوجاً، لكن مهران لم يكن يأبه بنظراتها المتودّدة ولا بحبّها له، على الرغم من موقفها الشريف منه ومغامرتها بحمايته ورفضها المكافأة السخية التي عرضتها الشرطة لقاء القبض أو الإرشاد على مخبأ مهران، وتختفي نور من حياة مهران دون أن يفصح محفوظ عن مصيرها أو مكان اختفائها[٩٤]. وهنا يصدم نجيب قيم المجتمع وهو يقدم المومس كضحية وشخصية ايجابية، ويقدم الزوجة كضحية سلبية.

تقدم لطيفة الزيات في رواية (الباب المفتوح) صورة مريرة لواقع الفتاة المصرية على لسان بطلة الرواية ليلى: عندما تولد البنت يبتسمون ابتسامة تسليم، وعندما تكبر يسجنونها،

٩٣ سلوى خماش / مصدر سابق ص ٨٢
٩٤ نايف النوايسة / نساء نجيب محفوظ / جمالية -٢٠١٠/٥/١١

ويدربونها على فن...تبتسم وتنحني وتتعطر وتترقق وتكذب وتلبس كورسيه يشد خصرها ويرفع صدرها لكي يرتفع سعرها في السوق وتتزوج اي انسان ...والدنيا عايزة كده. ولكن يجب ان تكون حريصة جدا ، يجب ألا تحس وألا تشعر وألا تفكر وألا تحب وإلا قتلوها»[٩٥].

ويقدم احسان عبد القدوس نموذجا للمرأة المتحررة في روايته (أنا حرة) من خلال امينة

الفتاة المتفتحة شديدة الحيوية والذكاء، التي ناضلت بكل جهدها حتى تحقق حريتها في العمل والفكر كي تكون قادرة على ان ترفض وتختار حسب ارادتها الحرة. تمردت على التقاليد. وعندما تلتقي عباس تنجذب الى آرائه التقدمية وتعجبها ذهنيته وإخلاصه للعمل الذي يقوم به، وتقع في حبه. تحررت أمينة ولم يكن تحررها هبة من المجتمع بل عبر صراع كانت بطلته»[٩٦].

رواية (دعاء الكروان) للاديب طه حسين تطرح مأساة هنادي التي تدفع الثمن مرتين، الأولى اعتداء «سيدها» المهندس عليها بعد ان وقعت في حبه، واستغلالها بشكل بشع. والثانية قتلها بذريعة «الشرف» امام اختها آمنة التي تقرر، بعد أن عاهدت نفسها مع دعاء الكروان في القرية، الإنتقام لأختها وهناك في منزل المهندس، تحاول أن تنفذ العهد بالإنتقام ولكنها لا تقوى، فقد تحرك قلبها وبدأ يميل نحو هذا المهندس. إلا أنها تدوس على مشاعرها وترفض البقاء معه وتقرر الرحيل عنه لأن طيف أختها «هنادي» سيبقى حاجزاً بينها وبينه. رواية تقدم المرأة الضحية التي تتعرض لابشع استغلال طبقي وجنسي، لكنها بدت سواء عبر شخصية هنادي او شقيقتها آمنة متفوقة أخلاقيا وإنسانيا على السلطة الذكورية.

هذا اللون من الادب والفكر وامتداداته الفنية في (السينما والمسرح)، دعم تحرر المراة والمجتمع من موقع الطبقة الوسطى، وفي مرحلة انتقال المجتمع من الاقطاع الى الرأسمالية، والانتقال من منظومة قيم عبودية الى مستوى التحرر بسقف برجوازي. كان للادب وامتدادته في السينما والاذاعة بصمات قوية في صياغة ثقافة التحرر ونشرها وسط نخب (الطبقة الوسطى) لكنها لم تصل الى السواد الاعظم من نساء الطبقات الشعبية. نقد الادب الواقع المتخلف والقهر، وقدم نماذج انسانية متحررة، وشكل دعامة لتيار التقدم الذي فرضه التغيير الموضوعي الاجتماعي والاقتصادي.

٩٥ سلوى خماش / مصدر سابق ص ٨١
٩٦ سلوى خماش / مصدر سابق ص ٥٦

الكاتبة والقاصة الفلسطينية سميرة عزام انتمت الى فكر تنويري نقدي جريء. دخلت الحقل المليء بالالغام في القضايا الاجتماعية وفي مركزها قضية المرأة. احتلت مكانة رائدة في طرح تحرر المرأة الفلسطينية، بابراز دورها الايجابي في النضال. قالت في قصة (خبز الفداء) :» فلسطين

ليست بحرا ومراكب صيادين، وليست برتقالا يتعلق كالذهب. وليست زيتونا وزيتا يملأ الخوابي، انها عينا سعاد السوداوان ايضا وحبها الذي جعل معنى لوجودها. سعاد هي الفتاة التي اختارت المقاومة بعد ان رفضت الرحيل مع أخيها الذي ضغط عليها وضربها ولم تجد امامها غير الفرار الى

مواقع القتال ضد المحتلين. سعاد الفتاة المتمردة المقاتلة انفجرت في وجه حبيبها، وقالت لا ليس بسببك، صحيح أنني أحبك ولكنك لست كل شيء.

نص بالغ الدلالة لهذه الكاتبة المبدعة في اختراق عادات وتقاليد سائدة، فَصَلَتْ الشرف والعرض الشخصي والعائلي عن الشرف الوطني. اخترقت سميرة عزام بجرأة استثنائية ثقافة المجتمع الذكوري التي فَصَلَت الكرامة الشخصية عن الكرامة الوطنية وحاولت الحفاظ على المرأة كجسد يملكه المجتمع المنكوب، والحفاظ على الشرف كذات. أرادت ان تقول عبر بطلتها (سعاد) ان الدفاع عن الوطن وكرامته لا ينفصل عن الدفاع عن الكرامة والشرف الشخصي والعائلي.

وقدمت سميرة مفهوما للحب الذي يدمج الانسان بالوطن، فجاء انحياز سعاد لوطنها ولحبها ليوحَّد بين الوطني والانساني. كان حب الوطن قيمة انسانية اندمجت بقيمة انسانية أخرى هي حب إنسان هذا الوطن. فعندما التقت سعاد بحبيبها قالت :»لا ليس بسببك، صحيح انني أحبك ولكنك لست كل شيء». ومع اشتداد المعارك سقطت سعاد برصاص المعتدين اثناء محاولتها اختراق الحصار وصولا الى موقع الثوار. هكذا، لا الوطن وحده ينفرد في المشهد ولا الحبيب وحده ينفرد، لا قيمة لوطن من دون انسان ولا قيمة لانسان من دون وطن. ديالكتيك الوطن والانسان الحب الانساني وحب الوطن تلك كانت رسالة سميرة عزام.

مسألة هامة أخرى طرحتها سميرة عزام هي المرأة كشريكة للرجل على قدم المساواة في صنع القرار. رفضت سعاد قرار شقيقها المنفرد بالذهاب معه، وعندما التحقت بحبيبها قالت له لست كل شيء. ارادت سميرة عزام ان تقول ان المرأة لديها شخصيتها واستقلالها وهي بناء عليه غير ملحقة بالرجل شقيقا كان ام حبيبا.

فدوى طوقان النموذج الفذ، انها قصة نجاح ملهمة، قصة الشعر الذي يهزم التسلط الذكوري . قصة فتاة تخوض عبر شعرها صراعا مفتوحا على حريتها. شعرها الرومانتيكي جعلها متمردة على ما أعدت لها الذكورة من مصير كما يقول الشاعر محمود درويش. يتسلل شعرها عبر سدود وعوائق السلطة الذكورية ليصدح ويحلق في فضاءات بلا حدود. ارتبط شعرها منذ البداية بحقها الطبيعي في الحرية والحب. وكانت إرادتها أقوى وسلاحها أقوى، فنجحت في فضح الثقافة الذكورية الإقصائية التي تعاملت مع المرأة بوصفها جسدا يملكه الرجال. قدمت فدوى تجربة نسوية رائدة في الاحتجاج على ظلم المجتمع. وبدأت رحلتها الجبلية بعد أن عوقبت بتهمة قبول وردة من فتى، اي بتهمة الحب. كانت العقوبة فرض الاقامة الجبرية وزجها مبكرا في عالم الحريم وحرمانها من الدراسة. لكنها لم تستسلم بل قاومت عبر التعلم الذاتي والكتابة والشعر.

لم يثنها الظلم الاجتماعي عن البحث في شروط تحررها وتحرر شعبها الوطني، فدمجت نضالها الدؤوب من اجل انتزاع حريتها الفردية ومن اجل تحرر النساء والتحرر الاجتماعي، بالنضال العنيد ضد الاحتلال في سبيل التحرر الوطني. كانت الشاعرة فدوى مقاتلة شجاعة على الجبهة الثقافية عبر

شعرها الوطني والانساني فائق الجمال، وكانت ركنا من اركان الثقافة الوطنية والانسانية. وقد حفزت الشابات والشبان على امتداد الاجيال السابقة على مقاومة الاحتلال.

باب الشمس للمبدع الياس خوري في روايته التي حصلت على جائزة فلسطين «باب الشمس» التي تتحدث عن نضال الشعب الفلسطيني، قدم الياس خوري مفاهيم جريئة للعلاقات الانسانية فاقت حدود التوازن والتكافؤ بين الرجل والمرأة ليرجح كفة المرأة. لقد اطلق خوري العنان لمشاعر أبطاله الحقيقية من الرجال والنساء في صراعهم مع الاحتلال. يقول : يفيض الحب في المرأة العاشقة فتصبح لينة متماوجة أما الرجل فلا.المرأة جديدة دائما، رائحتها تدلك عليها انها رائحة العالم. الرجل يحتاج الى امرأة كي يموت، أما المرأة فتستطيع إذا شاءت ان تموت وحدها. متى تنقطع اخبار النساء فهذا يعني اقتراب النهاية. المرأة لا تهرب إلا حين تنطفىء الحياة. ويمد خوري أفكاره الى نهايتها عبر شخوص روايته بالقول : لماذا يستيقظ داخلنا مايشبه الانوثة، نعم يصبح العاشق كالانثى. يقدم خوري نموذج العلاقة الانسانية الحميمة بين يونس بطل الرواية الفدائي الذي يحمل اسم «ذئب الجليل» يعبر الحدود ليلتقي مع زوجته نهيلة المواطنة الجليلية، في مغارة باب الشمس. تقول نهيلة انها ولدت من جديد

في المغارة وهي تدعس حبات العنب كطقس احتفالي جليلي، ووتزوج زوجها الفدائي العائد متسللا والذي اتخذ من مغارة باب الشمس مكانا سريا له لا يعرفه سوى نهيلة. في باب الشمس احسست بشيء حقيقي، كانت الاشياء حقيقية تقول نهيلة، احببتك في ذلك المكان، كنت أجيء اليك وكأنني قادمة من النوم فوق الشمس. كنت انتظرك كي تأخذني اليك وتغطيني بجسدك وتنزع عن روحي الاشواك التي علقت بها. انتظرتك كي أشعر بأن الحياة حقيقية . كنت تجلب لي الكتب وتمضي وأنا أقرأ، قرأت كل الروايات والاشعار وحفظت القصص غيبا، كنت انسخ الكتب وأوزعها على الصديقات والاصدقاء، رواية غسان كنفاني رجال في الشمس نسختها مرات لا تعد. وكنت انتفخ من اجل أن لا أموت، أحبل فأحس الحياة تنبض في بطني وامتلىء. وانت كل مرة كنت تشتري حبك باحتمال موتك»[٩٧].

قناديل ملك الجليل للمبدع ابراهيم نصر الله

قناديل ملك الجليل، هذا العمل الادبي المشوق والمميز الذي يطلق عليه ايضا اسم (الملهاة الفلسطينية)، يتحدث فيه الروائي نصر الله عن تجربة ظاهر العمر التحررية في دحر رموز الامبراطورية العثمانية على ارض فلسطين وانتزاع الاستقلال وإقامة اول دولة فلسطينية. كان الملفت في هذه التجربة الرائدة ربط التحرر السياسي والوطني بالتحرر الاجتماعي وتحقيق نوع من العدالة والسلم الاجتماعي في ذلك الزمان القديم ١٦٨٩– ١٧٧٥. المرأة في هذا العمل الادبي كيان شريك في

فكر الشيخ الثائر ظاهر العمر الذي قال : تكون البطولة حين تسير امرأة بمفردها فيهابها الجميع لانها بطلة على جانبيها أطياف مئات البطلات والأبطال.. أريد شعبا من الابطال لا شعبا من الخائفين». وقد لعبت النساء دور الشريك في الحياة الاجتماعية وفي البناء وفي صد العدوان. شخصية «نجمة» أم ظاهر العمر كان لها حضور مميز وهي تشارك في القرار السياسي وفي الشأن الاجتماعي وفي الحرب طوال الوقت. ذهبت على جوادها لتفاوض سليمان باشا وجيشه الذي يحاصر طبريا. تأمل سليمان باشا الرسولة «نجمة» بقامتها المتوسطة وعينيها المشعتين، كانت ممتلئة بنفسها كما لو انها المنتصرة.. أحس سليمان باشا أنه أمام امرأة داهية. قالت له : جئت يا باشا لحقن دمائنا ودمائكم.. انتم لم تنتصروا ونحن لم ننهزم ومطلبنا ان تنسحب بجيشك». «وغزالة» تشارك بِشْرْ الفارس والزوج في كل شيء وتبدو احيانا متفوقة عليه في المبادرات وفي تحديد المواقف في اللحظات الحرجة. أما»شمة» التي تتمرد على

٩٧ الياس خوري / رواية باب الشمس

زوجها الخائن وتلتحق بالمدافعين عن طبريا، قالت : أريد سيفا وطبنجة وحينما أمسكت بهما عصبت جبينها ورفعت طرف ثوبها وعقدته في زنارها وتوجهت نحو سور المدينة المحاصرة لتدافع عن المحاصرين». و»وطفاء» امرأة صاحبة القرار، «تقدمت وبيدها رمح غرسته في الارض وواصلت طريقها الى داخل الخيمة، حيث كان الأمراء والشيوخ مجتمعين وخاطبتهم قائلة : لا أتحرك من هنا قبل أن أراكم تختارون من بينكم أميرا علينا». وكان الشيخ ظاهر العمر كان سندا للنساء اللواتي يتعرضن للاعتداء بداية بإنقاذه للفتاة التي كانت تتعرض للاغتصاب، وقد بارز بسيفه المعتدي وقضى عليه، واضطره هذا الموقف الى مغادرة طبريا مع كل عائلته تفاديا لردة الفعل، وانتهاء بالحكم على ابنه عثمان بالموت شنقا بعد محاولته الاعتداء على مرضعة حفيده

ولم يتراجع الشيخ عن قراره إلا بعد ان جاءت المرأة المرضعة وتنازلت عن حقها وفكت عن رقبته حبل المشنقة. المرأة حاضرة في هذا العمل الأدبي كإنسانة حرة وشريكة على قدم المساواة، ولم يستثن من ذلك الجواري. قال الشيخ للجارية الفاتنة «عيشة» التي أحضرها من جورجيا ليزوجها من قائد جيشه « الدنكزلي» : أنت حرة، تستطيعين ان تذهبي الى حيث شئت» وجاء ردها : في بيتك يا شيخ لا يمكن أن يكون هناك سوى الاحرار، لن اترك بيت عشت فيه حرة الى مكان أعيش فيه جارية. وفسر الشيخ موقفه من تعدد الزوجات بالقول :» أنت تعرفين يا أمي أنني لن أطعن قلبها بزوجة أخرى لانها لا تنجب»، هنالك دائما امرأة واحدة تسكن القلب وتراقب ساخرة كل اننساء اللواتي يعبرنه غريبات». لكنه تراجع وتزوج بضغوط من زوجته «نفيسة»! أخيرا فإن الحركة الرمزية المتكررة للفتاة التي انقذها ظاهر العمر من الاغتصاب والموت، تلخص علاقة الشيخ بالنساء. كانت بين الفينة والاخرى تصل الشيخ عباءة مطوية بعناية وداخلها صرة بيضاء ناصعة وداخلها جديلة تفوح منها كل روائح الكون الزكية. وترافق مع وصول أخر صرة صوت يقول : أنت لا تستطيع ان تتخيل يا شيخ كم نحس بأننا جميلات حينما نرسل اليك جدائلنا».[٩٨]

وفكر مضاد

مقابل ذلك برز لون آخر من الفكر الرجعي الذي دعم ثقافة التمييز وكان من بين نشطائه رموز مرتدة عن الفكر التقدمي. عباس العقاد واحد من ابرز الامثلة، عندما حاول إثبات الوضع التقليدي للمرأة، استنادا لكونها كما ادعى بأنها»مخلوق تابع وضعيف وذات إرادة سلبية نابعة من إحساسها العميق بأن الرجل سيدها»

٩٨ ابراهيم نصر الله / قناديل ملك الجليل / رواية / الدار العربية للعلوم ناشرون الطبعة الاولى ٢٠١٢

ويشتهر توفيق الحكيم ايضا بموقفه السلبي من المرأة ومن اقواله :»ليس للنساء عمل في الحياة غير الحب، أما حياة الرجال فهي حب العمل».»المرأة مخلوق تافه، صنعت من ضلع تافه من أضلاع أدم وخرجت من الجنة وأخرجته بسبب تافه». «آه للمرأة! إذا ابتلت بالجهل فهي مخلوق تافه، وإذا منحت الذكاء فهي مخلوق خطر». «المرأة الجميلة عدو الرجل المفكر»[٩٩].

٩٩ صاحب الربيعي/ النظرة الدونية للمرأة عند الحكيم / الحوار المتمدن /٢٠٠٥/١٠/٦

الباب الخامس

التمييز ضد النساء بالوقائع والارقام

الباب الخامس :

التمييز ضد النساء بالوقائع والارقام

إن تطور المجتمع ونجاح التنمية الانسانية والاقتصادية والنهوض في مختلف جوانب الحياة، يرتبط اوثق ارتباط بإشراك النساء (نصف المجتمع) في تلك العمليات. وذلك عبر إطلاق طاقاتهن وإزالة كافة العوائق التي تكبح دورهن وحقهن في المساواة. لقد أصبحت حقوق النساء الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية مكونا أساسيا من منظومة حقوق الانسان العالمية.و اصبح النضال من اجل تحقيقها في اي مكان مهمة محلية تحظى بدعم ومساندة عالمية استنادا للقانون الدولي. اين موقع المرأة الفلسطينية في هذه العملية من خلال الارقام والمعطيات.

اولا : المشاركة السياسية للمرأة في الاحزاب والتنظيمات السياسية والمؤسسات التمثيلية والحكومية إضافة لمؤسسات المجتمع المدني، باعتبارها أداة تحقيق للمشاركة، واداة قياس للتوجهات[١٠٠].

- **أ – المنظمة : تتمثل النساء بنسبة ٨٪ في المجلس الوطني الفلسطيني، تمثلت في بداية تأسيس المجلس الوطني عام ١٩٦٦ بنسبة ٤,٧٪. ٢١ عضوة من مجموع ٤٢٢ عضوا. وفي الدورة الرابعة للمجلس الوطني لم تشارك إلا امرأة واحدة تمثل اتحاد المرأة**

- **من أصل ١٠٠ عضو بنسبة ١٪. وفي الدورة الخامسة اشتركت امرأة واحدة من مجموع ١٠٥ أعضاء . واشتركت امرأتان في الدورة السادسة من اصل ١١٢ عضوا. وفي الدورة التاسعة عام ١٩٧١ شاركت ٤ نساء من مجموع ١٥٥ عضوا وفي الدورة العاشرة شاركت ٣ نساء لكن اتحاد المرأة ألغى مشاركة هدى عبد الهادي واستبدلها بعضوية رجل. وفي الدورتين ١١، و١٢ تمثل الاتحاد ب ٤ عضوات . وشاركت المرأة بعضوة واحدة في المجلس المركزي للمنظمة في تلك الفترة.[١٠١] وتتمثل النساء بنسبة ٥٪ داخل المجلس المركزي للمنظمة الان، وبعضوة واحدة في اللجنة التنفيذية للمنظمة – لأول مرة عام ٢٠٠٩– من أصل ١٨ عضوا بنسبة**

١٠٠ مجلة الفلسطينية / الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية / شتاء ٢٠١١
١٠١ غازي الخليلي / مصدر سابق ص١١٤

٥,٥٪ من عدد الاعضاء الذكور.

- **ب– السلطة تتمثل النساء بنسبة ١٣,٢٪ في المجلس التشريعي المنتخب في الضفة والقطاع والقدس. وسابقا تمثلت النساء في اول انتخابات بخمس نساء بنسبة ٦٪ عام ١٩٩٦. جاءت الزيادة بالاعتماد على نظام الكوتا النسائية في انتخابات ٢٠٠٦. وتتمثل النساء بنسبة ١٩٪ في البلديات والمجالس المحلية.**

- **تشغل ٥ نساء حقائب وزارية في الحكومة الحالية (حكومة سلام فياض) من اصل ٢٥ وزيرا بنسبة ٢٠٪.**

- **تشغل النساء ما نسبته ٥,٤٪ من عدد السفراء في السلك الدبلوماسي الفلسطيني.**

- **. تشغل امرأة واحدة منصب محافظ – رام الله والبيرة – وامرأة اخرى نائب محافظ نابلس وامرأة على رأس الجهاز المركزي للاحصاء. وامرأة على رأس سوق الاوراق المالية.**

- **المشاركة في الجهاز القضائي. عدد القاضيات ١١٪ مقابل٨٨,٧٪ رجال ونسبة النساء في منصب مدعي عام ١٣٪. وعدد المحاميات المزاولات للمهنة ١٧٪.[١٠٢]**

- **ج – مشاركة النساء في التنظيمات السياسية [١٠٣]:**

– حركة فتح : عضوة واحدة في اللجنة المركزية لحركة –– فتح من ٢٢ عضوا بنسبة ٤,٥٪. نسبة النساء في مؤتمر فتح ١٥٪ . نسبة العضوات في المجلس الثوري ١٠٪

- **الجبهة الشعبية : نسبة العضوات في اللجنة المركزية. ١٠٪ .**
- **الجبهة الديمقراطية نسبة العضوات في اللجنة المركزية ١٨٪**
- **حزب الشعب اعتمد كوتا نسوية بنسبة ٢٥٪ في جميع هيئاته .....**

١٠٢ الفلسطينية /مصدر سابق
١٠٣ كمال الشافعي ونسرين عواد / المرأة الفلسطينية في الاحزاب السياسية بين الحضور والغياب /أيار ٢٠٠٩

- **الاتحاد الديمقراطي، نسبة النساء في اللجنة المركزية ١٩٪ واعتمد كوتا بنسبة ٤٠٪ في هيئاته.**

- **تنظيمات الاسلام السياسي لا يوجد معلومات، باستثناء تجربة حزب الخلاص التي انتهت بمشاركة حماس وبفوزها في الانتخابات. وكانت مشاركة النساء فيها متقاربة مع التنظيمات الاخرى مع وجود عضوتين في المكتب السياسي لحزب الخلاص.**

يلاحظ ان نسبة النساء متدنية في هيئات المنظمة باعتبارها مركز القرار في الشأن السياسي كما في الشؤون الاخرى. وهذا يعبر عن ضعف الاهتمام بتفعيل نصف المجتمع ليشارك في المعركة الوطنية وفي تطوير المجتمع. إن بقاء هذا المستوى الضعيف من المشاركة النسائية على حالها لفترات طويلة، وبقاء البنية التنظيمية على حالها –رغم شيخوختها – من دون دماء وعقول جديدة، يفسر حالة الشلل والعجز وهمود التفاعل داخل المجتمع في الوطن وداخل التجمعات الفلسطينية. إن اي قراءة للخرائط التنظيمية من زاوية موقع النساء تكشف الى اي مستوى يتم هدر الطاقات القائمة والمحتملة داخل المجتمع، والى اي مستوى يتم إهدار نصف المجتمع نصف الشعب. كما ان بقاء الوضع على حاله وتكلسه بدون احتجاج واعتراض ونقض ديمقراطي من دون المطالبة بالتجديد والتغيير، يضعف إرادة التغيير، ويضعف بل يخرب بشكل متواصل ديناميات التغيير الداخلي ويهدد بحدوث تشوهات بنيوية. لا يوجد اختلاف نوعي بين بنية التنظيمات وبنية المنظمة من زاوية مشاركة النساء. وهذا وثيق الصلة بالافتقاد الى تميز في الفكر التحرري في حقلي النظرية والممارسة.

مؤسسات السلطة تحرز تقدما على صعيد إشراك النساء، كما توضح الارقام غير ان التقدم يندرج في إطار الشكل ولا يطال المضمون. بعضا منه يعود لاعتماد سياسة الكوتا النسوية، والبعض الاخر ياتي كاستجابة دعاوية للسياسات والمؤسسات الدولية التي تحث الدول على تطبيق اتفاقية (سيداو). ويمكن القول لا الكوتا ولا الاستجابة للسياسات الدولية يستطيعان تغيير واقع النساء إذا لم يرتبط بإرادة وسياسة تحرر في العامل الذاتي .

ثانيا : مشاركة النساء في سوق العمل [١٠٤]

- **المشاركة في القوى العاملة للنساء والرجال ١٥ سنة فأكثر كانت حسب آخر إصدار للجهاز المركزي للاحصاء الفلسطيني: ٦٦,٨ ٪ رجال مقابل ١٤,٧٪ نساء. المشاركة الأعلى للنساء في أنشطة الخدمات ٦١,٨٪ وفي الزراعة ٢١,٤٪. ويلاحظ ان المهن التي تمارسها النساء لا زالت تنحصر في المهن التقليدية.**

نسبة النساء العاملات بأجر من بين ال ١٤,٧٪ ٦٧,١٪. ونسبة النساء اللواتي يعملن ضمن الاسرة من دون أجر ١٩,٥٪.

- **معدل البطالة بين النساء والرجال للفئة العمرية ١٥ سنة فما فوق ٢٣,١٪ رجال مقابل ٢٦,٨٪ نساء.**

- **بلغت نسبة البطالة بين النساء اللواتي انهين ١٣ سنة دراسية فأكثر ٣٦,٣٪من بين النساء المشاركات في القوى العاملة مقابل ١٥,٧٪بين الرجال المشاركين في القوى العاملة.**

- **الموظفون والموظفات في القطاع العام في الاراضي الفلسطينية ٦٣٪ ذكور مقابل ٣٧٪ نساء. في الضفة ٥٨,٩٪ ذكور و٤١ذ.١٪ إناث. وفي قطاع غزة ٧٠,٥٪ ذكور و٢٩,٥٪ إناث. ومن بين ٤٤ وكيل وزارة يشغل هذا المنصب ٣ نساء. ومن بين ٩٢ وكيل مساعد يشغل هذا المنصب ٥ نساء. ومن بين ٦٥٤ مديرعام يشغل هذا المنصب ٩١ امرأةن بنسبة ٨٦,١٪ ذكور مقابل ١٣,٩٪ نساء. وتشغل النساء ٦٥٪ من وظائف الدرجات الدنيا.**

- **النساء في موقع رب الاسرة ٩,٧٪ مقابل ٩٠,٣٪ رجال ويلاحظ ارتفاع الاسر التي ترأسها انثى من ٨,٨٪ الى ٩,٧٪. وتبلغ نسبة نساء الاعمال ١,٤٪ مقابل ٩٨,٦٪ رجال اعمال.**

- **نسبة النساء اللواتي يحرمن من حقهن في الارث وبخاصة الاراضي، وفي التملك عموما يناهز ال ٩٤٪. وهي ظاهرة تنطبق ايضا على النساء في العديد من المجتمعات العربية. على سبيل المثال « لا زالت نسبة ٩٣٪ من النساء المغربيات عاجزات عن المطالبة او التمتع بالحق في الملكية»[١٠٥].**

١٠٤ المرأة والرجل في فلسطين /الجهاز المركزي للاحصاء ٢٠١١
١٠٥ يوسف بومقدير/ أفيان / ٢٠١٢/٢/٢٣

النساء جزء أساسي من القوة المنتجة الافتراضية باعتبارهن نصف المجتمع لاي بلد وأي تعطيل او انخفاض في مشاركتهن يتسبب في انخفاض الانتاج العام. ويجعل التنمية عاثرة ولا تستجيب للحاجة الموضوعية. وعندما تكون نسبة مشاركة النساء الفلسطينيات ١٤,٧٪ تعد بالمقاييس العربية منخفضة لان مشاركة النساء العربيات في النشاط الاقتصادي وصلت الى ٣٣٪ بالمتوسط. علما ان مشاركة النساء العربيات تعتبر منخفضة ومن ادنى المستويات العالمية التي تنوف ال ٥٠٪. ان إخراج النساء من العملية الانتاجية وتجريدهن من اهم مقومات الاعتماد على الذات والاستقلال يجعلهن في وضع تبعي للسلطة الذكورية ويفقدهن الحرية والكرامة. نسبة مشاركة المرأة الفلسطينية المحدودة تهمش دورها داخل المجتمع.

غير ان موضوع الارث الذي يؤدي تطبيقه الى تمكين النساء الوارثات اقتصاديا ومعنويا ويعزز من مكانة المرأة وقدراتها وثقتها بنفسها. هذا الموضوع الحساس غير مطروح للبحث وهو من الاشياء المسكوت عنها. أولا من قبل المؤسسة الدينية وخطابها الدائم الهجوم على زي المراة وسلوكها وتحركاتها، لكنه لم ينبس ببنت شفه حول انتهاك النص الديني وإدارة الظهر لتوريث النساء وسرقة حقهن. وثانيا القوى السياسية وبخاصة اليسارية والمنظمات النسوية التي لم تطرح جريمة حرمان المرأة من حقها

في الارث على بساط البحث نهائيا! وتتواطأ مع التقاليد الرجعية التي تتعامل مع المرأة كقاصر وتفرض الوصاية الذكورية عليها. ولم تتجرأ على المطالبة بالمساواة بين الجنسين في الارث انسجاما مع تطور المجتمع.

ثمة معوقات اجتماعية وثقافية لعمل النساء في المجتمع الفلسطيني تبينها بوضوح الاستطلاعات. على سبيل المثال: ٩٣٪ من الاسر في الضفة و٩٩٪ من الاسر في القطاع لا توافق على ان تعمل المرأة المتزوجة في مدينة أخرى وتسكن وحدها. وترفض انتقال العزباء ولكن بنسبة أقل ٧١–٩٧ ٪ .

الانفصام في الموقف بين قبول المساواة بالاقوال ونقضها بالممارسة. الجميع مع المساواة بالاقوال و٥٠٪ ليس مع المساواة عندما يتم وضعهم على المحك العملي. ٤٨٪ من الذكور اعطوا الأولوية للرجال في العمل في حال ارتفاع نسبة البطالة.

ورفضوا وضع النساء والرجال على قدم المساواة[١٠٦]. وفي استطلاع آخر يكشف دور الثقافة الرجعية في إعاقة عمل النساء. هناك ٥٩٪ من المستطلعين الرجال لا يؤيدون عمل المرأة في مكان كله رجال، و٣٣٪ لا يؤيدون ان تعمل المرأة كمديرة مسؤولة عن عاملين رجال، ويؤيدون إناطة المناصب العليا للرجال فقط. وهناك ١٠٪ يؤيدون فصل المرأة الحامل من العمل. لا عجب «تلفزيون الآن»الممول من جمهورية ايران الاسلامية لم يجدد عقد اعلامية مميزة لان الادارة اكتشفت انها حامل! و٢٥٪ يؤيدون بقاء المرأة في البيت لرعاية الاطفال والمحافظة على زوجها. و٤٣٪ يعتقدون أن المرأة العاملة تتحكم بزوجها مقارنة مع المرأة غير العاملة[١٠٧]. وهنا بيت القصيد

يلاحظ توزيع الوظائف في القطاع الحكومي حسب النوع الاجتماعي، ووجود فرص تتقارب تدريجيا في الكم. أما في نوعية الوظائف أما في نوعية الوظائف فيغمط حق النساء ويميز ضدهن, القطاع الخاص يميز بدوره في الاجور ويمارس الفصل التعسفي ويتلاعب في العقود للتهرب من دفع نهاية الخدمة للموظفات والعاملات. بشكل عام ثمة تباين واختلاف في اجور النساء بالمقارنة مع أجور الرجال. ويقل التباين كلما زاد المؤهل العلمي الذي ترجح كفته لمصلحة النساء.

ثالثا : التقدم المضطرد للإناث في مجال التعليم .

- **تشير معدلات معرفة القراءة والكتابة بين النساء والرجال ١٥سنة فأكثر الى زيادة معدلات معرفة القراءة والكتابة بين الاناث بمستوى يفوق نظيرتها عند الذكور بحوالي اربعة اضعاف خلال الفترة من ٢٠٠٠–٢٠١٠ لكنها تبقى بالنتيجة هي الاعلى بين الذكور. فقد ارتفعت معدلات القراءة والكتابة عند النساء من ٨٤,١٪ الى ٩٢,٢٪. وتكون نسبة الامية لدى الاناث ٧,٨٪ . وارتفعت معدلات القراءة والكتابة لدى الذكور من ٩٤,٩٪ إلى ٩٧,٦٪ وتكون نسبة الامية لدى الذكور ٢,٤٪[١٠٨]. وتعتبر نسبة الامية لدى الاناث**

١٠٦ صالح الكفري وخديجة حسين / واقع التمييز في سوق العمل الفلسطينية من منظور النوع الاجتماعي / مواطن ص٢٢
١٠٧ واقع التمييز في سوق العمل / مصدر سابق ص٢٣
١٠٨ المرأة والرجل / الجهاز المركزي / مصدر سابق ص.٤١

- **الفلسطينيات في الضفة والقطاع من اخفض النسب على صعيد العالم العربي حسب تقرير التنمية الانسانية العربية الذي قال ان نسبة الامية لدى النساء العربيات تقترب من ٥٠٪.**

- **نسبة التسرب بين الاناث من المدارس في المرحلة الثانوية ٢,١٪ أعلى منها بين الذكور المتسربين١,٩٪. ويعزى ذلك للزواج المبكر للبنات. لكن يلاحظ ان نسبة التحاق الاناث في المرحلة الثانوية أعلى مقارنة بالذكور حوالي ٥٥٪ مقابل حوالي ٤٥٪، في حين تتساوى النسبة في المرحلة الاساسية الابتدائية . هذه النتيجة تؤكد تحقق فرص المساواة في التعليم. ووتتقارب نسبة التوجه الى التخصصات العلمية ٢٣,٣٪ ذكور مقابل ٢٢.٪ إناث و وترجح كفة العلوم الانسانية لدى الاناث ٧٣,٣٪ مقابل ٦٧,٣٪ ذكور. وفي عدد المعلمين والمعلمات في المدارس الحكومية تشغل ٥٥٪ من الاناث الهيئات التدريسية في المدارس الحكومية. كما ان فجوة الجنس في التعليم العالي اصبحت تميل لمصلحة الاناث حيث بلغت في العام الاكاديمي ٠٩/١٠ (١,٣) بينما كانت (٠,٩) في العام الاكاديمي ٩٤/٩٥ [١٠٩].**

نسبة النساء الحاصلات على الماجستير تنخفض الى ٢٥,٦٪ من العد الاجمالي ونسبة الحاصلات على دكتوراة تنخفض الى ١١,١٪ .

يلاحظ رجحان كفة المتفوقات من الاناث في التوجيهي وفي التعليم الجامعي على كفة الذكور. يقابله تقسيم غير عادل وغير متساو للوظائف وذلك يعود للادوار التي يحددها المجتمع للنوع الاجتماعي استنادا للثقافة الذكورية، وللتخصصات المرتبطة بذلك. ، «حيث تزيد اعداد الاناث عن الذكور في التخصصات التي تدفع النساء للتمركز في دور الرعاية وامتداداته. إن توزيع التخصصات ما بين الذكور والاناث بشكله الحالي يعمل على تقليص فرص النساء من دخول سوق العمل، كما ان اختيار التخصص يتأثر الى حد كبير

بأدوار النوع الاجتماعي كما هي موزعة في المجتمع، تواجد النساء في الفضاء الخاص، وتواجد مقيد في الفضاء العام»[١١٠].

١٠٩ المرأة والرجل / الجهاز المركزي / مصدر سابق ص ٤٤،٤٦
١١٠ 2010 ص 49 ساما عويضة / فجوات النوع الاجتماعي /الجهاز المركزي للاحصاء شباط

ويتضح الغبن الذي يلحق بالنساء من خلال التفاوت الشديد في مساهمة الخريجات في القوى العاملة مقارنة بالخريجين: يمثل الشباب الخريجون ٢٢٪ من مجموع المشاركين في القوى العاملة. وتساهم الشابات الخريجات ب ١٢٪ من إجمالي القوى العاملة.

رابعا : دور المنهاج في كبح تحرر المرأة

اي نوع من المواطنين، وأي نوع من المجتمع نريد؟ النتيجة تقررها الى حد كبير مناهج التعليم بالاضافة الى عوامل أساسية أخرى. ثمة تلازم بين بؤس التخلف وبؤس المناهج التعليمية، وثمة اعتقاد مشروع بأن التطور الفعلي للمجتمع يبدأ بتطوير المناهج، هذا مايقوله الخبراء العرب والاجانب على حد سواء. فاليابان مثلا قامت بوضع منهاج جديد لمرحلة ما بعد هزيمتها ساهم في نهضتها اللاحقة. ووزيرة المعارف الاسرائيلية قدمت مشروعا تعليميا جديدا في مؤتمر هيرتزليا ٢٠٠٧ يختزل التحصيل الدراسي في المدرسة والجامعة في سن ٢٠ عاما للطلبة والطالبات. وجنوب افريقيا وضعت منهاجا جديدا لما بعد الابارتهايد. وشكلت المناهج في اليابان وجنوب افريقيا وماليزيا رافعة لنهضة في مختلف المجالات.

اتيحت فرصة للشعب الفلسطيني بأن يضع منهاجه التعليمي الجديد على طريقة الدول المتقدمة، بأن يضع رافعة لتطوره ولمعاظمة صموده بدءا بالمنهج. منهج ينقلنا من التعاطي مع حقيقة كلية الى حقيقة نسبية ، ومن التقليد الى التغيير، ومن التلقين الى العلم، ومن الحفظ والبصم الى التفكير والتساؤل والشك، ومن استلام المعلومات الى اكتشافها، ومن سلطة المعلم الى الى المعلم المرشد الصديق، ومن الحط من شأن النساء مساواتهن بالذكور»[١١١].

أضيعت الفرصة، وأعيد انتاج المنهج القديم وتم الحفاظ على البنية القديمة في إطار التربية والتعليم. الدكتورة تفيدة الجرباوي تقدم الدليل من خلال دراستها لعينة من المنهج الجديد بعنوان (صورة المرأة في المناهج الفلسطينية الجديدة)وتصل نتيجة مفادها ان المنهاج الجديد حافظ على صورة المرأة النمطية وذلك.

١١١ مهند عبدالحميد/ نقد المناهج الفلسطينية بين الحوار والمناكفة/ ص ٥٢٨،٥٢٩ /المنهاج الفلسطيني اشكالات الهوية والمواطنة / تحرير عبد الرحيم الشيخ/ مؤسسة مواطن ٢٠٠٨

1- **تظهر جميع الكتب المدروسة المرأة مرتبطة بالعائلة (ام او زوجة او اخت فلان) تابعة ليس لها كيان مستقل والرجل يظهر مستقلا باسمه. وهذا يجعل الطفل يعتقد أن المرأة تابعة والرجل مستقل.**

2- **الوظائف التي أعطيت للمرأة هي تقليدية وثانوية ممرضة معلمة خياطة وامتدادا**

3- **للادوار المنزلية وقلما صورت المرأة خارج البيت، بعكس الرجل الذي اعطي وظائف ملك خليفة رئيس قائد مخترع شاعر اديب رحالة ورجل اعمال. الرجل أعطي ٢٥ وظيفة تكرر ذكرها ٥ مرات وا٣طي ٤٨ وظيفة تكررت عدة مرات.إن عدم المساواة في الفرص الوظيفية بين المراة والرجل صورت في الكتب المدرسية بشكل اكثر مبالغة عما هو ممارس على أرض الواقع.**

4- **تجاهل التراث الادبي والبطولي والثقافي والعلمي والفلسفي للمرأة وتم تركيزه على الرجل.**

5- **الانشطة : أنيطت بالمرأة الانشطة المرتبطة بعمل المنزل تنظيف غسل طبخ وأنيط بالرجل اعمال الادارة والسياسة والتجارة. النشاطات السياسية مقتصرة على الرجال، ولا يتم ذكر واحدة من النساء العديدات اللواتي قمن بأدوار سياسية. والنشاط الترفيهي : التنزه والتسوق والتطريز للمرأة، والسباحة والرياضة وركوب الخيل وشد الحبل مقتصرة على الرجال. لم تظهر النساء وهن يمارسن الرياضة مطلقا.**

6- **التصرفات الاجتماعية والانفعالية : توصف المرأة بأنها ضعيفة الشخصية جبانة وحائرة واتكالية وسيئة التصرف ومذعنة ووديعة وعاطفية وتخضع للسلطة. ويصف الرجل بالقوة والاتزان والذكاء والاستقلالية والشجاعة وقوة الشخصية.**

7- **ظهرت المرأة خالية من الملكية وظهر الرجل كمالك.**

8- **صورت المرأة كمستهلكة، والرجل منتج وبائع.**

9- **ظهرت صور وأسماء الذكور أعلى بكثير من نسبة صور الاناث، وأعلى من الصور التي تظهر الجنسين معا.نسبة الاسماء الدالة على الذكور في كتاب اللغة العربية للصف السادس ٨٦٪.. ونسبة المسائل التي تستخدم اسماء الذكور أعلى بكثير من اسماء الاناث. عدد أسماء الاناث صفر في كتب التكنولوجيا .**

10- **اعتماد اللغة الذكورية في تبني صيغة المذكر في حالات الجمع بين المذكر والمؤنث طلاب معلمون الاباء الشعراء ويطلق على النساء وزير ونائب مدير ...[١١٢].**

ما تقدم يؤكد ان المنهج الجديد هو منهج قديم لانه يميز ضد المرأة ويتجاهل قدراتها الحقيقية وتراثها العلمي والنضالي والادبي والابداعي ويحصر تقدم المجتمع بالرجل وحده، بشكل مخالف للواقع ولضرورات التطور. وهذا يعود بحسب د. تفيدة الى خلو خطة المنهاج الفلسطيني من نص صريح وواضح يؤكد على مكانة المرأة كعضو فاعل في بناء وتطوير المجتمع. والخطة تتضمن نص عمومي عن العدل الاجتماعي والمساواة من دون ذكر المرأة، وقد غاب ذكر المرأة بالوضوح والصراحة اللازمة في الاسس التي اعتمدها المنهاج سيما الاساس الاجتماعي.

ما لم تقله د.تفيدة ان عملية وضع المنهاج التعليمي خضعت لمساومة وصفقة مع الاسلام السياسي والقوى المحافظة والرجعية داخل المجتمع بما في ذلك الجهة المسؤولة عن اللجان والخبراء. وقد جرى استبعاد العقول المتقدمة والحداثية بشكل وبآخر من اللجان الأولى، أمثال د. ابراهيم ابو اللغد ، ومؤسسة القطان، ود. منير فاشة، وجميل هلال وغيرهم لمصلحة اكثرية من العقول المحافظة التي تنتمي للفكر المحافظ. ما كان ينبغي لهؤلاء ان يوافقوا على الانسحاب او الاستبعاد بصمت وبدون جلبة، بدون خوض معركة كبيرة هدفها التاسيس لبناء منهاج تربوي حداثي. وما كان لتنظيمات اليسار ان تصمت صمت القبور إزاء عملية تاريخية، ستترك بصماتها سلبا على أجيال متعاقبة. كل شيء يبدأ من الطفولة، وسيان بين إطلاق العقل ودفعه للابداع وبين كبح العقل ودفعه تدريجيا نحو الاستقالة. نتائج الكبح أنتجت قرار وزير التربية والتعليم الذي ينتمي لحركة حماس بدعم من أركان الوزارة الذين ينتمون لحركة فتح « بإعدام « كتاب التراث البديع (قول ياطير)، وفرض زي الجلباب طوعا وكراهية على طفلات وفتيات المدارس وسحبهن من طفولتهن مبكرا. ومساءلة (أولياء أمور) الطفلات والفتيات اللواتي بقين ملتزمات بتراث المدرسة زيا وسلوكا! وبقي نظام البصم والحفظ على حاله، واستمر فصل العلوم عن الحياة، وفصلت شهادة التحصيل العلمي عن مضمونها.

١١٢ د. تفيدة الجرباوي/ صورة المرأة في المناهج الفلسطينية / مجلة المعلم / الطالب العددان الاول والثاني حزيران ٢٠٠٣

خامسا : موقع المرأة في الاعلام.

٣٠٪ من الصحفيين في الاراضي الفلسطينية هن من النساء مقرنة ب ٧٠٪ من الرجال. و١٠٪ من رؤساء التحرير من النساء مقابل ٩٠٪ من الرجال[١١٣]. تقول دراسة حول (صورة المرأة في الصحف الثلاث) لم يظهر اي دور للمرأة في ١٠٠٩ مادة إعلامية من اصل ١١٧٩ مادة. اي بواقع ١٧٠ مادة اي بنسبة ١٤٪ [١١٤]. وهذا يعكس تغييب المرأة من المشهد الاعلامي والتعتيم على دورها الفعلي داخل المجتمع. وتقول الدراسة ان الصحف تظهر المرأة بأنها العنصر الاضعف والتابع وليست شريكة في صنع القرار.كما تظهرها باعتبارها ضحية للاحتلال بمعزل عن دورها في مقاومته.

يتعامل الاعلام والاعلاميون مع شؤون النساء باعتبارها شأنا يخصهن وحدهن. فغالبا ما يتم الرجوع للنساء في ما يتصل بالمرأة من دون الالتفات الى الشراكة مع الرجال سواء في صنع المشاكل او في ايجاد الحلول لها. هكذا يجد الفصل بين الجنسين امتدادا له في الاعلام، في الوقت الذي ما عادت فيه قضية المرأة ولا الفكر النسوي شأنا نسويا خالصا.

ويلاحظ وجود فجوة في وسائل الاعلام في طرح وشرح قضايا النساء ومنظومة القوانين والاتفاقات التي تحظر التمييز ضد النساء

الخطاب الديني التعصبي يستمر في الهجوم والتحريض على النساء انطلاقا من وجهة نظر تعصبية ترفض الحرية والمساواة وترفض خروج النساء من الدور المحدد لهن وهو دور الانجاب ورعاية الاطفال وخدمة الزوج. الاعلام بمختلف وسائله لا يحرك ساكنا إزاء هذا النوع من الارهاب الفكري الذي يمارس بحق النساء وبثقافة التعدد السياسي والثقافي والديني.على العكس من ذلك هناك نوع من التعايش الاعلامي مع الارهاب الفكري. ويتوازى مع هذا الخلل الفادح، قصور الاعلام في الدفاع عن ضحايا العنف وبخاصة جرائم ما يسمى بالشرف التي تحولت الى ظاهرة داخل المجتمع الفلسطيني، وجرائم الاغتصاب، وسفاح القربى، وفرض الحجاب والجلباب، وحرمان النساء من الارث والملكية، والطلاق التعسفي وتعدد الزوجات. يلاحظ ان التحقيقات والمقابلات الاعلامية في هذه العناوين شبه مفقودة من وسائل الاعلام، وتندرج في إطار المسكوت عنه.وفي غياب فعالية الاعلام وتنظيمه لحملات إعلامية ضد الانتهاكات المختلفة يتشكل الرأي العام بثقافة رجعية ومتخلفة.

١١٣ المراة والرجل / مصدر سابق ص ٧٩
١١٤ الايام / ٢ ايلول ٢٠١٢

سادسا : العنف ضد النساء

التعريف : هو العنف الموجه ضد المرأة بجميع أشكاله، الجسدي، والنفسي، والجنسي، واللفظي، والحرمان الاجتماعي والاقتصادي،والتهديد بهذه الأعمال، والإكراه، وسائر أشكال الحرمان من الحرية، وذلك بسبب كونها أنثى، سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر. ويؤدي إلى إلحاق ضرر أو ألم جسدي أو نفسي أو جنسي أو عقلي أو اجتماعي أو اقتصادي بها، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة[١١٥]

١- المس بحق النساء في الحياة وهو حق مقدس : تتباين الارقام من مؤسسة لاخرى في تحديد ارقام دقيقة لجرائم القتل البشعة بحق النساء في المجتمع الفلسطيني. السبب يعود الى عمليات التمويه سواء عبر الادعاء بالانتحار او الاجبار عليه او اللجوء له او بإخفاء الجريمة كما حدث أية برادعية في الخليل أو الادعاء ان الموت كان طبيعيا. في العام ٢٠١٢ جرى توثيق جرائم قتل ١٠ نساء، و١٣ جريمة قتل للنساء في العام ٢٠١١ و٩ نساء في العام ٢٠١٠ وفي عام ٢٠٠٩ فقد تم توثيق 11 حالة قتل لإناث على خلفية ما يسمى شرف العائلة 7 منهن في الضفة الغربية و 4 حالات في قطاع غزة. أما إحصائيات الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان لعام 2009 فقد وثقت الهيئة 9 حالات قتل على خلفية «شرف العائلة » في الضفة الغربية و 4 حالات في قطاع غزة وفي عام ٢٠٠٨ جرى توثيق ٩ جرائم من بين ١٨ حالة قتل وفي عام ٢٠٠٧ جرى توثيق ١٢ جريمة قتل بحق النساء. وبين ٢٠٠٤-٢٠٠٦ حدثت ٤٨ جريمة قتل للنساء وثق منها ٣٢ حالة .

يلاحظ ان متوسط نسبة الجرائم المرتكبة والموثقة تناهز العشرة ضحايا سنويا مع ان حالات القتل المموهة ترفع النسبة الى ١٥ حالة ، وتعتبر في كلتا الحالتين من أعلى النسب في العالم العربي. القانون الجنائي المعمول به يحصن القتلة ويشجع على القتل، ويردع مشاريع الضحايا المهددات وأقرباء الضحايا من الابلاغ عن الاعتداءات او التهديدات. "ولاحظ تقرير منظمة هيومن ووتش افتقار الشرطة الفلسطينية للخبرات اللازمة للتصدي لقضايا العنف وبخاصة من هذا المستوى بطريقة فعالة . وافتقاد الاطباء الفلسطينيين في وزارة الصحة للأدلة التوجيهية والاجراءات الطبية وللتدريب المتخصص للتعامل مع ضحايا العنف . كما تفتقد وزارة الصحة لموظفين متدربين للتعامل مع الناجيات من العنف الجنسي. وهذا من شأنه مفاقمة حالة الضحايا"[١١٦]. القانون ، وثقافة المجتمع ، وجهاز السلطة ، وصمت الاعلام، وصمت القوى اليسارية والعلمانية والمستوى الثقافي ، وعدم خوض المنظمات النسوية لنضال جماهيري

١١٥ الاستراتيجية الوطنية لمناهضة العنف ضد النساء للاعوام/ اللجنة الوطنية لمناهضة العنف / وزارة شؤون المرأة ٢٠١١- ٢٠١٩

١١٦ فريدة ضيف / حان الاوان لانهاء العنف ضد النساء الفلسطينيات/ نشرة الهجرة القسرية / تقرير ٢٠٠٦

دعاوي ، عوامل تتضافر لبقاء الظاهرة ومفاقمتها. كما لا يوجد دراسات سوسيولوجية علمية لهذه الظاهرة التي تنتمي لعلاقات ما قبل رأسمالية، علاقات القبيلة والشرف والعرض والثأر «للشرف» المزعوم. الادب الفلسطيني بدوره لم يتناول الظاهرة إلا بشكل موارب، ما عدا رواية «شرفة العار» للشاعر الروائي ابراهيم نصر الله التي تناولت الموضوع صراحة. ولكن ثمة محاولات للسينما بخاصة فيلم «مغارة ماريا» للمخرجة بثينة شعبان الذي تعرض للهجوم والتحريض. عدم دراسة الظاهرة ووضع التوجهات للحماية بكل انواعها وفي مقدمتها نشر ثقافة ووعي يحترم حقوق المرأة التي لا تنفصل عن حقوق الانسان. إن غياب مثل تلك السياسات يكرس الثقافة الرجعية التي توجه رأس حربتها الى صدور النساء.

٢- أشكال العنف الأسري الممارس ضد المرأة في المجتمع الفلسطيني والتي تتمثل :

- **الإيذاء الجسدي من قبل الزوج أو الأب أو الأخ أو أهل الزوج.**
- **التهديد بالقتل.**
- **الاغتصاب من قبل الأخ أو الأب أو العم أو الخال أو الحمي(سفاح القربى).**
- **هروب من الأسرة نتيجة التعرض لعنف جسدي أو جنسي.**
- **تحرش جنسي.**
- **فتور عاطفي.**
- **العنف اللفظي.**
- **الإهمال.**
- **تقسيم الأدوار الاجتماعية داخل الأسرة والذي يستند إلى تفضيل الذكور.**

عينة النسب المختارة من بين بيانات متضاربة الدقة تقدم مؤشرا واقعيا على استفحال ظاهرة العنف ضد النساء، الى المستوى الذي يعزز الاعتقاد بأن حرية وكرامة اكثرية النساء مستباحة. تقول البيانات:

% 67 من النساء يتعرضن إلى عنف لفظي بشكل منتظم. % 71 من النساء يتعرضن إلى العنف النفسي. % 52,4 من النساء يتعرضن إلى عنف جسدي. % 14.5 من النساء بتعرضهن إلى عنف جنسي. % 44 من النساء يتعرضن إلى أكثر من شكل من أشكال العنف. وتتعرض ٢٤٪ من النساء الى تحرشات جنسية[١١٧] . وتتعرض % 88 من النساء المطلقات إلى العنف المجتمعي و% 71 منهن يتعرضن إلى عنف أسري % 26 من النساء لا يشعرن بالأمان داخل منازلهن بسبب تعرضهن للعنف.

35.8 من النساء أكدن أن مقاومتهن للعنف اختفت أو تراجعت على حساب أولويات أخرى أصبحت تهم المرأة!

% 39 من النساء أجبرن على ترك الدراسة في سن مبكرة بسبب الزواج المبكر أو الالتحاق بالعمل بسبب الفقر. وكانت % 38.5 من النساء المتزوجات في العينة قد تزوجن في سن مبكرة)أقل من 18 عاماً(،

% 31 من النساء طلقن أو هددن بالطلاق من قبل أزواجهن.

% 32.5من النساء العاملات في قطاع غزة تعرضن للاستغلال والتمييز، وأنهن يعملن لساعات طويلة جداً وفي ظروف عمل سيئة.

% 68 من النساء العاملات أشرن إلى أنهن لا يملكن الحرية الكاملة في التصرف برواتبهن.

انتهاك حقوق وحرية وكرامة النساء في المجتمع الفلسطيني نتيجة منطقية لوجود منظومة قانونية وثقافية وسياسية واجتماعية كابحة لحرية المرأة بصيغة اضطهاد وقهر. هذا الفعل فيه نقض لحرية الرجل والمجتمع معا. فلا يمكن ان تكون المرأة مضطهدة ومقموعة والرجل والمجتمع حران . الحرية لا تتجزأ كما الديمقراطية . على سبيل المثال لا تستقيم «الديمقراطية» و»الحرية» الاسرائيلية التي يجري التغني بها بوجود احتلال وأبارتهايد يمارس ضد الشعب الفلسطيني . ما تزال المقولة التاريخية «إن شعبا يضطهد شعبا آخر لا يمكن أن يكون حرا» تحتفظ بقيمتها في فكر التحرر، رغم ضجيج العولمة الليبرالية المتوحشة الذي حاول تصدر المشهد. وهذا ينطبق على المجتمع الذكوري الذي يلحق بنفسه الاذى وهو يمارس عملية الاضطهاد والقمع بحق النساء ، ويكف تلقائيا عن كونه حرا. القامع يفقد انسانيته ويتحول الى انسان مشوه. التشوة لدى المرأة بفعل القمع والتشوه لدى الرجل بفعل ممارسة القمع والاضطهاد يقود إلى مجتمع مشوه. والمخرج يكون برفض هذا الواقع وبمقاومته. «فرانز

١١٧ الاستراتيجية الوطنية / مصدر سابق

فانون» الطبيب الفرنسي النفساني والثائر ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، أوضح دينامية تحرر الانسان المقهور. وكان علاجه يبدأ برفض الظلم أولا وبمقاومة المعتدي ثانيا. هذه العملية التي تقود الى شفاء الضحية من التشوهات العالقة بها، وتقود الى معالجة المعتدي ايضا. وبهذا تكتسب الثورة بعدها الانساني بعد ان تصنع قيمها الثورية النبيلة.

الباب السادس

دور السلاح القانوني في تحرر المرأة

الباب السادس:

دور السلاح القانوني في تحرر المرأة ..

حقوق النساء قضية القضايا التي تحتاج الى بحث مفتوح. وتستدعي طرح أسئلة في المعلن والمسكوت عنه، وإجراء المقارنات بين عناصر التقدم وعناصر التخلف. التمييز والاضطهاد الممارس بحق النساء يستوطن داخل مجتمعنا ويتعمق . والقانون الدولي يحرز تطورا تلو الاخر دفاعا عن حقوق النساء ومن اجل مساواتهن، ويطرح الاليات لازالة التمييز ضدهن. القانون المحلي ينحدر الى الحضيض ويتشبث بالتمييز ضد النساء ويدافع عنه بمشاركة الضحايا. النظام الفلسطيني كما النظام العربي يقدم موقفا مزدوجا، موقف يصدره للعالم الخارجي يلتزم فيه بالاتفاقات الدولية التي تعتمد المساواة، ويوقع عليها إرضاء للعالم «الحر»، وموقف يصدره للداخل يتحفظ عبره على جوهر الاتفاقات في أهم بنودها ويؤيد التمييز ضد النساء، إرضاء للقوى الرجعية والمتعصبة الداخلية. والقوى اليسارية والعلمانية تكتفي بالنصوص الموجودة في أنظمتها الداخلية التي تؤكد على حق المرأة بالمساواة، وتلتزم الصمت في الميدان، وتترك النساء يواجهن الاضطهاد وحدهن، ولا تمارس النقض للقوانين المعمول بها.

يكتمل المشهد في الحلقات الثلاثة. الحريات والمساواة وإزالة كافة أشكال التمييز فيها جزء من الحقيقة ومن الفعل والتطور الملموس، وفيها أجزاء مضللة. فالعولمة المتوحشة التي قامرت بالانسان والطبيعة وذهبت الى الحروب العدوانية ضد الشعوب ، أحالت قطاعات واسعة جدا من شعوبها الى الفقر والبطالة نصفها من المرأة. المساواة لا تستقيم بوجود احتكارات ونهب وحروب وعنصرية. والنظام السلطة يتعامل مع القضايا الاجتماعية وبشكل خاص قضية المرأة كعنصر مساومة مع الاسلام السياسي تماما كما فعل النظام العربي. أما اليسار فيكفي القول إنه يفقد أحد اهم مبررات وجوده بالوقوف صامتا أو مراقبا إزاء اضطهاد النساء وقهرهن.

القانون مهم ومهم جدا، بوصفه ركيزة للتغيير، لكنه يحتاج الى أدوات (حامل سياسي واجتماعي) لنقله الى حيز التطبيق. كل الدساتير العربية تطرح المساواة وترفض التمييز على أساس الجنس، وكل الحكومات العربية تمارس التمييز عبر قوانين الاحوال الشخصية وقوانين العقوبات. كل الانظمة الداخلية للاحزاب اليسارية تطرح العدالة الاجتماعية والعلمانية والمساواة. وكل الاحزاب اليسارية تخفي هويتها ولا تدافع عن فكرها الذي يُنتهك ويُعتدى عليه عبر اضطهاد النساء.

أولا : التطور الذي طرأ على القانون الدولي لمصلحة تحرر النساء عبر مجموعة من المواثيق والاتفاقات والقرارات وهي:

ميثاق الامم المتحدة : دعا إلى «تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للناس جميعا، والتشجيع على ذلك اطلاقا، بلا تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء.

الاعلان العالمي لحقوق الانسان لعام ٤٨ اكد في المادة الاولى منه على مبدأ المساواة في الكرامة والحقوق»: يولد جميع الناس احرارا متساويين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم ان يعاملوا بعضهم بعضا بروح الاخاء». واكدت المادة السابعة منه على: «كل الناس سواسية امام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حق التمتع بالحماية من اي تمييز ينتهك هذا الاعلان ومن اي تحريض على مثل هذا التمييز. واقر الاعلان : للرجل والمرأة متى ادركا سن البلوغ، حق الزواج وتأسيس اسرة دون اي قيد بسبب العرق او الجنسية او الدين، وهما متساويان في الحقوق لدى التزوج وخلال قيام الزواج ولدى انحلاله– ولا يعتبر الزواج الا برضا الطرفين المزمع زواجهما رضاءا كاملا لا اكراه فيه. و»لكل شخص حق التملك بمفرده او بالاشتراك مع غيره، ولا يجوز تجريد احد من ملكه تعسفاا»

العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية «تتعهد الدول الاطراف في هذا العهد بكفالة مساواة الرجال والنساء في حق التمتع بجميع الحقوق المدنية والسياسية. «الحق في الحياة حق ملازم لكل انسان، وعلى القانون ان يحمي هذا الحق.ولا يجوز حرمان احد من حياته تعسفا».»حق حرية التنقل وحرية اختيار مكان اقامته.و «الناس جميعا سواء امام القانون. والحق بالزواج برضا الطرفين وحق الطفل في اكتساب الجنسية وحق الحماية من المجتمع والدولة. وجاء العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافيه ليضيف : التمتع بشروط عمل مرضيه واجر مساو لأجر الرجل لدى تساوي قيمة العمل و حق الاسر والامهات والاطفال في الحماية «.

- **(اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة) التي تم عرضها للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المؤرّخ في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩ وبدأ تاريخ نفاذها في ٣**

سبتمبر ١٩٨١.عرفت الاتفاقية وفي مادتها الأولى مصطلح «التمييز ضد المرأة» على انه»أي تفرقة او استعباد او تقييد يتم على اساس الجنس ويكون من آثاره

- **او اغراضه توهين او احباط الاعتراف للمرأة بحقوق الانسان والحريات الاساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية او في اي ميدان آخر، او توهين او احباط تمتعها بهذه الحقوق او ممارستها لها، بصرف النظر عن حالتها الزوجية وعلى اساس المساواة بينها وبين الرجل.**

- **الماده الثانية – تجسيد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية او تشريعاتها المناسبة الاخرى، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ من خلال القانون والوسائل المناسبه الاخرى.**

- **الاعتراف بالمسؤولية المشتركة لكل من الرجال والنساء في تنشئة اطفالهم وتطورهم، على ان يكون مفهوما ان مصلحة الاطفال هي الاعتبار الاساس في جميع الحالات».**

- **التصويت في جميع الانتخابات والاستفتاءات العامة، واهلية الانتخاب لجميع الهيئات التي ينتخب اعضاؤها بالاقتراع العام،– وفي شغل الوظائف العامة وتأدية جميع المهام العامة على جميع المستويات الحكومية.**

- **حق المرأة المساوي للرجل في اكتساب الجنسية»– تمنح الدول الاطراف المرأة حقا مساويا لحق الرجل فيما يتعلق بجنسية اطفالها».**

- **حق المرأة في مجال التعليم دون تمييز تنقيح كتب الدراسة والبرامج المدرسية وتكييف اساليب التعليم».**

- **حق المرأة بالعمل بوصفه حقا و الحق في حرية اختيار المهنة والعمل، والحق في الترقي والامن الوظيفي ،والحق في المساواة بالاجر، والحق في الضمان الاجتماعي. والحق في اجازة أمومة مدفوعة الاجر،– ومنع التمييز ضد المرأة بسبب الزواج والامومة،–وحظرت الفصل من الخدمة بسبب الحمل او اجازة الامومة .**

- **ا لقضاء على التمييز ضد المرأة في ميدان الرعاية الصحية حق المرأة بالمساواة مع الرجل امام القانون»–**

- **قرار مجلس الامن رقم(١٣٢٥) عام ٢٠٠٠ ، حث الدول الاعضاء على ضمان زيادة تمثيل المرأة على جميع مستويات صنع القرار في المؤسسات والاليات الوطنية والاقليمية والدولية لمنع الصراعات وادارتها وحلها» ومشاركة المرأة في مراكز صنع القرار للمشاركة في حل الصراعات»**

ثانيا : القوانين والانظمة الفلسطينية التي تنسجم مع القانون الدولي

شكلت وثيقة الاستقلال الصادرة عن المجلس الوطني الفلسطيني عام ٨٨ اساسا واطارا قانونيا ودستوريا لضمان حقوق المرأة والمساواة والعدالة من خلال النص التالي : «ان دولة فلسطين للفلسطينيين، أينما كانوا، فيها يطورون هويتهم الوطنية والثقافية، ويتمتعون بالمساواة في الحقوق، وتصان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية، وكرامتهم الانسانية في ظل نظام ديمقراطي برلماني يقوم على اساس حرية الرأي والرأي الآخر، وحرية تكوين الاحزاب ورعاية الأغلبية لحقوق الأقلية، واحترام الاقلية قرارات الأغلبية وعلى العدل الاجتماعي والمساواة وعدم التمييز في الحقوق العامة على اساس العرق او الدين او اللون او بين المرأة والرجل، في ظل دستور يؤمن سيادة القانون والقضاء المستقل،وعلى اساس الوفاء الكامل لتراث فلسطين الروحي والحضاري في التسامح والتعايش السمح بين الأديان عبر القرون وتعلن دولة فلسطين التزامها بمبادئ الأمم المتحدة وأهدافها وبالإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وميزت الوثيقة المرأة في دورها التاريخي وفي المكانة الرمزية : المرأة الشجاعة، حارسة بقائنا وحياتنا، وحارسة نارنا الدائمة»

القانون الاساسي : جاء في البند الثاني من المادة الرابعة على ان «الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع .» المادة التاسعة :»الفلسطينيون امام القانون والقضاء سواء لا تمييز بينهم بسبب العرق او الجنس او اللون او الدين او الرأي السياسي او الاعاقه.

الماده العاشره : « حقوق الانسان وحرياته الاساسية ملزمة وواجبة الاحترام، و تعمل السلطة الوطنية الفلسطينية دون ابطاء على الانضمام الى الاعلانات والمواثيق الاقليمية والدولية التي تحمي حقوق الانسان».

القانون الاساسي يلتزم بمبدأ المساواة وعدم التمييز ، ويلتزم بحقوق الانسان،

ويتعهد بالانضمام الى الاعلانات والمواثيق الدولية التي تحمي حقوق الانسان. هذه المواثيق والاعلانات تعطي حقوقا متساوية للمرأة في مختلف المجالات وترفض كل أشكال التمييز ضدها . لكن السلطة وبموافقة المجلس التشريعي تعتمد قانون أحوال شخصية وقانون عقوبات على طرفي نقيض من المساواة وحقوق الانسان. إضافة الى اعتماد مباديء الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع. بهذه النصوص والاجراءت يلتحق قانون السلطة بدساتير الانظمة العربية. التي تتحدث عن مساواة وعن التزام بالمواثيق والاعلانات، وفي الوقت نفسه تضع قوانين عقوبات وأحوال شخصية تمارس التمييز ضد المرأة، وتحرمها من أبسط حقوقها الانسانية. لقد اصبحت جميع القوانين في البلاد العربية مدنية الا قانون الاحوال الشخصية او قانون الزواج والطلاق وتعدد الزوجات، كأنما حياة النساء الشخصية هي فقط التي يجب ان تخضع لأحكام الشريعة والدين.

"حرية الاقامة والتنقل مكفولة في حدود القانون"، و الحق بالتعليم و الحق بالعمل و الحق بالمشاركة السياسية و رعاية الامومه والطفولة واجب وطني...»، و الحق في حماية الحريات الشخصية من الاعتداء «كلها تتناقض مع النصوص المعمول بها في قانوني الاحوال الشخصية والعقوبات. وكأن السلطة كما النظام العربي تُقدم قوانين للدعاية الخارجية وقوانين لارضاء القوى الرجعية والتعصبية داخل المجتمع.

تجربة البرلمان الصوري عام ٩٨ : تمحورت فكرته على مراجعة نقدية وجادة لمجمل المنظومة التشريعية والقانونية المعمول بها في فلسطين، ووضع رؤى لتعديلاتها من وجهة نظر نسوية مرتكزة الى منظومة الاتفاقات والمعاهدات الدولية الخاصة بحقوق الانسان والمرأة. فتح المشروع نقاشات محدودة حول حقوق النساء في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وخاصة قانون الاحوال الشخصية. تمكن البرلمان من خلق حالة من الجدل والنقاش في اوساط محصورة بالنخب النسوية الليبرالية وبعض اليساريات واليساريين المستقلين والمؤسسات الحقوقية. المعارضة الشديده من قبل الحركات الاسلامية التي نظمت مسيرات احتجاج ضد اجتماع البرلمان، ومنعته من الانعقاد في نابلس، وتعرض لتحريض من أئمة المساجد في غزة والضفة ،كل ذلك لفتت الانظار الى الفعالية، وكشف عن تغلغل أفكار الاسلام السياسي داخل المجتمع وتأثر اتجاهات سياسية به، كما كشف تردد وخوف العلمانيين واليساريين من خوض المعركة. ورأى فيه بعض اليساريين والاكاديميين انه مشروع ممول من الاوروبيين وظيفته التدخل لتعزيز الاتجاه الليبرالي النسوي . التيارات العلمانية والقوى اليسارية اتخذت دور المراقب. لم يتمكن البرلمان الصوري من اشراك قطاعات مهمة من المجتمع بقيت اجتماعاته في الفنادق ولم يترافق مع حملات توعية شعبية وجماهيرية. كان من نتائجه بروز تناقضات بين مطالب

الحركة النسوية ما بين الضفة وغزة، «وقد تشابهت مطالب الحركة النسوية في الضفة الغربية وقطاع غزة في بعض القضايا وذلك في رفع سن الزواج الى ١٨ سنة لكلا الجنسين، الغاء الولاية، الاموال المشتركة بين الزوجين، وتباينت مطالب الحركة النسوية في الضفة الغربية عنها في قطاع غزة في بعض المحاور، واتسمت مطالب الحركة النسوية في الضفة بأنها جاءت اكثر راديكالية من حيث المطالبة بمنع تعدد الزوجات، التطليق القضائي. بالاضافة الى المساواة في الميراث ما بين الذكر والانثى، اما مطالب الحركة النسوية في غزة فقد بقيت في الاطار الديني مع بعض التعديلات التي تقيد التمييز ضد المرأة لكنها لا تمنعه، وبما لا يتصادم والتيار الديني، ومن اهم مطالب البرلمان في قطاع غزة: قوانين الميراث والتعليمات الخاصة به يجب ان تعاد صياغتها وتفرض لحماية النساء وضمان حقهن في تلقي نصيبهن من الميراث حسب القانون والشرع، وتنظيم تعدد الزوجات حيث يجب اخذ اذن المحكمة قبل الزواج.

بصرف النظر عن كل ملابسات البرلمان فإنه كشف مستوى الحراك الفكري والسياسي في إطار النخب السياسية والنسوية.وأوضح قابليتها او عدم استعدادها لخوض غمار التغيير في منظومة القوانين بما يتفق مع العدالة الاجتماعية والمساواة والحريات العامة والخاصة. اتضح اختلال ميزان القوى الاجتماعي لمصلحة الاسلاميين والاتجاه المحافظ داخل المجتمع وتنظيم فتح وتنظيمات سياسية أخرى. ومن مؤشرات ذلك موقف الاتحاد العام للمرأة وطاقم شؤون المرأه، بعدم مساندة إلغاء أحكام الشريعة.كان ذلك خضوعا لابتزاز الاسلامين. وتراجعا عن فصل الدين عن الدولة، وتواطؤا مع التمييز ضد المرأة في (الارث وتعدد الزوجات والقوامة)، وتراجعا عن وثيقة إعلان الاستقلال التي تطرح مساواة المرأة بالرجل وكذلك القانون الاساسي الذي يرفض التمييز على اساس الجنس. تمرين البرلمان الصوري كان مؤشرا على التحاق الوضع الفلسطيني بالوضع العربي» الذي يسند القوانين المنظمة لحركة المجتمع ولا سيما الاحوال الشخصية الى مرجعية الشريعة التي لا تسمح الا بقدر من الاجتهاد إقرار حقوق للمرأة إقرارا لا يخرجها من الحالة التي تعانيها:، كما يقول نصر حامد ابو زيد.

وثيقة حقوق المرأة

وضعت هذه الوثيقه كمرجعية لتطوير الخطاب النسوي، وكأداة مطلبية ونضالية لتوحيد جهود النساء، ولمطالبة المشرع لاحقا بالاخذ بها. وفي ما يلي ابرز القضايا التي طرحتها:

- **الحقوق السياسية: اكدت الوثيقة الحق بالترشح والانتخاب والحق بالمشاركة في الاستفتاءات العامة، وفي تقلد المناصب العامة، والمشاركة في اتخاذ القرار في حالتي السلم والحرب . والحق**

في تشكيل الاحزاب والانضمام اليها، وحماية النساء من التعذيب والاعتقال، والمشاركة في جميع الانشطه السياسية على اختلاف توجهاتها واهدافها بما لا يتعارض مع المصلحة العامة والامن الوطني. والتأكيد على حق المرأة اللاجئة في العودة وفق القرار ١٩٤.بما لا يتعارض مع المصلحة ....الخ يسمح بتقييد الحريات وبنقضها.

- **الحقوق الاقتصادية والاجتماعية :حق المرأة بشروط عمل عادله. وفي تكافؤ الفرص بالتدريب المهني، وتواجد المرأة في انواع كثيره من المهن والحرف المُستأثرة من الرجال. حماية المرأة من كافة اشكال العنف والمضايقات الجنسية في مكان العمل،حق المرأة في التمتع ببيئة عمل مساوية للرجل وحقها في الاجازات والاستحقاقات والضمانات الاجتماعية،. وحق المرأة بالاستقلال المالي. حق المرأة باجازات الامومه بأجر كامل دون تهديد بفصلها. حق الاسرة بالاستفادة من امتيازات التأمين الصحي الخاص بالمرأة الحق في التعليم و الرعاية الصحية.**

- **الحقوق الجنائية إلزام المشرع على الغاء كافة الاحكام التي تنطوي على تمييز ضد المرأة في احكام قانون العقوبات وخاصة الاحكام المتعلقة بقضايا ما يسمى ب «الشرف» والزنا.شديد العقوبة الجزائية على جرائم الاغتصاب وهتك العرض، وتجريم مواقعة الزوج لزوجته رغما عنها،تجريم كافة اشكال العنف البدني والجنسي والنفسي وإلزام السلطه بمقاومة كافة الاعراف والتقاليد والمعتقدات الدينية التي تبيح العنف ضد المرأة وان تدرج جزاءات رادعة لكل من يمارس هذه الافعال، حق المرأة في تحريك القضايا المتعلقة في الاغتصاب وهتك العرض. النص الذي يقول: تشديد العقوبة على كل من يقدم على اجهاض امرأة مع توفير مرونة قانونية في الاسباب التي تدفع المرأة الحامل الى الاجهاض. هذا النص يتعارض مع حق المرأة بالاجهاض. هناك فرق بين مرونة تنتقص وتقيد حرية المرأة وبين حق خاص بالمرأة.**

- **الحقوق المتعلقة بالأهلية المدنية والأحوال الشخصية حق المرأة بعد بلوغ سن الثمانية عشر عاما التزوج ومساواتها بالحقوق كما الرجل عند الزواج وخلال قيامه ولدى انحلاله. اعتبار الحد الادنى لسن زواج**

الفتيات ثماني عشرة سنه شمسية، حق المرأة بالمساواة المطلقة مع الرجل في جميع مجالات القانون المدني، كالمساواة في حق الملكية والتوريث. حق المرأة في الولاية والوصاية على الابناء، حق المرأة في الملكية وحيازة ممتلكات الاسره والتصرف بها على قدم المساواة مع الرجل.، حق الاحتفاظ باسمها ولقبها واسم عائلتها بعد الزواج، حق المرأة في استصدار كافة الوثائق الثبوتية والرسمية دون الحاجة للحصول على إذن من احد،كما حقها في التنقل والسفر والعمل دون اشتراط الحصول على اذن من احد. الملاحظة : اجازة للقاضي على استثناء السماح للرجل بالزواج من ثانية بشرط وجود اسباب ضرورية. هذا النص يسمح بالالتفاف على تعدد الزوجات الذي يستند في لشكل إلى أسباب ضرورية : من وجهة نظر المجتمع والسلطة الذكورية

- **.يلاحظ ان الوثيقة منسجمة الى حد كبير مع اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة وهذا شيء ايجابي. لكن مقدمة الوثيقة تطالب المشرع بالاسترشاد بها، وهذا يعطيه حرية قبول او رفض البنود التي تطالب بالمساواة. بمثل ما يتم التعاطي مع الاتفاقات الدولية التي يتم اشتراط الموافقة على بنودها بعدم التعارض والتناقض مع الشريعة. ان هذه الحبكة تبطل على الدوام كل محاولة للتقدم. ما لم يتم التجرؤ على فصل الدين عن كل ما يتصل بعلاقة البشر مع بعضهم البعض اي القانون الوضعي.**

- **مواقف الاحزاب والفصائل اليسارية. اعتمدت الاحزاب ومن خلال نظمها ودساتيرها على طرح شعارات ومصطلحات تؤكد على مساواة المرأة وحريتها واهمية مساواتها مع الرجل في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. الامر الذي يسجل ايجابا لهذه الاحزاب، ولكن بالانتقال الى مجالات التطبيق نجد الهوة الواسعة بين ما يطرح من شعارات وما نلمسه على ارض الواقع من سياسات وآليات عمل داعمة لمبدأ المساواة، والنضال من اجل تعزيز هذا المبدأ، عبر فتح جبهات سياسية وقانونية واجتماعية. لقد تماهت احزاب وتنظيمات اليسار مع الثقافة المجتمعية الذكورية ومع الخطاب الديني لاحزاب الاسلام السياسي بهدف نيل الشرعية والرضا المجتمعي،وظهر هذا الموقف جليا من المواقف المختلفة لفصائل اليسار مثلا من القضايا المتعلقة بالجرائم تحت خلفية ما يسمى»الشرف»،او ضعف مواقفها الصريحة والواضحة من القوانين المتعلقة بازالة التمييز ضد المراة ومساواتها كما في قوانين الاحوال**

- **الشخصية والعقوبات او من قضايا فرض الحجاب، حيث لعبت دور المتفرج عندما قامت بتحويل هذه القضايا من مسؤوليتها الى مسؤولية الاطر النسوية التابعة لها ولمؤسسات المجتمع المدني، باعتبار هذه القضايا شأنا نسويا على النساء حمله والنضال من اجله، بينما هي من القضايا المؤجلة على طاولة نقاشاتها ويتم استدعاؤها وقت الضرورة وخلال المؤتمرات والندوات. بعض التنظيمات التزمت كوتا نسوية في هيئاتها ، كحزب الشعب اعتمد ٢٥٪ كوتا لصالح النساء في هيئاته، وحزب فدا اعتمد نسبة ٤٠٪ كوتا نسوية. الا اننا لم نلحظ حالة اشتباك مجتمعية حول اي من القضايا النسوية. إن**

- **وصول نساء الى مواقع صنع القرار في الاحزاب سواء عبر الكوتا او عبر الانتخاب لم تؤثر ايجابا على القضايا المطروحة داخل اجتماعات الهيئات لنقاش القضايا والملفات التي تعاني منها النساء على جميع المستويات الاجتماعية والقانونية. ولم تناقش الاحزاب اليسارية قضايا من نوع قانون الاحوال الشخصية داخل هيئاتها القيادية ولم تصدر ورقة موقف حول رؤيتها لأي قانون نريد .**

وقف حزب الشعب الفلسطيني

اكد حزب الشعب في البند الثالث من الفصل الاول»الحزب واهدافه»: على مبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية، والقضاء على الاستغلال الطبقي والقومي، واحترام حقوق الانسان. كما جاء في البند السادس منه : دور الحزب بالنضال في سبيل مساواة الجميع امام القانون، دون تمييز بين الرجل والمرأة...كما تم التأكيد في الفصل الثالث على : إلزام السلطه بمواثيق حقوق الانسان، واقرار قانون فلسطيني ملزم يضمن هذه الحقوق...والتأكيد على الدور الهام للمرأة الفلسطينية في مراحل النضال الوطني، رغم افتقاد هذا النضال الى الاساس الاجتماعي العادل والمتساوي، الذي يضمن للمرأة حقوقهاالاجتماعية والسياسية، ويزيل التمييز الحاصل ضدها، ومن هنا يناضل الحزب من اجل ان تتبوأ المرأة الفلسطينية مكانها الطبيعي الى جانب الرجل، ويناضل الحزب ضد مختلف اشكال الاضطهاد والتمييز الذي تتعرض له المرأة، في البيت ومكان العمل ومن اجل الحقوق الاجتماعية، وتطوير قوانين الاحوال الشخصية، والعمل على ضمان مساواة المرأة مع الرجل في الحقوق والواجبات:

ضمان مساواة المرأة في الرواتب، وإلغاء أي تميز في الأجر بسبب اختلاف الجنس .

- **حق النساء كافة في التامين الصحي، والضمان الاجتماعي، ومخصصات الشيخوخة، والتامين ضد البطالة، وضمان كافة حقوق الطلاق .**

- **زيادة نسبة المقاعد المخصصة للنساء في المجلس التشريعي الفلسطيني .**

- **سن قوانين لمكافحة العنف ضد المرأة، واعتبار العنف ضدها خرقا لحقوق الإنسان، وتشكيل لجنة مراقبة داخل المجلس التشريعي لمتابعة ذلك .**

- **صياغة قانون للأحوال الشخصية، يتلاءم والتطور الاجتماعي والتنموي لمجتمعنا .**

- **تدريب وتأهيل قيادات شابة نسائية في مجال حقوق المرأة والإدارة، ووضع البرامج الخاصة بنشاط المرأة .**

صياغة قانون للأحوال الشخصية، يتلاءم والتطور الاجتماعي والتنموي لمجتمعنا" صيغة تحمل أكثر من معنى. الوعي يسبق التحرر ويساهم بصنعه وكذلك القوانين في عالم مفتوح على بعضه البعض تسبق التطور الاجتماعي وتساهم فيه. مثلا التطور الاجتماعي والاقتصادي والتنموي عندنا متخلف وقد تراجع كثيرا حين استبدلت الهوية الوطنية بهويات فرعية وعادت العشائر والقبائل لتشكل مرجعية. يكفي ان اكثر من ٢٠٠ مجلس محلي حسمت بالتوافق العشائري أكثر منه الى التوافق السياسي. هل سنضع قانون أحوال شخصية متلائما مع هذا الواقع ام مع تغييره؟

موقف الجبهه الديمقراطية

- **.لم تتم الاشارة من خلال دستور الجبهه «النظام الداخلي المصادق عليه من اللجنة المركزية عام ٢٠٠٦ و البلاغ الختامي والتقرير التنظيمي والنظام**

- **الداخلي لعام ٢٠٠٧»، الى موقف الجبهه ورؤيتها من قضايا المرأة واكتفت بما اصدرته من منشورات حول رؤيتها للدستور والمجتمع بشكل عام كما ورد في الكتيب رقم ٩ «حول العلمانية» وبما صدر ويصدر من منشورات ومواقف للاطار النسوي للجبهه «اتحاد لجان العمل النسائي الفلسطيني»،**

- **رسالة واهداف اتحاد اللجان:**

- **الرسالة « الارتقاء بدور وموقع المرأة الفلسطينية في المجتمع وتمكينها من المشاركة في مختلف ميادين الحياة، انطلاقا من كونها مواطنة تتساوى في الحقوق والواجبات مع الرجل، وذلك من خلال رفع مستوى وعيها الثقافي والاجتماعي والسياسي وتطوير قدراتها وتخفيف حدة مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز موقعها داخل الاسرة والدفاع عن حقوقها التشريعية».**

- **اما فيما يتعلق بالاهداف العامة فجاءت كما يلي»**

- **– الدفاع عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمرأة.**

- **– تعزيز مشاركة المرأة في مؤسسات المجتمع المدني.**

- **الارتقاء بوعي المرأة لحقوقها الاساسية ورفض التمييز ضدها.**

- **الارتقاء بمستوى الوعي الصحي والتربوي للمرأة في شؤون المرأة والطفل والاسرة.**

- **مكافحة الامية وشبه الامية بين صفوف النساء.**

- **الدفاع عن حقوق المرأة العاملة وحثها على الانتساب للنقابات العمالية.**

- **توحيد الحركة النسائية الفلسطينية من خلال الاتحاد العام للمرأة وتنظيم صفوفها للدفاع عن حقوقها المدنية والاقتصادية والانخراط في معركة الاستقلال الوطني لشعبها.**

موقف الجبهه الشعبية

اكدت الجبهه في مقدمة برنامجها على مبدأ المساواة وعدم التمييز على اساس الجنس... كما اكدت على هذا المبدأ ضمن اهدافها الاستراتيجية ومهامها في التصدي لكافة اشكال التمييز والاضطهاد.. وبذل المزيد من الجهود في سبيل تخليص المرأة الفلسطينية من القيود الاجتماعية التي تحد من مساهمتها الفاعلة في معركة التحرر الوطني».كما جاء النظام الداخلي في بند واجبات العضو على لزوم ان يتخذ العضو موقفا علميا وتقدميا من مسألة المرأة وان يلتزم بممارسة هذا الموقف. وفي ورقة موقف من قضية المرأة صادرة عن الجبهه بتاريخ ٨-٣-٢١٠٢، اكدت الورقة على:

– ان قضية المرأة تحتل مكانه خاصة في التراث النظري للماركسية– اللينينية، وفي برامج ونضالات الاحزاب اليسارية الماركسية والثورية...وعلى اهمية الدور الذي يجب ان تضطلع به النساء في النضال من اجل التحرر الوطني والاجتماعي باعتبارها «نصف المجتمع».

– ان قضية المرأة من حيث الجوهر هي واقع عدم مساواتها بالرجل بل وسيطرته وسطوته عليها، وفي الجانب الآخر هو تحررها من الواقع المهين والبائس واسترداد حقوقها المسلوبه.

– إن الاستقلال الاقتصادي للمرأة هو من بين اكثر المقومات الجوهرية لتحرر المرأة.

– ربطت الورقة بين اهمية ان تحصل المرأة على استقلالها الاقتصادي والمساواة في العمل، وبين صعوبة تحقيق مساواتها بسبب الاعباء التي تترتب على عاتق المرأة من العمل المنزلي ومن مهمة تربية الاطفال وتهيئة الاجواء المناسبة للرجل، فضلا عن بقايا المفاهيم والنظرات المتخلفة المتأصلة في الوسط الاجتماعي والاسري المحيط بالمرأة، ونتيجة لهذا الربط اشترطت الوثيقة تمتع المرأة بمساواتها الاجتماعية الكاملة بحصولها على الحقوق المتساوية داخل الاسرة وفي البيت.

– اكدت الوثيقة ان تحرر المرأة الكامل والنهائي ومساواتها الحقيقية بالرجل لا يمكن ان تتم الا من خلال اسهامها الفعال مع الرجل في العمل الانتاجي.

– اهمية التحرر العام لكل المظلومين، واعتبار قضية المرأة جزء من هذا النضال وليست قضية خاصة بالنساء.

– التفاعل بين ما هو وطني وديمقراطي،بحيث يصبح تطور وتقدم البعد الاجتماعي الديمقراطي الداخلي شرطا ومدخلا للبعد الوطني التحرري.

– الزواج الإكراهي المبكر أو الموقف ضد تعدد الزوجات أو التوريث أو الشهادة في المحاكم ، فهي قضية وطنية ديمقراطية ترتبط بعملية التطور و النهوض ، لنصف المجتمع ، و بالتالي فإن الانتصار في هذه القضية سيشكل الخطوة الرئيسة عبر العمل المنظم المشترك بين الرجل و المرأة معاً.

*** موقف «فدا» : جاء النظام الداخلي لحزب فدا وفي الفصل الاول منه في تعريف وهوية الحزب»انه حزب اشتراكي يحمل رؤية تقدمية لبناء مجتمع فلسطيني مدني وعلماني يقوم على اساس الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والمساواة...». كما حدد الحزب في البند السادس من الفصل الثالث رؤيته وعمله على اقرار دستور وتشريعات ديمقراطية وعصرية بالاستناد الى وثيقة الاستقلال والقانون الاساسي بما يضمن صون وحماية حقوق الانسان والحريات العامه.... وحقوق العمال والمرأة..وطالب الحزب في البند العاشر من الفصل الثالث على ضرورة العمل على تعديل قانون انتخاب المجالس المحلية باعتماد كوتا نسائية ب ٠٥٪ من اجل تعزيز الديمقراطية والمساواة في المجتمع والحكم المحلي. وفي الفصل الرابع وتحت عنوان» القضية الاجتماعية والتعليمية والثقافية» أكد في البند الثاني على توجهه بالدفاع عن حقوق المرأة ومساواتها وتعزيز مشاركتها السياسية والاجتماعية والثقافية في المجتمع وفي الهيئات القيادية لمنظمة التحرير والمؤسسات الرسمية، عبر سن القوانين والتشريعات التي تضمن مساواتها بالحقوق مع الرجل، بما في ذلك قانون عصري وتقدمي للاحوال المدنية والشخصية. اشترط الحزب في انتخاب الثلاث نواب للامين العام وجود امرأة، كما حدد نسبة وجود النساء في الهيئات الكادرية والقيادية ب ٠٤٪.**

مواقف المنظمات النسوية

هي قواعد جماهيرية نسوية للاحزاب ، ضعيفة التأثير راهنا، لانها لا تملك رؤية تحررية تستهدف رفع الظلم عن النساء والاخذ بيدهن إلى الحرية والمساواة. تعاني المنظمات من ضعف وعي كوادرها بقضايا المجتمع وبحركات النساء العالمية والفكر النسوي العربي والعالمي التحرري. ولضعف هذه المنظمات علاقة بضعف الاحزاب اليسارية . وتتعرض محاولاتها التحررية على قلتها لهجوم الاسلام السياسي ولمؤسساته وبخاصة الخطاب المناهض لحرية المرأة ولمساواتها المنطلق من المساجد. لهذه الاسباب فإن المنظمات النسوية تتعايش مع ثقافة المجتمع المحافظة والتقليدية. ولا تسعى الى التغيير ما يؤكد على ذلك ان اكثر من

٥٩٪ من النسوة المشاركات في كافة الاتحادات النسوية اليسارية يلبسن الحجاب، ونسبة تقل عن ٢٪ منقبات. ما يعني –وهذه اشكالية – ان القاعدة النسوية لقوى اليسار لا تختلف عن مثيلاتها في حركتي حماس وفتح، بما يؤكد على ضعف احزاب وفصائل اليسار في تأهيل الكوادر والقيادات والقواعد النسائية المنتمية اليها او المحسوبة عليها.

ماذا يعني ان تقدم نصا وتمارس سياسة متعاكسة معه، التناقض بين النص والفعل ينتمي لايديولوجيا الرأسمالية التي تتحدث عن المساواة وتستغل العمال والطبقات الشعبية. النص شيء والفعل شيء آخر. ووجود نص منعزل عن الحياة يبرر افتقاد التنظيمات اليسارية لعقيدة تحرر اجتماعي، والنص على هشاشته يتحول الى بديل عن خوض النضال وطرح مهمات ملموسة. ولا بد من وقف التسليم بهذه الحبكة اللعينة للاحزاب اليسارية.

. العنصر الحاسم في مشاركة المرأة هو التغيير الحقيقي التدريجي في الواقع المتخلف والرجعي. التغيير من اضطهاد وتمييز الى تحرر ومساواة، ويمكن النظر للهيئات القيادية ذكورا وإناثا بدورهم المشترك في التغيير وليس بمجرد الحضور الفيزيائي، لا قيمة لرجل رجعي ولا لامرأة رجعية إذا ما احتلا موقعا قياديا. ولا معنى لوجود نساء بالديكور للتغطية على الاضطهاد والتمييز، والعكس صحيح. لم يكن من باب الصدفة ان تتصدى النساء المنتميات للاسلام السياسي لمحاولات وضع قانون عقوبات يحسن قليلا من وضع المرأة، ولم يخل من مغزى دفاع اتحاد المرأة عن الشريعة في سياق تثبيت الاضطهاد. ما يهم في الكوتا الوظيفة والاهداف فيما إذا كانت تخدم التحرر الاجتماعي ام تغطي على التخلف والاضطهاد. وهنا لا بد من إزالة المساحيق التجميلية ممثلة بالنسب. عدا عن كون النساء يحملن قضية تحرر وتقدم جنبا الى جنب مع رجال يحملون القضية ذاتها. لا بد من كشف حقيقة ان التمثيل في الهيئات القيادية لا ينعكس على القاعدة فعندما يكون في الهيئة العليا ٤٠٪ من المفترض ان يكون في القاعدة المنظمة والناشطة ٤٠٪ وهؤلاء أهم بكثير لانهن عاملات في قلب المجتمع وعلى تماس بهموم النساء. اما إذا كان التمثيل يقتصر وبنسبة كبيرة على الهيئات القيادية ووفود السفر وإشغال المناصب الحكومية فهذا يظل شكليا ودعاويا.

ثالثا : القوانين والانظمة والمواقف المعرقلة والمتناقضة مع احكام القوانين الدولية التي تميز ضد النساء

- **التحفظات العربية على اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة»سيداو»**

برغم توقيع والتزام ست عشرة دولة عربية على اتفاقية سيداو الا ان معظمها عدا جيبوتي وجزر القمر،ذيلت توقيعها بمجموعة من التحفظات والتي تمس بشكل مباشر بمقاصد واهداف

الاتفاقية وتساهم في افراغها من مضامينها ومبررات وفلسفة التوقيع عليها.

الدول العربية التي تحفظت على العديد من مواد الاتفاقية(المواد (٢، ٥، ٩ ،٥١، ٦١ ، ٩٢) ووقعت عليها تمارس الخداع. الاختيار الانتقائي للنصوص يفقد الاتفاقية جوهرها والمبدأ الأساسي لها . لا يمكن التوفيق بين نصوص الاتفاقية والنصوص الدينية، ومن الخطأ وضعهما في مواجهة بعضهما البعض.النص المقدس شيء والنص الوضعي شيء آخر فلا بد في هذه الحالة من تغليب احد النصين على الاخر. وفي بلداننا العربية يتم تغليب النص الديني. التوقيع يعني التزام بالاتفاقية كرزمة واحدة. وإذا ما دخلنا للتوفيق والانتقاء والمفاصلة مع المؤسسة الدينية ستكون النتيجة إقصاء تلك البنود واستبدالها باسم التحفظ على البنود.وفي هذه الحالة أفضل ان لا يتم التوقيع. اللعبة ذاتها تقوم بها الدول العربية في دساتيرها عندما تطرح المساواة وترفض التمييز على أساس الجنس لكنها في قوانين الاحوال الشخصية والعقوبات تمارس التمييز بأبشع اشكاله. والمطلوب هو إدانة وفضح الخداع والتحايل على الاتفاقية. وبخاصة إخضاع الاتفاقية للانسجام مع النظام الاساسي الفلسطيني، بعد اعتماد توصيات مجلس الافتاء التي فاقت في سوئها التحفظات العربية. الدول العربية ومنها السلطة توقع على الاتفاقية لارضاء الخارج وتتحفظ على بنود أساسية لارضاء القوى الرجعية في الداخل.

ولحسن الحظ،تم سحب بعض التحفظات من جانب بعض الدول العربية، كسحب الاردن تحفظه عن المادة الخامسة عشرة وسحب كل من تونس والجزائر والمغرب تحفظهما عن كامل البنود والمواد المتحفظ عليها

وما يُمكن اعتباره انجازا هو التعميم الصادر من وزارة الداخلية الفلسطينية رقم(٢٤) لعام ٢٠١٠ والذي نص على أنه «يحق للمرأة الفلسطينية المتزوجة من غير فلسطيني والتي تحمل الهوية الفلسطينية اعطاء ابنائها الجنسية الفلسطينية وتسجيلهم في بطاقة هويتها قبل بلوغ سن السادسة عشرة، وكذلك الرجل المتزوج من غير الفلسطينية».

قانون العقوبات الاردني رقم ٦١ لعام ١٩٦٠

تخضع الأراضي الفلسطينية لمجموعة من القوانين التي تعتبر من مخلفات العهود السابقة والتي تم تعديلها في «بلد المنشأ» لكنها ما تزال سارية المفعول في الاراضي الفلسطينية:

الزواج المبكر: القانون يضفي الشرعية على الزواج المبكر سن الخامسة عشرة للفتيات. وفي تزويج الفتاة دون الفتى، في تناقض مع الحق بالمساواة بين الذكور والاناث بالحقوق

والواجبات، وتكريس لعدم المساواة في الاهلية بينهما.

واشتراط الولاية في عقد الزواج حيث عاقبت مواد القانون بالسجن كل من زوج فتاة لم تتم الثامنة عشرة، دون ان يتحقق من موافقة ولي امرها.

تمييزفي الجرائم الجنسية: انزال العقوبة بالمرأة الزانية بالحبس من ستة اشهر الى سنتين، ويقضي العقوبة نفسها الزاني اذا كان متزوجا والا فالحبس من ثلاثة اشهر الى سنه، اي بمعنى آخر اشتراط الحالة الزواجية للرجل ليتلقى نفس العقوبة.والحبس للزوج من شهر الى سنة اذا ارتكب الجرم في مسكن الزوجية او جاهر بعلاقته، ولا تجوز الا بشكوى من الزوج في حال كون المرأة متزوجة, او شكوى وليها اذا لم يكن لديها زوج، اما في حالة زنا الزوج فيتم تحريك الشكوى من قبل الزوجة فقط.

والقانون يتعامل مع جرائم سفاح القربى بإبقائها ضمن الاطار الخاص للاسرة وعدم جواز اخراجها الى الحيز العام، ويعاقب القانون على مثل هذه الجرائم بالحبس من سنتين الى ثلاث سنوات، ومن يملك الحق بتحريك الشكوى هم الاقارب الذكور. وفي كثير من الحالات يتم قتل الضحية تحت عنوان قضايا»الشرف» لحماية الذكور من التوابع القانونية والمجتمعية لمثل هذه الجرائم

جرائم الاغتصاب: حجم العقوبات لا يتناسب مع مستوى الجرائم الواقعة والتي تشكل اشد انواع العنف الجنسي والمعنوي والجسدي ضد المرأة وتعديا صارخا على كرامتها وانسانيتها. استثنت المواد الزوجة من الجريمة بافتراض ان عقد الزواج يعطي للزوج الحق بذلك.وتوقف الملاحقة القانونية «اذا عقد زواج صحيح بين مرتكبي احدى الجرائم الواردة...وبين المعتدى عليها. كيف يمكن ستر المرأة وتزويجها من منتهك انسانيتها وكرامتها،بزواج المعتدي من ضحيته

العذر المحل: «يستفيد من العذر المحل من فاجأ زوجته او احدى محارمه حال التلبس بالزنا مع شخص آخر واقدم على قتلهما او جرحهما او ايذائهما كليهما او احدهما» يعني العذر المخفف استبدال العقوبه المقررة على الفعل المجرم بعقوبه اخرى تقل عنها وبحسب الماده سبع وتسعون من القانون والتي نصت على تحويل عقوبة الاعدام او الاشغال الشاقة المؤبدة او الاعتقال المؤبد الى الحبس سنه على الاقل كنتيجة للاستفادة من العذر المخفف.

المرسوم الرئاسي الصادر عام ٢٠١١ بالغاء المادة (٣٤٠) بفقرتيها ١-٢ من قانون العقوبات الساري، وجزء من الماده(١٨) حول ما(يسمى بشرف العائلة)، الا ان القضاء لا زال يطبق

المادة (٨٩) لذا فإنه لم يشكل مانعا قانونيا عقابيا على مرتكبي هذا النوع من الجرائم.

قانون الاحوال الشخصية رقم ١٦ لعام ٦٧ والمعمول به في الضفة الفلسطينية.

سن الزواج: جاء القانون على تحديد اشتراط اهلية الزواج بأن يكون الخاطبان عاقلين وقد اتما الثامنة عشرة مع اجازة الاستثناء للقاضي ان يأذن بزواج من كان قد اكمل الخامسة عشرة من عمره ان كان هناك مصلحة يحدد اسسها بمقتضى تعليمات يصدرها قاضي القضاة لهذه الغاية ،وبذلك يكون المشرع قد اعطى الفرصة للأهل بالتحايل على القانون لتزويج الفتيات القصر بسن «طفلات.

الولاية في الزواج: تعامل القانون مع المرأة على انها قاصرة وعاجزة وغير مؤهلة لأخذ قرارها في حياتها الخاصة دون وصاية او ولاية من الذكر حتى لو كان يصغرها عمرا ،او تفاوتت قدراتهم المعرفية والثقافية ودرجاتهم العلمية، من مدخل التشكيك بقدرات وامكانيات المرأة والتخويف من سوء استغلالها لحقوقها وكرامتها وانسانيتها. ترى د.نوال السعداوي في هذا الجانب ان «هذه الافكار التي تمنع ولاية المرأة او ولاية الرجل غير المسلم كانت نتاج ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة عن الظروف التي نعيشها اليوم....ان مفهوم الولاية قد تغير، فلم تعد وظيفة القاضي مثلا او رئيس الدولة تندرج تحت الولاية مثل وظيفة النبي او الخليفة او الامام، الذي كان يملك وحده سلطة العلم والمعرفة والاتصال بالله والرؤية والاجتهاد والتشريع والقضاء وكل شيء، لقد توزعت هذه السلطات على اجهزة متعددة في الدولة الحديثة، وظهرت الدساتير التي تساوي بين الناس بصرف النظر عن الطبقة او الجنس او العقيدة. لكن المرأة في بلادنا لا تزال محرومة من حق الولاية، ويمكن لها ان تكون وزيرة او طبيبة تنقذ الارواح من الموت مع ذلك تظل محرومة من حق الولاية داخل الاسرة.

تعدد الزوجات: تعد قضية تعدد الزوجات من اكثر المواضيع اثارة للجدل في مجتمعاتنا، فالى جانب ما تتركه من آثار اجتماعية واقتصادية سلبية على المجتمع، فهي تحمل في طياتها ابشع انواع القهر والعنف والايذاء ضد المرأة، يمارسه الرجل دون قيم الاحترام لفلسفة تكوين الاسر واحترام وتقديس استقرارها واستمراريتها بنسق يحترم انسانية وكرامة المرأة . ترسخ الذكورية، وتطلق يد الرجل بالزواج متى شاء مثنى وثلاث ورباع، في مجتمع غير محارب يتوازن فيه تقريبا عدد الذكور بالإناث، ومن الخطورة الاكبر ان نبتدع كما يفعل بعض فقهاء اليوم، مبررات للرجل تسوغ له الزواج بأربع تحت عناوين ركيكة حينا، مضحكة حينا آخر، ظالمة في كل الاحيان.

جاء بمنطوق المادة في قانون الاحوال الشخصية المعمول به في الضفة والتي شرعت

تعدد الزوجات ما يسببه تشريع تعدد الزوجات من تأثيرات سلبية وضارة على المرأة والاسرة والمجتمع.

وفي محاولة لتجميل حق الرجل بتعدد الزوجات صدر التعميم الاداري القاضي بوجوب»اخبار الزوجة الاولى في حال نوى الزوج ان يتزوج من ثانية، وان يخبر الزوجة الثانية بأنه متزوج من اولى»، اقتصر التعميم على الابلاغ دون منح المرأة الحق بالاعتراض والرفض .

الطلاق: تعاملت العادات والتقاليد كما القانون في تمييز واضح ما بين الزوج والزوجة ، تبدأ من الحق المطلق للرجل في ممارسة حقه في الطلاق دون قيود وفي الوقت الذي يرغب بينما لا يحق للمرأة المطالبه به الا ضمن شروط وقيود تجعل منه امرا صعب المنال، اضافة لما يرافق هذا الطلب من اجراءات صعبه تمر بها المرأة في دهاليز المحاكم واجراءات التقاضي.مما يتيح للرجل الاستبداد ومع ادراكه التام للصعوبات المجتمعية والاقتصادية التي ستعاني منها المرأة ما بعد الطلاق.جراء انفراد الزوج بالممتلكات والاموال المتراكمة في ظل الزواج ليتبقى للزوجة ما تحصل عليه من نفقة.

الميراث:لم يتمايز القانون في نصوصه بقضايا الارث عن مجموعة الموروث الثقافي المستمد من التشريع الديني، بتكريسه لسلطة الرجل والتأكيد على مسؤوليته الاولى على الاسرة ،حيث يعطي المرأة نظريا نصف حصة الرجل وعمليا تحرم معظم النساء من الميراث، إما باستغفالهن بعدم تحديد القيمة الحقيقية للميراث ،اضافة لما يمارس عليهن من اساليب لإحراجهن او تخويفهن من خسارة العائلة، ورغبتهن بالمحافظة على الروابط الاسرية، واحيانا ترتكب جرائم قتل للنساء تحت غطاء الحفاظ على ما يسمى «شرف العائلة، لكن مبرره الفعلي حرمان المرأة من حقها في الميراث . ويميز بين نصيب الزوجة والاطفال في حال وجود طفل ذكر ايجابيا لصالح الذكر، حيث يحجب الطفل الذكر الميراث عن اشقاء وشقيقات المتوفي. وهو ما لا تقوم به الطفله الانثى. التعميم الاداري فيما يتعلق بحصر الارث والتخارج ، وذلك بان يتم بعد مرور اربعة شهور من الوفاة على ان يتم تقدير التركة الحقيقية واعلام الورثة بالقيمة الحقيقية للتركة. قضية الميراث لا زالت من القضايا الشائكة قانونا وعُرفا. سواء لجهة اعتماد نصف حصة للمرأة في الميراث، الذي بات لا ينسجم مع دور المرأة المتزايد في تحمل أعباء الحياة ولا مع حاجة النساء للتمكين الاقتصادي في ظل التمييز ضدها في سوق العمل. ان حصول المرأة على الحق في الميراث بشكل متساو. والحق في الملكية من المفترض ان تكون مهمة أساسية على أجندة النضال الاجتماعي والمطلبي المشترك. والبداية تكون بكشف التلاعب والسطو والتواطؤ والصمت على حقوق النساء.

ان استمرار القوانين البائدة يعود اساسا للتعايش المجتمعي معها وكأن التحولات الرجعية داخل المجتمع أتت أكلها. والأسوأ هو تعايش القوى اليسارية والمستوى الثقافي مع تلك القوانين والتسليم بها، وهذا شيء مفجع. إن عدم خوض معارك ديمقراطية بهدف وقف التعامل مع قوانين رجعية مهينة لابسط حقوق الانسان، قوانين تراجعت عنها دول المنشأ، يشكل إدانة كبيرة لكل العاملين تحت رايات التقدم والديمقراطية. وقد ثبت ان خوض معارك يؤدي الى نتائج في المستوى الرجعي السلبي كما فعل ويفعل الاسلام السياسي دائما. ويؤدي في الجهة الأخرى ايجابا الى تجميد بعض النصوص بعد جريمة قتل الفتاة آية برادعية». ان كل يوم يمضي مع استمرار هذه القوانين قيد التنفيذ يجلب الخزي والعار لكل قوى التقدم احزابا وأفرادا.ينبغي التركيز على فصل النص الديني عن القوانين الوضعية، وتركيز النقد على قوى الاسلام السياسي التي تحتكر الدين وتمارس الارهاب مستخدمة سلاح الدين من اجل فرض تصوراتها المغرقة في التخلف والرجعية

رابعا : معوقات الالتزام بالقوانين وتطبيقها

تشكل منظومة العادات والتقاليد والموروث الثقافي المتزمت المناهضة للمرأة وحقوقها أهم المعوقات. تلك المنظومة التي أصبحت من المسلمات التي لا يجوز ان تُمس، وتدفع المرأة حريتها وانسانيتها ثمنا لها. وتصبح المشكلة أكثر تعقيدا عندما تتنكر المرأة لحقوقها بتحيزها للرجل وبنظرتها الدونية لذاتها وبعدم اقتناعها بامكانياتها. وتساهم بانتقال القيم السلبية الى الابناء والبنات وبفعل ذلك تتعاقب اجيال جديدة محملة بهذه الثقافة .إن التناقض بين طموح المرأة والخطاب الذكوري المخصص لقهرها، ولد لديها صراعا نفسيا مريرا جعلها تنكفىء على ذاتها وتتقوقع في بوتقة خاصة على مقاس الرجل، ومفاهيمه الانانية المتخلفة عن الانوثة والامومة وطبيعة المرأة وواجبات الزوجة....حتى استلبت فكريا وتأقلمت مع هذه المفاهيم.

يعتبر د. هشام شرابي « ان مفتاح الحل للتغيير الجذري يكمن في التحول نحو النظرة الايجابية للمرأة ومساواتها بالرجل، وتحرير عقلها من الخرافة والتقليد، وانه من المستحيل ان يتغير المجتمع العربي ما دامت المرأة العربية في وضعها الراهن، وذلك لأنها هي التي تصنع الانسان العربي، وطالما ان المرأة العربية لم تتغير بعد فالانسان العربي غير قابل للتغيير.

الباب السابع

التنمية المعاقة كبيئة غير مواتية

الباب السابع : التنمية والبناء

اولا : التنمية المعاقة كبيئة غير مواتية

تعريف التنمية الاقتصادية بالمفهوم العالمي : عملية يتم فيها زيادة الدخل الحقيقي زيادة تراكمية ومستمرة عبر فترة زمنية محددة. تكون هذة الزيادة أكبر من معدل نمو السكان، وتوفر الخدمات الإنتاجية والاجتماعية وحماية الموارد المتجددة من التلوث والحفاظ علي الموارد غير المتجددة من النضوب. وتتضمن توفير فرص عمل للمواطنين، وتوفير السلع والخدمات المطلوبة لاشباع حاجات المواطنين، وتحسين المستوي الصحي والتعليمي والثقافي، وتقليل الفوارق الأجتماعية والاقتصادية بين طبقات المجتمع، وتحسين وضع ميزان المدفوعات، إضافة لتسديد الديون أولا بأول وسد عجز الميزانيه العموميه السنويه. وتنمية القدرات البشرية وتطوير الهياكل والبنى المؤسسة التي تتيح المشاركة والانتفاع . ومن متطلبات التنمية .التخطيط وتوفير البيانات والمعلومات اللازمة.والإنتاج بجوده وتوفير التكنولوجيا الملائمة لتوفير الموارد البشرية المتخصصة. ووضع السياسات الاقتصادية الملائمة. وتوفير الأمن والاستقرار اللازمَين. ونشر الوعي التنموي بين المواطنين. والاهم توفر العدالة الاجتماعية حيث ان عدم توافرها يؤدي إلى إخلال في عملية التنمية. وأيضا المشاركة المجتمعية في عملية التنمية وذلك بأشراك المجتمع في قرارات التنمية من أجل زيادة تقبل المجتمع للتغير نحو التنمية الاقتصادية.) [1]

التنمية بالمفهوم الاشتراكي تضع الإنسان في المقام الأول كهدف، وتدعو الى تحقيق تنمية الانسان الشاملة، من خلال تغيير جميع العلاقات الاجتماعية التي تجعل الانسان كائنا مهانا مستعبدا ومستغلا ومحتقرا . والدخول في عملية لا تهدف فقط الى تحقيق بعض التحسينات، بل تهدف في جوهرها الى تغيير الشروط الاساسية لحياة الناس تمكنهم من السيطرة على وسائل الانتاج والسيطرة على الظروف التي يعيشون في ظلها. [2]

الشعارات والكلام المنمق عن الحلول شيء، والجانب التطبيقي شيء آخر. يفسر ياش تاندون الخداع بالقول : «على مدى الثلاثين عاما الماضية وضع «الاقتصاد

١ ويكيبيديا / تشرين ثاني /نوفمبر ٢٠١١
٢ ياش تاندون / إزالة الغموض عن المعونة / مؤسسة روزا لوكسمبورغ / ١٥ /٢/٢٠١١

النيو ليبرالي» الإطار النظري والسياسي لمعالجة جميع مشكلات النمو والفقر. ورأت «الرأسمالية المالية» في توفير الائتمان والتمويل كل شيء، وذلك على حساب الانتاج. فخلقت ثروة

وهمية من فراغ من دون المرور بمرحلة الانتاج. المال يجنى من صفقات احتيالية ومن عمليات المضاربة ويتم دفع عوائد للمستثمرين القدامى من خلال استثمارات المستثمرين الجدد. وتقوم البنوك بالاستفادة من اموال المواطنين (المدخرات) بثمانية أضعاف قيمتها لتخلق مالا افتراضيا يسمى ائتمانا. وعلى المستوى السياسي فإن رأس المال المعولم (الاستثمارات الاجنبية والبنوك وشركات التأمين والمضاربين بالسلع وتجار الجملة يتحدون مع النخب الحاكمة في الدول الفقيرة ومع النخب الاقتصادية المحلية لتحقيق الربح ومراكمة الثروات. وماذا كانت النتيجة : انتاج الفقر وجبال من الديون. لقد فشل مشروع مساعدات التنمية في القضاء على الفقر المنتشر في العالم الثالث وفي افريقيا، وتحولت مساعدات التنمية الى أداة (نيو كولونيالية) للسيطرة والشراكة هي علاقة من طرف واحد «[٣]

التنمية والدعم المالي للسلطة ومنظمات المجتمع المدني في الاراضي المحتلة له خصائص متشابهة مع الوضع العالمي وأخرى إضافية خاصة بالوضع الفلسطيني . فالموارد الطبيعية (الأرض والمياه) تحت سيطرة ونهب الاحتلال ولا يستطيع الشعب الفلسطيني استخدامها او التصرف بها. الحرمان من الموارد الطبيعية ومن الحريات السياسية قوض عمليا مقومات النمو والتنمية قبل أن تبدأ. وكان قد أطاح بالتشكيلة الاقتصادية الاجتماعية للشعب الفلسطيني برمته، عبر عملية تطهير عرقي تاريخية أسميت (نكبة) قاطعا بذلك صيرورة النمو والتطور. وقد تواصلت هذه العملية بعد احتلال عام ١٩٦٧ في الضفة الغربية وقطاع غزة. وكان من ابرز تجلياتها : تدمير الزراعة وتهميش الفلاحين المكون الاساسي للمجتمع الريفي التقليدي. ومنع قيام اي مشاريع انتاجية تساهم في بلورة طبقة عاملة وبرجوازية. على العكس من ذلك جرى استقطاب العمال الى السوق الاسرائيلية، وتم إعاقة وكبح محاولات التطور الاقتصادي الاجتماعي والمؤسسي والقانوني في الضفة والقطاع لقطع الطريق على تبلور الكيان الوطني وعلى عملية تجسيده في دولة.

٣ ياش تاندون / مصدر سابق

مع تصاعد النضال التحرري ومع إعادة تبلور الكيان الوطني الفلسطيني لم يقتصر التدخل على دولة الاحتلال فقد تحول المجتمع الفلسطيني برمته الى هدف تنصب عليه التدخلات الدولية.باسم دعم الشعب الفلسطيني. وارتبطت مشاريع التنمية قبل إنشاء السلطة عام ١٩٩٤ بهدف محدد هو» تحسين جودة الحياة تحت الاحتلال في إطار المشروع الاستيطاني الكولونيالي الاسرائيلي»، و دعم تسوية سياسية «حل تفاوضي تقوده واشنطن» مع بقاء الاحتلال. بعد أوسلو وإنشاء السلطة الوطنية فتحت الابواب أمام التدخل المعولم الذي شارك فيه ٤٠ دولة و٢٠ منظمة عابرة للحدود ، ومئات المنظمات

غير الحكومية، إضافة للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي وهيئات تابعة للامم المتحدة .[٤] .

جاء الدعم كما يقول د. خليل نخلة بصيغة إملاءات خارجية دون إشراك القيادة السياسية او الناس العاديين. وتعترف وزارة التخطيط بذلك حين يقول متحدث باسمها :» الدول المانحة ترفض المشاريع الهامة طويلة ومتوسطة المدى التي تقدمها الوزارة وذلك استجابة للرغبات الاسرائيلية، لكنها تمول الرواتب والغذاء والصحة والشؤون الاجتماعية و برامج طارئة قصيرة الامد وغير انتاجية. لقد جرى ضخ ٦,٥ مليار دولار من المساعدات للسلطة والمجتمع المدني خلال عقد واعتبر ذلك من أعلى نسب المساعدات التنموية بحسب نسبة دخل الفرد على مستوى العالم. ولكن ماذا كانت النتيجة؟ : ٤٠– ٥٠٪ من الشعب الفلسطيني في حالة فقر، تعيش هذه النسبة بمعدل يقل عن دولارين لكل فرد يوميا. واكدت الامم المتحدة من جانبها الوضع السيء حين صنفت ٦٢٪ من الفلسطينيين في الضفة والقطاع يندرجون في خانة المكشوفين.

التدخل الخارجي من جهة أخرى أدى إلى بناء هياكل اقتصادية مشوهة، وإلى توسيع الفجوة بين الاغنياء والفقراء. كما تراجعت قدرة السلطة على تحقيق الدخل بنسبة ٦٠٪ وتم تشجيع النهج الاستهلاكي غير الانتاجي، ودعم المصالح الفئوية والقبلية والاجتماعية الضيقة، كما تم تشجيع الفساد والرشاوي، وتمخض حراك النخب واستجابتها لشروط الدعم الخارجي الى نشوء شرائح اجتماعية سياسية جديدة (سماسرة التنمية). والى تشوه في العمل المؤسساتي، (مؤسسات أبوية) يستمر رؤساؤها في القبض عليها الى ما لا نهاية خلافا لاخلاقيات المهنة

٤ خليل نخلة / اسطورة التنمية في فلسطين الدعم السياسي والمراوغة المستديمة / مؤسسة مواطن ٢٠٠٤ ص ١٧٧

والانظمة التي لا تسمح ببقاء مدير المؤسسة أكثر من دورتين وبموافقة مجلس الادارة الذي من المفترض أن يتجدد ايضا. وما يترتب على ذلك من اختيار موظفين وموظفات من أتباع مدراء المؤسسات. ومن الطريف في الامر ان الدول المانحة تدعم اللا ديمقراطية في هذه المؤسسات لطالما انها متوافقة مع سياساتها. ومن نتائج دعم التنمية، خلق حالة من انعدام الثقة بين مختلف طبقات المجتمع التي تقود الى إحباط وتفكك مقومات المواطنة، والنكوص للعائلة والعشيرة والتعصب الديني والجهوي والاستقواء بعلاقات التخلف كبديل لحقوق المواطنة والمجتمع المدني. وفي المحصلة الاخيرة أدى الدعم تحت مسميات التنمية والحكم الصالح الى تعميق علاقات التبعية للاقتصاد الاسرائيلي وللدول المانحة وصندوق النقد. وتحول الدعم الى قيد على القرار

السياسي وعلى كل مبادرة للضغط السياسي والدبلوماسي على دولة الاحتلال، وعلى كل مسعى للاستقلال.

كان من المفترض ان تؤسس المنظمة والسلطة للاعتماد على الذات والى أشكال من الدعم الصديق غير المشروط التي تصب في مجرى تنمية اقتصادية وبشرية حقيقية توفر المناعة للمجتمع وتحمي المستوى السياسي من الضغوط. ما حدث هو العكس جرى إحباط التنمية الحقيقية. وجرى استخدام الازمة الاقتصادية للضغط على القيادة السياسية واحباط ثقة الشعب بها وبالعملية السياسية. لقد طرح في أجندة المانحين دعم الاقتصاد الفلسطيني بما في ذلك التأسيس لبنية تحتية من اجل الانفصال الفلسطيني التدريجي عن الاحتلال توطئة لإقامة دولة مستقلة. أو هكذا فسر المسؤلون وجهات الاختصاص الفلسطينية التنمية في فلسطين. صحيح أن المانحين دعموا بناء المطار وخطوات أولية لبناء ميناء، لكن هذه العملية لم تستكمل وجرى تدمير المطار بسرعة قياسية. لكن هذه العملية خضعت لاشتراطات اسرائيلية مهينة افقدتها وظيفتها الاستقلالية والاقتصادية وهي الانفكاك عن الاحتلال والتأسيس لحرية حركة المواطنين ونقل البضائع. ورغم ذلك جرى تدمير هذه المحاولة، ولم تسع الدول المانحة للاعتراض الجدي ولإعادة البناء مرة أخرى، بمثل ما بادرت إلى إعادة بناء المقاطعات ومباني أجهزة الامن بسرعة قياسية. وزيادة على ذلك قوض جيش الاحتلال مؤسسات السلطة وأجهزتها وعزل رئيسها ياسر عرفات المنتخب والحاصل على (جائزة نوبل للسلام) ووضعته في صيغة اعتقال بشعة أدت الى وفاته، وبحسب روايات أخرى قامت سلطات الاحتلال بتدبير عملية قتله. وكان ذلك تتويجا للتدخل السافر. حدث ذلك من دون اعتراض جدي للدول

المانحة ما يؤكد التقاءها وانسجامها مع سياسة دولة الاحتلال.

بعد الاجتياح الاسرائيلي لمدن الضفة الغربية ٢٠٠٢ ، سرعان ما تكيفت سياسة المانحين مع سياسة دولة الاحتلال في شطب الهامش المتعلق بدعم بنية تحتية، او حسب رأي الباحثة «آن لي مور» : ان الدول المانحة خلال الاثني عشر الماضية لم تقمبتمويل الاحتلال الاسرائيلي المستمر للاراضي الفلسطينية فحسب، بل وكانت أيضا تقوم بتمويل برامج التوسع الاستيطاني خلافا للقانون الدولي وللاهداف التنموية والسياسية للمجتمع الدولي وعلى حساب الشعب الفلسطيني وحقه في الحصول على حكم ذاتي « وبهذا المعنى انتقلت الدول المانحة من سياسة تمويل إقامة دولة فلسطينية الى تمويل سياسات

منع إقامة دولة «[٥]. وتحولت وظيفة الدعم الى إغاثة طارئة ومساعدات انسانية، وخدمات اجتماعية هي الكلفة التي كانت تترتب على دولة الاحتلال ما قبل السلطة. وإلى تقديم دعم يكفي لبقاء السلطة على قيد الحياة. يلاحظ ان تأمين الرواتب تحول الى قرار دولي يخضع لتقييم شهري تلتزم به الدول العربية المانحة وأحيانا تستنكف عن دعم الاستحقاقات والمتطلبات. كما تعتمد تحويلات الضرائب المجباة من المواطن الفلسطيني من قبل دولة الاحتلال للسلطة على سلوك ومواقف الاخيرة ومعها قيادة المنظمة، ويستخدم كسلاح للضغط وللتأديب بشكله الوقح.

ما تقدم يشير الى أن الدول المانحة ملتزمة بمضمون السياسة الكولونيالية الإسرائيلية التي تعمل على تعميق الاحتلال والاستيطان وتقويض مقومات الاستقلال الوطني وإقامة الدولة. وفي احسن الاحوال لا يسعى من يعتبر نفسه مؤيدا لاقامة الدولة الفلسطينية الى منع او إعاقة او الاعتراض الجدي على دولة الاحتلال من أجل وقف انتهاكاتها السافرة للقانون الدولي وفي مقدمة ذلك حقوق الانسان وقرارات الشرعية الدولية، واللجوء الى الضغط والمقاطعة كما تعاملت من قبل مع نظام الابارتهايد في جنوب افريقيا. لم تتمايز مواقف الاوروبيين وروسيا والصين واليابان عن السياسة الاميركية المنحازة للسياسات الاسرائيلية والمعرقلة لاي حل لا توافق عليه إسرائيل.

التنمية مستحيلة تحت إحتلال كولونيالي إقصائي يسيطر على الموارد والادارة والحريات العامة والفردية ويتحكم في تطور شعب كامل. وسياسة الاعتماد على دعم الدول المانحة كانت فاشلة وأدت الى نتائج وخيمة على المجتمع وبخاصة الطبقات

٥ ورقة بحث مقدمة من "آن لي مور" الى مؤتمر مواطن ٢٠٠٦ بعنوان تمويل منع الدولة الفلسطينية

الشعبية التي تمثل السواد الاعظم من الناس رجالا ونساء، مع أن النساء حافظن على موقعهن كأفقر الفقراء. المستفيدون كانوا أفرادا من الطبقة الوسطى نساء ورجالا، وشرائح من الوكلاء (الكمبرادور) والمضاربين بالعقارات والبنوك. هؤلاء حصدوا المكاسب والارباح في الوقت الذي تدهورت فيه الحالة الاقتصادية والمعيشية للسواد الاعظم نساء ورجالا.

ثانيا : موقع رأس المال الفلسطيني من التنمية

بعد (النكبة) اتجه اصحاب رأس المال الفلسطيني الى الاسواق العربية والعالمية واندمجوا داخلها واكتسبوا هويتها متخلين عن هويتهم الفلسطينية وعن امكانية البحث عن وسائل لرفع المعاناة عن شعبهم ومتواطئين مع طمس الهوية الفلسطينية ومحاولات إذابتها في

هويات أخرى. مؤكدين مقولة ليس للرأسمال وطن. او الرأس مال هو وطن الرأسماليين . لم يشاركوا في إعادة إحياء الهوية الفلسطينية إلا بعد مبادرة النظام العربي لاحيائها ضمن مشروع نظام فلسطيني(منظمة التحرير الفلسطينية) ملحق بالنظام العربي ومحاوره وكان مركز النظام العربي آنذاك النظام الناصري.توزع البرجوازيون في الخليج ومصر والاردن في تشكيلة المنظمة مع وجود غلبة للناصريين بقيادة أحمد الشقيري. وعندما صعد ممثلوا المقاومة والثورة من صفوف البرجوازية الصغيرة والمتوسطة الى قيادة المنظمة تتويجا «لنجاحهم في إعادة بناء المجال السوسيولوجي والشبكات الاجتماعية ونظمها القيمية ورموزها الثقافية التي كانت تعني استعادة القدرة اللازمة لتوليد النشاط السياسي العلني لحركة وطنية مستقلة وسط التجمعات الفلسطينية. وقد نجحت الحركة السياسية الجديدة بعد تحطم الامل المعلق على القومية العربية»[٦]

لاذ البرجوازيون التقليديون بالهامش. ولم يطرحوا مشروعا وطنيا وثقافيا، بسبب طبيعة مشاريعهم غير الانتاجية وبسبب عمل اكثريتهم الساحقة خارج فلسطين والمجتمع والتجمعات الفلسطينية. اي بسبب افتقاد تشكيلة اجتماعية اقتصادية على الارض الفلسطينية وفي إطار التجمعات. كان كبار الملاك والكومبرادور داخل فلسطين على توافق مع الاستعمار البريطاني اقتصاديا وسياسيا. وحددوا تناقضهم فقط مع الاستيطان الكولونيالي الصهيوني. الاتجاه الابرجوازي الوطني الذي يملك طموحا في الانتقال من النظام الاقطاعي الابوي الى النظام البرجوازي الديمقراطي

٦ يزيد صايغ / الكفاح المسلح والبحث عن الدولة/ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٢٠٠٢ / ص ٩٢٩

كان ضعيفا وهامشيا. وقد جرفه المشروع الصهيوني الاقصائي بلا رحمة. ولم يتمكن من فعل شيء بعد النكبة، غير الاندماج والتكيف في البلدان التي استقر داخلها، وتوزع سياسيا على الناصرية وحزب البعث وحركة القوميين العرب وفتح لاحقا.

«بعد غزو لبنان عام ١٩٨٢ اجتمع أصحاب رأس المال الفلسطيني ووضعوا أهدافا محددة : زعزعة هيمنة الاحتلال ، التخفيف من التبعية للاقتصاد الاسرائيلي ، زيادة الاعتماد على الذات من خلال الانتاج ، تقوية القاعدة المؤسساتية للمنظمات المحلية والحفاظ على الموارد الوطنية، وتعزيز الترابط الاجتماعي، والشد من أزر القدرة الوطنية على مقاومة الاحتلال.[٧]».

خطة براقة ومهمة في الشكل، لكنها بقيت ضمن التصريحات الشفوية، وتبين لاحقا ان اكثر ما كان يهمهم هو مضاعفة رأس المال في فلسطين ضمن سياق التسوية السلمية وبمباركة من القوى الكبرى. واتضح ان تقارب كبار أصحاب المال مع قيادة منظمة التحرير جاء على قاعدة التوسط بين المنظمة والعديد من الدول العربية والادارة الاميركية

ودعم توجهات المنظمة السياسية نحو الولايات المتحدة (كان لهم دور في إقناع ياسر عرفات والضغط عليه لقبول تسوية عبر التفاوض وبنبذ العنف وقبول قرار ٢٤٢ والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود، مقابل الدعم المالي للمنظمة ومشاريعها داخل فلسطين، هذا الدعم الذي فتح أبواب الفرص على مصراعيها لمضاعفة العائدات من الارباح الخاصة بهم.[٨]. وهنا لا يمكن التعامل مع سياسة وتوجهات المنظمة باعتبارها حصيلة ضغط الرأسماليين فقط، بل هي تعبير عن المصالح المشتركة للتحالف والتعاون السياسي والاقتصادي بين البرجوازية البيروقراطية التي تقود المنظمة والبرجوازية من خارجها.

بات من الواضح ان مجمل الحديث عن تجنيد رأس المال الوطني من أجل تنمية فلسطين لم يكن سوى هراء وانحراف واضح عن الاهداف الحقيقية للتنمية. يتأكد هذا التقدير من خلال مرحلة أوسلو عندما قام اصحاب رأس المال بإنشاء مؤسسات و شركات خاصة ومنظمات تنموية متخصصة مثل مؤسسة التعاون وباديكو واعربوا عن نيتهم المشاركة بفعالية في عملية التنمية داخل الاراضي الفلسطينية.

٧ نخلة / مصدر سابق ص ١٨٢
٨ نخلة/ مصدر سابق / ١٨٣

لكنهم وفي أحسن الاحوال لم يقوموا بتنمية مجتمعية قابلة للاستمرار والاستدامة، ولم يتجاوزوا الخطوط الاسرائيلية التي تحدد ما هو المسموح به وما هو الممنوع». [٩] .

استثمار أصحاب الاموال في الاتجاه المعاكس للتنمية

«الاستثمارات الفلسطينية في إسرائيل والمستوطنات بين ١٩٩٣–٢٠١٠» عنوان رسالة ماجستير في الاقتصاد للطالب عيسى سميرات بلغت ٢,٥ مليار دولار عام ٢٠١٠، ويحتمل ان يصل الى ٥,٨ مليار دولار. علماً أن حجم الاستثمار الفلسطيني الخاص داخل الضفة الغربية، للعام ٢٠١١، بلغ ١,٥٨ مليار دولار فقط. [١٠] وتقول رسالة الماجستير: إن ١٦ الف رأسمالي ورجل أعمال فلسطيني حصلوا على تصاريح دخول دائمة الى اسرائيل، هؤلاء استثمروا في مناطق صناعية وشركات بعضها في المستعمرات المقامة على الاراضي الفلسطينية، وتحصيل حاصل يدفعون ضرائب استثماراتهم لوزارة المالية الاسرائيلية. وزير الاقتصاد السابق د. حسن ابو لبدة نفى لصحيفة القدس العربي وجود استثمارات فلسطينية في اسرائيل، وقال : الحديث عن استثمارات فلسطينية اسرائيلية مشتركة هو اشبه بحديث أكاديمي. فلا يوجد إلا ما ندر من الاستثمارات غير الظاهرة وهي ارقام متواضعة جداً جداً، لأن إسرائيل لا تسمح بمثل هذه الاستثمارات ولكن هناك بعض المستثمرين من القدس يستثمرون داخل اسرائيل لان القوانين الاسرائيلية تسمح لهم بالاستثمار. لكن دراسة الباحث سميرات تشير الى انه اتصل بشكل مباشر مع ٥٤٠ من المستثمرين الفلسطينيين، ووزع استبيانات مفصلة على ٤٢٠ مستثمراً (وتلقى إجابات من ٣٧٤) والتقى مع ١٢٠ مستثمراً في مقابلات شخصية. وحدد انتماء المستثمرين على مدن الخليل ونابلس ورام الله بمعدل ٣ آلاف مستثمر لكل محافظة، وبيت لحم بمعدل ألفين مستثمر، والقدس ألف مستثمر فقط. وحددت الدراسة مجال الاستثمارات في قطاع الانشاءات بنسبة ٢٢,٧٪ وفي قطاع التجارة ١٣٪ وفي قطاع الخدمات ١٥,٢٪ وفي فروع الصناعة التقليدية التي يهجرها المستثمرون الاسرائيليون ويذهبون الى التكنولوجيا العليا ٢٣,٥٪. ثمة فرق جوهري بين ارقام غير دقيقة للدراسة بنسبة خطأ يمكن تحديده، أو ان تكون الدراسة برمتها خاطئة ومفتعلة.. الدراسات وفق مناهج البحث العلمي المختلفة هي من اختصاص الاكاديميين. وكونها بحثا أكاديميا فهي مرشحة لأن تكون أقرب الى الصحة ما لم يثبت العكس وبالدليل الاكاديمي والبحثي.

٩ نخلة مصدر سابق ص ١٨٤

١٠ عيسى سميرات / رسالة ماجستير في الاقتصاد بعنوان الاستثمارات الفلسطينية في اسرائيل والمستوطنات بين ١٩٩٣-٢٠١٠ جامعة القدس ابو ديس /

ويمكن القول ان نسبة الذين صدقوا الدراسة تتزايد باضطراد، وبخاصة ان هناك تجارب لبعض أصحاب رأس المال. على سبيل المثال مصانع غزة انتقلت الى مصر بعد الحصار وبقيت تعمل بشراكة مع إسرائيليين في الانتاج وفي التسويق. ومصانع في الاردن تعمل بشراكة بين مستثمرين فلسطينيين واردنيين وإسرائيليين. كذلك تقرير لجنة المجلس التشريعي الأول عن بيع الاسمنت المصري لإسرائيل، ومقاولون متهمون بالعمل في الجدار والطرق الالتفافية. الاستثمار في المستعمرات وإسرائيل يتناقض مع موقف القيادة المطالب بوقف شامل للاستيطان، ويتناقض مع موقف وزارة الاقتصاد التي قادت حملة المقاطعة الناجعة لسلع المستعمرات، ويتناقض مع دعوات لجان المقاطعة الدولية بوقف الاستثمار في إسرائيل وبمقاطعة السلع الاسرائيلية وبمقاطعة كل الشركات التي تعمل في المستعمرات. ويتناقض مع مطالبة العمال بوقف عملهم في المستعمرات الاسرائيلية.[١١]

والاستثمار كما تقول د. غانية ملحيس: يندرج في إطار الجشع والإثراء الفردي على حساب المصالح العامة، فضلاً عن إسهام الاستثمار في تكريس الاحتلال وتعزيز مكتسباته،

وإسهامه في رفع كلفة مقاومته. الرسالة أقرت بوجود استثمار فلسطيني في إسرائيل والمستوطنات، وقدمت الدليل على تسرب رأس المال الفلسطيني إلى دولة الاحتلال. إن تسرب رأس المال الفلسطيني يستند إلى سياسة اقتصادية رسمها رجال أعمال وسياسيون واقتصاديون في القطاعين الرسمي والأهلي، وقد عمل هؤلاء على توسيع شبكة المصالح الاقتصادية الفلسطينية الإسرائيلية، وطالبوا بتحييد العمل الاقتصادي وفصله عن السياسة في ظل رعاية المانحين القوية.

السياسة الاقتصادية للسلطة محابية لرجال الأعمال، وقد أبقت خيار الاستثمار في الاقتصاد الإسرائيلي مفتوحاً لرجال الأعمال والمستثمرين.. يقررونه وفقاً لمصالحهم

الخاصة، ولهذا لم تضع الاستثمار خارج القانون ولم تطالب بوقفه كما فعلت إزاء مقاطعة سلع المستوطنات.

لا يوجد اهتمام بتتبع هذه الظاهرة إحصائياً، فالتقرير الصادر عن الجهاز المركزي للإحصاء وسلطة النقد حول الاستثمار الفلسطيني في الخارج خلا من أية معلومات

١١ مهند عبد الحميد / الايام / الاستثمار أضعف ميزان المناعة ٢٠١١/١١/٢٩

حول الاستثمار الفلسطيني في الاقتصاد الإسرائيلي، وهذا يثير سؤالاً حول موضوعية التقارير ونزاهتها وموضوعية القائمين عليها.

ما يعزز أهمية المبادرة أن أحد أهداف البحث نص على: الخروج بتوصيات للسلطة من أجل تشجيع الاستثمار الفلسطيني في المناطق الفلسطينية والحد من استغلال رأس المال والعمالة لصالح الاقتصاد الإسرائيلي. انعدام الضوابط السياسية المنظمة لحركة الاقتصاد والافتقار لإستراتيجية اقتصادية لا يتركان للفرد حرية القرار في القضايا الوطنية العامة، وهذا يؤدي إلى تسرب رأس المال الفلسطيني [١٢]

السياسة الاقتصادية الفلسطينية الراهنة لها جذور تمتد الى مرحلة الصعود والبحبوحة المالية في سبعينات القرن الماضي . في ذلك الوقت «عزفت القيادة السياسية عن دمج الجماهير المناصرة في بنى سياسية منظمةوفي وحدات جغرافية وروابط وظيفية متقاطعة تمتلك قدرة حقيقية على انتاج الموارد المادية والسيطرة عليها» ففي مرحلة تدفق الاموال (البترو دولار) بعد اندلا ع الثورة افتقدت تنظيمات المقاومة الى مشروع تحويل اجتماعي، وبدلا من انتاج الموارد ودخول الاموال في دورات الانتاج، تم تشجيع السياسة الريعية من قبل تنظيم فتح وتنظيمات يسارية ايضا، وتحقق النفوذ السياسي باعتماد الخطاب الوطني اساسا وعبر رعاية تنفيعية في حقل الاقتصاد. غاب اي جهد منسق لانشاء اقتصاد

فدائي في الاردن او في لبنان في الفترة من ١٩٦٨-١٩٨٢. لقد أغفلت القيادة اهمية الحصول على الموارد من المجتمع نتيجة استعدادها المفرط لاستبدال التعبئة الاجتماعية بالرعاية الدولانية وبعلاقات قائمة على الريع. كانت المشاريع الاجتماعية في مخيمات اللاجئين موجهة نحو جذب الاعضاء والتضخيم التنظيمي على حساب توليد الدخل . وحدث الامر نفسه تقريبا في الاراضي الفلسطينية المحتلة التي اعتمدت بشكل كامل على الاموال المقدمة من الخارج، علاوة على هيمنة التعيينات السياسية عليها. وأما التعبئة الاجتماعية من قبل التنظيمات اليسارية فقد عملت على اساس الافتراضات الاحتوائية التي استرشدت بها سياسة فتح تجاه المنظمات الشعبية . كان اكثر ما يهم القيادة هو استمرار تدفق المتطوعين والاموال. ما ادى الى تعزيز القيادة الفردية واستدامة النخبة المؤسسة، والى تكاثر الاجهزة شبه العسكرية وتضخم جداول الرواتب وخفض القدرة على المحاسبة وتقويم الاداء. [١٣]

١٢ غاتية ملحيس / الاستثمار الفلسطيني في الاقتصاد الاسرائيلي/ جريدة القدس /١ /١٢/ ٢٠١٢

وجه الغرابة هو حذو تنظيمات اليسار التي كانت تملك المال حذو تنظيم فتح. بعضها ذهب الى مشاريع منفصلة عن المجتمع لم تؤد الى الاستقلال المالي حتى بمستواه النسبي لأنها حاولت تطوير الموارد من خارج المجتمع وبطريقة اقرب الى الارتجال ضمن علاقات السوق. .والبعض بدأ بداية صحيحة ومشجعة داخل المجتمع غير ان استجابته السريعة للدعم الخارجي ابعدته بشكل تدريجي عن المجتمع وعن سياسة الاعتماد على الذات. ان السياسات الاقتصادية السابقة، لم توفر قاعدة انطلاق لتوليد الموارد من داخل المجتمع من خلال أشكال من التنمية الاقتصادية والبشرية القابلة للتطور القادرة على ربط أي دعم خارجي بأجندة وطنية فلسطينية وبأولويات نابعة من حاجة القطاعات الشعبية الفقيرة. قاعدة تمكن الشعب من الصمود ومواصلة وتصعيد نضاله الوطني للخلاص من الاحتلال. وفي الوقت الذي كان الاتجاه المركزي يفتح الابواب أمام البترو دولار واجندته في تغيير السياسات، ولاحقا فتح الابواب أمام الدعم المعولم المشروط من قبل البك الدولي وصندوق النقد والدول المانحة. لم تتمكن تنظيمات اليسار من فتح مجرى آخر هو توليد الموارد من داخل المجتمع وتعبئة الطاقات الذاتية . وفي غياب تلك القاعدة المادية، المقرونة بإرادة سياسية وثقافية ومجتمعية، وفي غياب قوة مثال بديلة تؤسس لبديل حقيقي تفتح المجال أمام استقطاب آخر. إزاء ذلك، وضع الشعب الفلسطيني أمام إملاءات الدول المانحة وبرامجها واجنداتها السياسية التي اوصلت الى أزمة اقتصادية حادة مترافقة مع أزمة سياسية حادة . اخفقت التنمية المزعومة وكان اقصى ما ابتغته أجندات المانحين هو التخفيف من حدة الصراع والحيلولة دون انفجاره وإلحاق الاضرار

بمصالح الكبار بما في ذلك مصالح دولة الاحتلال. لا يملك نظام العولمة غير سياسة تسكين اقتصادي مماثل للتسكين السياسي أو إدارة الازمة السياسية كما إدارة الازمة الاقتصادية الى حين. غير ان التسكين وإدارة الازمة لا يمكن ان يستمرا وقتا طويلا، كما حدث في البلدان العربية التي نفد صبروقدرة شعوبها على الاحتمال فحدث الانفجار.

الموضوع الجدير بوقفة ومراجعة هو التقاء السلطة والرأسماليين الفلسطينيين مع سياسة نظام العولمة –التقاء وتقاطع المصالح– والتعاطي الاقتصادي مع تلك السياسة رغم انعكاساتها السلبية على مصالح السواد الاعظم من المواطنين.في صيغة تغليب المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة والمشتركة. الموقع الاقتصادي فيما إذا كان مستقلا او تابعا او شريكا في النهب يكشف المواقع السياسية الحقيقية. فلا يمكن للتابعين اقتصاديا والمشاركين في استغلال شعبهم وإفقاره ان يدافعوا عن حقوقه السياسية والوطنية. ثمة تناقض ما بين الخطاب السياسي المدافع عن الحقوق والذي يبدو متشددا والدور

١٣يزيد صايغ / مصدر سابق ص ٩٤٦

الاقتصادي التبعي والاستغلالي. هذا التناقض كان واضحا قبل وأثناء النكبة في «مواقف القيادة التقليدية التي كان بعضها ضالع في بيع الاراضي في الخفاء وفي الوقت نفسه يقدم خطابا راديكاليا في العلن « كما ورد في كتاب دافيد فرامكلين (سلام ما بعه سلام)

. ويبدو واضحا الان في خطاب المتنفذين اقتصاديا الذين يدعون المواطنين لمقاومة الاستيطان ومقاطعة سلع المستوطنات ويستثمرون في الوقت ذاته داخل المستوطنات وداخل دولة الاحتلال.

ثالثا : التدخلات تكبح الاعتماد على الذات

في غياب الموارد الطبيعية التي سيطرت عليها سلطات الاحتلال، وفي ظل سياسة التطهير العرقي بأسلوب حرمان المواطنين من كل سبل العيش، المترافق مع التدخل العولمي وإملاءاته، ومع انحياز رأس المال الخاص لمصالح أصحابه الأنانية الضيقة. فإن السواد الاعظم من الشعب عانى وما يزال يعاني من اختناق اقتصادي. النساء وقع عليهن مثل هذا العبء مضافا اليه عبء آخر ناجم عن تعرضهن للتمييز والاضطهاد من قبل المجتمع. كيف يمكن الحديث عن تنمية اقتصادية وإنسانية في بيئة بهذه المواصفات النادرة؟ يصعب الدخول في عملية تنمية صغيرة كانت ام كبيرة بمعزل عن رؤية المعوقات بمختلف اشكالها وباحتمال التصادم والكبح والاعاقة من قبل الطرف الاقوى والمهيمن. لا يمكن وضع تنمية منفصلة عن اهداف سياسية وطنية واجتماعية محددة، أهداف قريبة وأخرى للمدى المتوسط والبعيد.التنمية الاقتصادية المستدامة لا تتحقق مع بقاء الاحتلال الكولونيالي. وهذا يقود للبحث عن مشاريع تنمية بصفتها شكل من اشكال مقاومة

الاحتلال.وتنمية في مواجهة التدخل والاملاءات الخارجية، وتنمية في مواجهة الفساد والاحباط الداخلي الذي يتقاطع مع الاحباط الخارجي لمشاريع التنمية. ومشاريع تنمية متحررة من السطوة الذكورية المدعمة بالخطاب الديني للاسلام السياسي. التنمية الحقيقية، هي التنمية المقاومة التي تضفر تحرر الانسان بتحرر الاقتصاد والخلاص من اشكال التبعية البشعة وبتحرر الوطن. هذا النوع من التنمية يحتاج الى حامل سياسي (قوى ثورية) وحامل اجتماعي يتكون من الكادحين والمقهورين.

محاولات لم تكتمل

التوجه لتنظيم النساء في إطار الحركة الوطنية وتنظيماتها في سنوات السبعينيات، قاد القوى اليسارية والعلمانية الى دعم انتظام جماهير واسعة من النساء في منظمات نسوية

في الثمانينيات . وقد عبر هذا التحول عن تطور في التفكير السياسي. وقد شرعت المنظمات النسوية بمحاولة تأمين الشروط الضرورية لمشاركة النساء كتأسيس رياض أطفال وحضانات ومراكز صحية ومشاغل تطريز وخياطة. وبفعل ذلك انخرطت مئات النساء في هذه الاعمال وبدأت المؤسسات الجديدة تؤمن فرص عمل، بدأت تولد الدخل من داخل المجتمع. وقد ادى ذلك الى تطور مكانة النساء المنتسبات للمنظمات النسوية داخل المجتمع، والاهم تطور دور النساء في إطار الاحزاب والتنظيمات اليسارية، اللواتي ساهمن في النضال الجماهيري العام فضلا عن النضال في صفوف النساء. وتوسع نشاط المنظمات النسوية وطورت شبكات وروابط مع النساء في المناطق الشعبية والمخيمات والريف. وكان ذلك بفعل الدعم الخارجي من منظمات نسوية صديقة ومانحين كان هدفهم ايجاد أشكال من النفوذ. غير ان هذه النقلة الكبيرة اتسمت بالتلقائية ولم ترتبط بعملية بناء استراتيجية في مستويين. الاول تطوير الوعي التحرري بأهمية النقلة لمصلحة تعزيز حرية النساء ورفع الظلم عنهن من خلال تطوير ونشر الفكر التحرري والانتماء المشترك نساء ورجالا لعقيدة اجتماعية. المستوى الثاني : وضع خطط للتحويل الاجتماعي وتوليد الدخل بإشراك أعداد كبيرة قابلة للزيادة، والتأسيس لمرحلة قادمة عنوانها الاعتماد على الذات وتجاوز فكرة وضع مشروح تحويل اجتماعي نضالي تحت رحمة المانحين.

بعد أوسلو توقف الدعم عن المنظمات النسوية وتحول بعضها او أجزاء منها الى منظمات غير حكومية وأدى وقف الدعم الخارجي الى توقف المشاريع النسوية. ليتصدر المشهد المنظمات غير الحكومية المتوافقة الى حد كبير مع سياسات المانحين وأولياتهم. هذه النقلة الخطيرة أدت الى اقتصار النشاط على نخب بيروقراطية وفي مجالات عمل من نوع المؤتمرات والورشات والسياحة والسفر والبروبوزل. وفي أحسن الاحوال دعم عينات

فردية متناثرة ومشاريع صغيرة. والابتعاد عن النشاط الذي يستهدف جموع النساء في المناطق الفقيرة والمهمشة. وعزل قضايا المرأة عن بعدها السياسي الوطني والاجتماعي. لقد جرى قطع الطريق على عملية توليد الدخل لدى أعداد متزايدة من النساء وبمشاركة متزايدة لتلك الاعداد في الانتاج وفي صنع القرار في (بداية التحويل الاجتماعي). لمصلحة صعود نخب نسوية قليلة العدد منفصلة عن القاعدة العريضة للنساء. نخب تغلب الطابع الدعوي الموجه للمانحين على مساعدة النساء وإشراكهن في عملية التحرر.

مؤسسات رائدة في مجال الصحة والزراعة ولدت في كنف قوى يسارية وقدمت نموذجا مهما على صعيد العمل التطوعي ومساعدة المزارعين المنكوبين ودعم المرأة الريفية. النجاحات الكبيرة لهذه المؤسسات الجماهيرية المستندة لمبدأ العمل التطوعي تعرضت

الى هجوم المانحين. وقد تحولت اهم المؤسسات بفعل الدعم الخارجي من عمل اجتماعي هادف ومرتبط بتوجه للتغيير يشارك فيه اعداد كبيرة من المستفيدين وبإشراف تنظيمات يسارية، الى عمل ونشاط نخبوي يقدم خدمات ومساعدات طارئة ومؤقتة ولمرة واحدة. تحولت من منظمة ولجان الى جهاز إداري يخضع لقيادة ذات متفردة. وانفصل هدفها الخاص عن الهدف العام والمشترك. وكان من نتيجة ذلك توقف عملية التحويل الاجتماعي والمشاركة وتوليد الموارد (التمكين الجماعي المنظم) من داخل المجتمع، وعزل الافراد عن طبقتهم ومجتمعهم وايهامهم بوجود حلول فردية فقط. وعدم المس بجذر المشكلة وهو النهب والاحتكار. ليحل مكانها المساعدات الطارئة التي يقدمها المانحون،لا لحل مشكلات المواطنين بل لتأخير تفاقمها وانفجارها ومعاظمة الفوائد التي يجنيها المانحون ووكلاؤهم المحليون.

وتوصلت دراسة بعنوان «أثر التمويل الاوروبي الأوروبي في تمكين المرأة الفلسطينية. إلى النتائج التالية :

– كل البرامج التمكينية للمرأة التي أدارتها مؤسسات المجتمع المدني سواء على صعيد التعريف بالحقوق والحريات او برامج التأهيل المتنوعة، لم تسفر عن تغييرات ذات شأن في حياة النساء وخاصة المتمكنات.

– ان الجهود المبذولة في التمكين الفردي تتوقف بتوقف التمويل وتترك مئات المتمكنات في مجال الاقتصاد لمواجهة مصيرهن.

– إن حقيقة ما يجري في الاراضي الفلسطينية في موضوع تمكين المرأة لا يتعدى مفهوم المساعدة أو الاغاثة الموسمية التي تلطف حدة الصراع وتساهم في تفتيت القوى

الاجتماعية وعزل النضال الاجتماعي والاقتصادي عن النضال السياسي.

– الممولون يتحكمون بالمشاريع والمؤسسات النسوية هي مُنَفِذْ وليست صانعة سياسة.

– ملاحظة حالة استسلام النساء المستهدفات لدورهن التقليدي، كما يلاحظ تماهي

كادر قيادي نسوي في أعلى الهرم مع أدوار الذكور في القيادة وكأنهن ينتجن بوعي أو بغير وعي ذهنا قياديا ذكوريا .١٤

نتائج هذه الدراسة التي تكشف عدم نجاعة التمكين الفردي للنساء والتحويل الذي أحدثه المانحون في إضعاف المنظمات النسوية الجماهيرية لمصلحة مؤسسات نسوية غير حكومية نخبوية معزولة وعلى مقاس أجندة المانحين. والتحويل الذي أحدثه التمويل في بنية وأدوار المؤسسات التي كانت ترتكز على سياسة العمل التطوعي والاعتماد على الذات. كل ذلك يطرح مسألة في غاية الاهمية هي غياب مرجعية فكرية وحامل سياسي يملك عقيدة اجتماعية وينطلق من أهداف سياسية وطنية، يتدخل ويعترض ويقاوم التدخلات ويحفر مجرى مستقلا لمشاريع التنمية وسياسات التمكين. المشكلة الحقيقية تتجلى في ضعف أو غياب تنظيمات اليسار التي من المفترض ان تشكل الحامل السياسي والمعنية ببناء الحامل الاجتماعي، والمعنية بضفر النضال الاجتماعي بالاقتصادي بالسياسي في عملية تحويل اجتماعي متعاظم.

رابعا : اسس التنمية البديلة

« عالما آخر ممكن»

«لا أحد يستخدم مقلاعا من أجل زعزعة توازن العملاق برمية واحدة. إن ما نحتاجه هو مضاعفة أسراب النحل بشكل كبير وتسخيرها لمهاجمة الوحش باستمرار ومن جميع الأطراف١٥» . جيكو ووتكر – البرازيل

وضع المنتدى الاجتماعي العالمي حدودا واضحة المعالم بين السوق الرأسمالي والسوق الذي تخلقه الحركات الاجتماعية. ذلك المنتدى الذي ارتبط ظهوره بتبلور حركات اجتماعية و بفكرة العدالة الاجتماعية ومعارضة السياسات «النيوليبرالية».

تأسس المنتدى على النقيض من القيم التي عقد من اجلها منتدى دافوس الاقتصادي

الذي يضم الثماني الكبار ويجتمع سنويا. كان هدف المنتدى الاجتماعي إظهار بدائل لمنطق السوق الرأسمالي. وبالفعل بدأت الحركات الاجتماعية تقدم بدائل وتناقشها، في إطار «عولمة التضامن»، كبديل للعولمة الرأسمالية المتوحشة. وانتقلت

١٤ حيدر عوض الله / أثر التمويل الاوروبي في تمكين المرأة الفلسطينية / جمعية فؤاد نصار / اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية ص ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨

١٥ جيكو ووتكر / المنتدى الاجتماعي العالمي ماذا الان ٢٠١٢/١٠/٢٦ الحوار المتمدن

هذه الحركات من مرحلة الاحتجاج لتدخل مرحلة تقديم المقترحات، رافعة شعار بأن «عالما آخر ممكن» وهي العبارة التي استخدمت لإطلاق التعبئة نحو تنظيم اول منتدى. يلخص المفكر سمير أمين التقدم والتحديات للمنتدى الاجتماعي العالمي بالقول : منذ يومها عرفت التجربة اهتماماً شعبيا واسعا فتأسست على غراره منتديات قاري

ة ومحلية تربطها جميعاً ميثاق سمي بميثاق «بورتو اليغري». غير ان التحدي الذي يواجه المنتدى في كيفية الانتقال من مرحلة الوعي الجماعي بالتحديات، الى مرحلة بناء القوى الاجتماعية الفعالة والضرورية لإحداث التحول. وفي الانتقال من المقاومة الدفاعية الى البناء والهجوم. وفي الوقت الذي حققت فيه الحركات الاجتماعية والقوى التقدمية في العالم الثاني (أميركا اللاتينية) جزءا من برامجها للعدالة الاجتماعية، فإن تحقيق ولو جزء بسيط من العدالة ما يزال عاثرا في اسيا وأفريقيا. وذلك يعود لأن افكار النخب في القارتين لا تقوى على التغيير، وبسبب القصور الديمقراطي الملازم لاشكال التنظيم وبسبب دور الاسلام السياسي والمنبر الديني في التخلف الاجتماعي وبخاصة الظلم الذي يلحق بالنساء. إن تسييس القوى الاجتماعية وتمفصلها مع المشروع البديل، أي بناء هيمنات اجتماعية (تحالفات طبقية) تفرض نفسها كبدائل للهيمنات الاجتماعية الحاكمة (أي هيمنات التحالفات التي يسيطر عليها رأس المال والإمبريالية وكذا الطبقات الكمبرادورية المحلية القائمة على خدمتها)[١٦]

هذا المطلب يلقى المقاومة من منظمات غير حكومية داخل المنتدى تبتعد عن التسيس وتصوغ مفردات خطابها باستلهام منظور مؤسسات المنظومة الرأسمالية (تقليص الفقر، الحكم الصالح، الثقافوية المتصاعدة مهام كالانتخابات والديمقراطية والتعددية غير مرتبطة «بالمسألة الاجتماعية»، ومنعزلة عن اي تقدم اجتماعي او معالجة الردة الاجتماعية التي يقودها الاسلام السياسي، تلك السياسات التي ما زالت تلحق الضرر بالحركات الاجتماعية.

النجاحات في البرازيل والأرجنتين وفنزويلا وبوليفيا وإكوادور وبيرو ونيكارجوا، تحققت نتيجة لمنطق حركات تمكنت من بناء نفوذ جماهيري كبير وتوافق سياسي فعال. وهي نجاحات «ثورية» بمعنى أنها رجحت موازين القوى الاجتماعية والسياسية لصالح الطبقات

الشعبية. ويرجع السبب الرئيسي في نجاحها إلى الجواب العملي والواقعي الذي قدمته في ما يتعلق بديمقراطية «إدارة الحركات»، والتوجه السياسي لمشروعاتها.

١٦ سمير أمين/ هل المنتدى الاجتماعي العالمي مؤهل للنضالات الشعبية/ الحوار المتمدن / ١٩ /١٠/٢٠١٢

إن إعادة بناء «جبهة بلدان وشعوب الجنوب» تعد من الشروط الأساسية لنشأة «عالم آخر» ليس مؤسساً على السيطرة الإمبريالية. عالم يستند الى مراكز البحث والتفكير» المتمفصلة بشكل مباشر مع قوى سياسية واجتماعية تناضل ضد المنظومة الرأسمالية. وهو يشجع تكوين جماعات للعمل المشترك. جماعات النقابيين («إعادة بناء الجبهة الموحدة

للعمل») والحركات الفلاحية (فرض حق الفلاحين في الحصول على الأرض) والقوى السياسية المناهضة لسياسات رأس المال والإمبريالية العالمية (العمل على مسائل القانون الدولي أو إصلاح منظومة الأمم المتحدة ونظم الإدارة الاقتصادية للعولمة.[١٧] ويبقى ناظم المنتدى الذي حدده «جيكو ووتكر» المفكر البرازيلي وأحد المؤسسين للمنتدى العالمي هو:

نشر رسالة الأمل التي يحملها المنتدى في جميع أنحاء العالم، وتأكيد المجتمع المدني كفاعل سياسي مستقل، والبناء الفعال لثقافة سياسية جديدة.[١٨]

التحدي الكبير الذي يواجه قوى التغيير الجدية في المجتمع الفلسطيني هو الاضطلاع بمهمة تكوين وعي جماعي بالتحديات ليس من قبل النخب وحدها بل ومن قبل الناس الذين لهم مصلحة في التغيير. نحن متأخرون عن العالم في هذا المجال وتقع مشاركتنا في المنتدى الاجتماعي العالمي نظرا لافتقاد الوعي، في موقع القوى التي تتبنى الليبرالية وضمن استقطاب القوى التي اخترقت المنتدى العالمي لمصلحة الليبراليين وسياساتهم التي ألحقت بالشعوب وبخاصة الشعب الفلسطيني كوارث اقتصادية وسياسية واجتماعية. السؤال هنا : كيف يمكن تصويب هذا الانحراف الذي يلحق الضرر بالتضامن والدعم

العالمي للتحرر الفلسطيني. والشق الاخر من المهمة هو بناء القوى الاجتماعية الفعالة والضرورية لاعادة الاستقطاب داخل المجتمع وتعزيز كفة قوى التحرر والتقدم بهوية واضحة

لا لبس فيها هوية اليسار الثوري. يلاحظ ان الاختلاط في إطار المنتدى العالمي وثيق الصلة بالاختلاط داخل المجتمع الفلسطيني في إطار الحركة السياسية واتجاهاتها. اليسار تحديدا يجزيء المهمات ويفصل التكتيك عن الاستراتيجية. وما يزال يعتمد نظام الكوتا الذي يقدم فيه الاتجاه السائد حصصا مقابل أثمان باهظة. كتحول مؤسسات المنظمة الى هياكل هامدة لا يربطها بمصالح الناس ولا بنبضهم واحتياجاتهم اي رابط. بل إدارة

١٧ سمير أمين / مصدر سابق
١٨ ووتكر / مصدر سابق

الظهر للمواطنين مقابل الاستفزاز والسخط الشعبي. وتحولت الاتحادات الشعبية الى ديكورات منفصلة عن قواعدها وفي مرات كثيرة تتحول الى ابواق للاتجاه الليبرالي النافذ كاتحاد المرأة واتحاد الكتاب ونقابة الصحفيين . وحال النقابات لا يقل سوءا، كذلك المنظمات الجماهيرية منظمات الشباب والمنظمات النسوية. وهذا يفسر افتقاد اليسار لحامل سياسي واجتماعي للتغيير.

ان ضعف تكوين وعي لليسار بالتحديات، وفي احيان اخرى الافتقاد لذلك الوعي، يعطل عملية تكوين وعي جماعي او اكثري بتلك التحديات، ويعطل عملية بناء القوى الاجتماعية القادرة على البدء بعملية التغيير في واقعها والقادرة على استقبال الدعم والمشاركة الأممية، فضلا عن الالتحام بالنضال الاممي. الحامل السياسي الافتراضي للتغيير الذي تمثله قوى اليسار معطل داخليا، وغائب عالميا. فكيف السبيل الى تشغيله؟

أولا : مراجعة نقدية لتجربة العقدين الماضيين في مجال التنمية، والتوقف عند الاضرار الفادحة التي لحقت بالشعب الفلسطيني، جراء فرض سياق تنموي بإملاءات وقيود سياسية واقتصادية من قبل النظام العولمي. . و التوقف عند سياسة التنمية في ظل الاحتلال التي تنطلق من تحييد الاحتلال الكولونيالي الذي شكل على الدوام العائق الاكبر والمهدد المباشر للتنمية بمختلف اشكالها. مراجعة تتوقف عند قبول السلطة الوطنية ومنظمات المجتمع المدني لهذه الاملاءات. ودور السلطة في تكريس الانحرافات الاقتصادية والهيكلية والمجتمعية –الفساد والاثراء غير المشروع ونشوء شرائح مرتبطة بالبنية الكولونيالية–، وما ترتب على ذلك من تعطيل الدينامية الذاتية في عملية التنمية وفي التماسك الوطني والاجتماعي.

ثانيا: تحديد الاهداف التنموية حسب المتطلبات المحلية وحاجة المجتمع بالاستناد لاولوية ومركزية العنصر البشري وأهمية الاستثمار في الموارد البشرية ،وحماية نسيج المجتمع من التمزق والتفتت. وتشجيع الجهود الجماعية وتوطيد القيم المشتركة، وتنمية الروابط الداخلية التي تحافظ على وحدة وتماسك المجتمع. وعدم التعامل مع الشرائح العليا والنخب الاقتصادية من رجال الاعمال والنساء باعتبارها الفئة الوحيدة المستهدفة.

التنمية الحقيقية تتأسس على التفاعل الاجتماعي داخل الطبقات الشعبية التي لا يشملها الاهتمام ولا التطور، بالدرجة التي تسمح برفاه الناس ومشاركتهم في صنع القرار والتحرر من الاحتلال والهيمنة والتبعية.

ثالثا : اهمية العامل الاقتصادي في التحرر الاجتماعي باعتباره عاملا مقررا في اي تنمية. وما يتطلبه ذلك من ربط قضية تحرر النساء (نصف المجتمع) بقضية تحرر المجتمع على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ان غالبية مشاكل المرأة تعود اساسا الى تبعيتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للرجل كونها عضوا غير منتج في المجتمع. فلا يمكن ان تكون المرأة تابعة اقتصاديا للرجل وفي الوقت نفسه مساوية له. إن انخراط المرأة في العمل السياسي الديمقراطي التقدمي يجعل دورها الانتاجي يأتي أُكله في دعم تحررها الاجتماعي، وفي تغيير العلاقات الاجتماعية من دون تمييز ضد النساء، وبتحقيق المساواة.

رابعا : الفكر والثقافة التحرريان كرافعة للتقدم يتولى فيها المثقفون والمفكرون مهمات من نوع : بلورة المشروع التحرري العلماني التنويري التقدمي وفي مركزه تحرير المرأة. استشراف المستقبل والتصدى النقدي للاسئلة الاجتماعية المعقدة. تعزيز العلاقة المتبادلة بين السياسة والثقافة من أجل تقدم المجتمع. مقاومة ديمقراطية للفكر التعصبي الذي يفرض أشكالا من السلوك ويعتدي على الحريات العامة والخاصة ويمارس الارهاب الفكري. إعادة قراءة التراث وتجديده ومحاربة الاستبداد والشعبوية. والانفتاح على الثقافة والحضارات الانسانية. واستكشاف ديناميات التغيير والتطوير المجتمعي ونقد حالة الميوعة الاجتماعية والفساد والنظام البطريركي.

خامسا : بناء تحالفات وروابط وجسور مع القوى التقدمية واليسار في اميركا اللاتينية وأوروبا وافريقيا وفي مختلف أنحاء العالم والمشاركة في المنتدى الاجتماعي العالمي ونشاطاته المناهضة للعولمة المتوحشة، من اجل التعاون ونقل الخبرات وتبادل الدعم والتضامن. ومن أجل مناهضة النيو كولونيالية. وإعادة الاعتبار للنضال الاممي المشترك ضد النهب والهيمنة والحروب والعنصرية والديكتاتورية وارهاب الدولة والارهاب الأصولي.

سادسا : دراسة تجارب الحركات الاجتماعية الناجعة وأشكال التنمية البديلة والعمل التعاوني والتجارب النضالية في اميركا اللاتينية وتجربة «بنك غرامين» للبرفسور محمد يونس ، وتجربة المنتدى الاجتماعي العالمي، ومنظمة أتاك وغيرها من التجارب التي حققت انجازات عملية مهمة

سابعا : الحامل السياسي والاجتماعي : المشروع التحرري بحاجة الى قوى سياسية تحمله

وتدافع عنه وتطوره وتنضج شروط تحقيقه في مدى زمني منظور. من ستكون تلك القوى ؟ كل تنظيمات اليسار أو إحداها او أجزاء منها، كل اليساريين/ات المستقلين، ومثقفين/ات علمانيين/ات وتقدميين/ات، ومتدينين/ات متنورين. وحركات اجتماعية، ونقابات، ونسويات. انها القوى التي لا تدعي بل تبني مقومات هذا الدور للانطلاق والفعل والمبادرة وإعادة الاستقطاب وفي مقدمة ذلك الرؤية والاهداف. وحتى يستطيع الحامل السياسي الشروع في عملية التحويل الاجتماعي التحديثي التقدمي يحتاج إلى قاعدة اجتماعية صلبة متوحدة المصالح مع الحامل السياسي على برنامج التغيير الثوري. فلا حداثة ولا تنمية ولا تحويل اجتماعي من غير زج الطبقات الشعبية في التنمية والتحرر الاجتماعي والوطني.عبر بنية تحتية ودورة حياة اقتصادية لتوليد الموارد من داخل المجتمع في صيغة تنمية جماعية. مع الاخذ بالاعتبار ان التكون الطبقي للشعب الفلسطيني لم يتم في سياق تشكل مجتمعي طبيعي اي لم تتكون علاقات سياسية وثقافية وتفاعلية بين الطبقات الاجتماعية المتعددة، عبر مواقعها في علاقات إنتاج محلية. وثمة حقائق ديمغرافية واقتصادية أحدثت تعديلا كبيرا على واقع الطبقات الاجتماعية لم تؤخذ بالاعتبار إلا بمستوى محدود في السبعينيات والثمانينيات من قبل التنظيمات اليسارية، وبمعنى آخر تغيرت الخرائط الاجتماعية وبقيت الخرائط التنظيمية على حالها. وكانت سلطات الاحتلال قد وجهت ضربات شديدة للحامل السياسي للانتفاضة الأولى ممثلا بمنظمات الشبيبة والنقابات والمنظمات الجماهيرية والنسوية ووسائل الاعلام إضافة للكادر التنظيمي والحزبي الرئيسي للمنظمة وتنظيمات اليسار التي ازدهرت من قبل وساهمت في تنظيم الانفجار الشعبي (الانتفاضة) بعد حدوثه بسرعة قياسية. ولم تتمكن التنظيمات من إعادة بنائها أثناء الانتفاضة بفعل القمع الوحشي الاسرائيلي (سياسة تكسير العظام). وطغيان التوجة لصيغ شبه عسكرية « القوات الضاربة) الفهد الاسود والنسر الاحمر وغيرهما من المسميات. ولم يعد بناؤها بعد الانتفاضة بفعل قيام سلطة شكلت بديلا للصيغ السابقة من وجهة نظر تنظيم فتح. ولم يفعل اليسار شيئا يخالف هذه النقلة باستثناء التذمر والشكوى من قلة الامكانيات وفي كلا الحالين كانت الخسارة كبيرة لانها أخلت المكان لصعود الاسلام السياسي المحافظ الذي لا يؤمن بالتعدد السياسي والثقافي ولا بتحرر النساء ومساواتهن بالرجال.

ان نقد التجربة السابقة، ووضع افكار وتصورات وسياسات جديدة، ومواكبة النضال الاممي المتجدد، وحفر مجرى لاستقطاب جديد، وبناء قوى اجتماعية تنهض بعملية التغيير على أسس التحرر الوطني والاجتماعي والعدالة الاجتماعية والمساواة. مهمات كبيرة تحتاج الى : مرجعية فكرية «هيئة بحث ودراسة» تفتح ابواب الحوار على مصارعيها، ومرجعية

سياسية تنظم النضال المشترك، ومرجعية اقتصادية تقدم المشاريع وطرق توليد الموارد.

خامسا : نماذج مشجعة وقوة مثال

فلسفة أوبونتو[١٩]

«قدم عالم انثروبولوجيا لعبة لأطفال قبيلة إفريقية. وضع سلة من الفاكهة بالقرب من شجرة وقال لهم: إن أول طفل يصل إلى الشجرة سيحصل على كل الفاكهة. عندما أعلن عن إشارة بدء السباق، أمسك الأطفال بأيدي بعضهم البعض وركضوا معا باتجاه السلة، وتناول كل طفل حبة فاكهة وجلسوا للتمتع بأكلها. عندما سأل العالم الأطفال، لماذا تصرفتم بهذا الشكل، قالوا :»أوبونتو»، كيف يمكن أن يكون واحد سعيد اذا كان الاخرون حزينين.»أوبونتو هي فلسفة القبائل الإفريقية التي يمكن تلخيصها «أنا– لأننا نحن». نموذج مقارن بالغ الدلالة بين حل فردي يجسد جشع الشخص الأقوى على حساب حرمان الآخرين الأقل قوة جسدية فيما لو أخذ الأطفال بعرض عالم الانثروبولوجيا . وبين حل جماعي جسده كل الاطفال بنيلهم جميعا حصة متساوية للجهد المتساوي والعمل المشترك ، انها العدالة التي ما كانت لتتحقق لولا ثقافة الاطفال التي لا تفصل المصلحة الخاصة عن المصلحة المشتركة «أنا لأننا نحن».[٢٠] ثقافة اشتراكية سائدة لدى قبيلة افريقية.

تجربة بنك الفقراء «بنك غرامين»

كتاب بعنوان تجربة بنك الفقراء للكاتب مجدي سعيد يستعرض فيه تجربة فريدة من نوعها، لجهة خروجها عن منظومة قوانين البنوك في الاقراض وفي دعم الفقراء من دون كفالات بنكية. ليقوموا بتأسيس مشاريعهم الخاصة المدرّة للدخل، وذلك تأسيسًا على الضمان الجماعي المنتظم في صورة مجموعات مكونة من خمسة أفراد، ومراكز مكونة من ست إلى ثماني مجموعات. ولجهة الثقة بالانسان الفقير وبقدراته على العمل والانتاج، وباستجابة النساء للتنمية الانسانية بالاعتماد على قدراتهن الخلاقة في العمل والادارة. تجربة بطلتها النساء المعدمات ومعهن البروفسور البنغالي محمد يونس الذي حصل بموجب هذه التجربة الرائدة على جائزة نوبل وفيما يلي ملخصا للتجربة[٢١]

يقول البروفيسور يونس : «أثناء المجاعة كان الناس في الخارج يموتون بالمئات، فانتقلت إلى قرى بنجلاديش أكلم الناس الذين كانت حياتهم صراعًا من أجل البقاء، فقابلت امرأة

١٩ / http://www.livelifehappy.com

٢٠ UBUNTU" philosophy

تعمل في صنع مقاعد من البامبو، وكانت تحصل في نهاية كل يوم على ما يكاد فقط يكفي

للحصول على وجبتين، واكتشفت أنه كان عليها أن تقترض من تاجر كان يأخذ أغلب ما معها من نقود. وقد تكلمت مع اثنين وأربعين شخصًا آخرين في القرية ممن كانوا واقعين في فخ الفقر، لأنهم يعتمدون على قروض التجار المرابين، وكان كل ما يحتاجونه من ائتمان هو ثلاثين دولاراً فقط. فأقرضتهم هذا المبلغ من مالي الخاص، وفكرت في أنه إذا قامت المؤسسات المصرفية العادية بنفس الشيء؛ فإن هؤلاء الناس يمكن أن يتخلصوا من الفقر. إلا أن تلك المؤسسات لا تقرض الفقراء، وبخاصة النساء الريفيات

تجربة بنك الفقراء «جرامين» التي بدأها في بنغلاديش محمد يونس.تعتمد فكرة البنك على تقديم قروض صغيرة لتمويل مشروعات منزلية تقوم عليها غالبا نساء. وقد قدم البنك منذ تأسيسه أوائل الثمانينيات نحو ١١ مليون قرض، ووصلت نسبة تسديد القروض إلى ٩٩٪.

فلسفة البنك تقوم على أن الائتمان يجب أن يقبل كحق من حقوق الإنسان، ومن ثم تبني نظاما على أساس أن الشخص الذي لا يملك شيئا له الأولوية في الحصول على قرض. منهجية جرامين لا تتأسس على تقييم الملكية المادية للفرد، وإنما تتأسس على الدافعية التي يملكها، ذلك أن كل البشر بمن فيهم الأكثر فقرا موهوبون بدافعية لا حدود لها.البنك يعطي الأولوية للنساء اللاتي يشكلن ٩٦٪ من مقترضيه، ويعمل على تحسين أوضاعهن

في أسرهن بإعطائهن القدرة على التملك. الفقير لا ينبغي أن يذهب إلى البنك، وإنما على البنك أن يذهب إليه. ويتعامل البنك اليوم مع سبعة ملايين شخص في أكثر من ٧١ ألف قرية. البنك مشروع اقتصادي ربحي يقوم على تدوير المال واستثماره، وذلك بإقراض المال لعملائه من الفقراء. النظام الاقتصادي للبنك يقدم القروض للفقراء، دونما ضمانات مالية من صنف تلك الضمانات التي تطلبها المؤسسات المالية. لكنه يتخذ من الوسائل الكفيلة لاستعادة هذا المال من خلال نظام مالي وإداري صارم قائم على ضمان الجماعة المحلية، إضافة إلى رقابة ومتابعة موظفي البنك. أنواع القروض في البنك هي:

– القرض العام، ويحصل عليه كل أعضاء البنك، ويستخدم في جميع أغراض الاستثمار الفردي.

٢١ مجدي سعيد / تجربة بنك الفقراء / عرض ابراهيم غرايبة / الدار العربية للعلوم ناشرون/ بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠٧ الجزيرة نت – معرفة

– القرض الموسمي، والغرض منه دعم الزراعات الموسمية.

– قرض الأسرة، وتحصل عليه الأسرة عن طريق المرأة، وهي المسؤولة قانونيا عنه.

– وهناك قروض الإسكان. ويحصل الموظفون في الفرع على ١٠٪ من الأرباح كحوافز، ويشرف على كل ١٠ فروع مكتب منطقة يقع غالبا في مدينة صغيرة.

وعندما واجهت بنغلاديش أعنف فيضان عام ١٩٩٨ إذ بقي الناس تحت الماء ١٠ أسابيع وفقدوا ممتلكاتهم ومنازلهم، قرر بنك جرامين القيام ببرنامج ضخم لإعادة التأهيل بتوزيع قروض جديدة لمشاريع مدرة للدخل. وقد أتاح النظام الجديد للمواطنين المعدمين الالتحاق ببنك جرامين بدون التزام بالعضوية ولا يطلب منهم ادخارا ولا سدادا أسبوعيا، إذ يتم تشجيع المراكز على وضع قائمة بالأسر المعدمة في منطقتهم، وعلى المجموعات أن تأخذ الأعضاء المعدمين تحت أجنحتها، وتنصحهم بالخروج من مخاوفهم وتعطيهم مهارات الأعمال المطلوبة وتساعدهم على اتخاذ نشاط مدر للدخل. كشفت الدراسات أن مقترضي جرامين يتحركون إلى خارج دائرة الفقر، فطبقا لإحدى الدراسات يتحرك ٥٪ من المقترضين سنويا خارج دائرة الفقر.

جرامين وتحسين نوعية الحياة

يحدد المؤلف مداخل التنمية في تجربة بنك جرامين للفقراء في المبادئ التالية:

أولاً– تحسين حالة المسكن الذي يعتبر من المطالب الأساسية للتنمية، وبخاصة في بلد مثل بنغلاديش الذي يعيش أغلب سكان الريف به في أكواخ مبنية من البامبو .سبق للبنك أن حصل على جائزة الآغا خان للعمارة الإسلامية، وكانت أول مرة تعطى فيها الجائزة لنمط من أنماط «عمارة الفقراء» الملائمة للبيئة والظروف الاقتصادية، والتي تحقق في الوقت ذاته خطوة إلى الأمام في تحسين حالة المسكن لهذه الفئات الفقيرة في المجتمع

ثانيا– تحسين الوضع الصحي للمجتمع عبر تحسين الحالة الصحية للأسرة، وزراعة الخضراوات. فقد أنشئت تسعة مراكز صحية تابعة لبنك جرامين لتتعامل مع المشاكل الصحية للمقترضين وأسرهم في تلك المناطق. كما يمكن لغير أعضاء البنك في تلك المناطق أن يتلقوا العلاج الصحي في تلك المراكز.

ثالثا– المدخل التعليمي، بإحداث نهضة المجتمع وإتاحة الفرصة للحراك الاجتماعي، فقد اهتم البنك بتحسين التعليم، وذلك عبر برامج قروض التعليم العالي ومساعدة الطلاب

الفقراء والمتفوقين على مواصلة تعليمهم العالي على أمل إنشاء جيل من الفقراء المتعلمين تعليما عاليا يجعلهم قادرين على الخروج من دائرة الفقر. وأسس البنك بالتعاون مع اليونسكو في إطار مبادرة التعليم للجميع «مؤسسة جرامين للتعليم» التي تستهدف التعليم المستمر للنساء الفقيرات الأميات من عضوات البنك والدمج الاجتماعي لهن وتحسين نوعيات حياتهن من خلال محو أمية القراءة والكتابة والحساب.البنك يقوم بتنمية الوعي الاجتماعي بمشاكل المجتمع، أي الإحساس الاجتماعي بالآخرين. ويسعى البنك إلى تحسين نوعية الإنسان ذاته عبر تغيير الأفكار والمفاهيم وبث روح الثقة بالنفس فلا بد من تغير فكرة الناس عن الفقر بأنها مشكلة ليس لها حل، ولا بد للفقير أن يشارك في حل مشكلته ولا ينتظر مساعدات المحسنين فقط، وكل إنسان قادر على أن يدير عملا سواء كان فقيرا أو أميا أو امرأة.

مؤسسات بنك غرامين

مؤسسة جرامين كريشي التي ظهرت عام ١٩٩١ وتهدف إلى تحسين نظام الري، والعمل على إدخال التقنية ومساعدة المزارعين على زيادة محاصيلهم، والعمل على زراعة الأراضي غير المستغلة، وزيادة فرص التوظيف للنساء الفقيرات في مختلف الأنشطة الزراعية.

مؤسسة جرامين أدوج التي اشتهرت بالمنسوجات اليدوية البنغالية، فيوجد في بنغلاديش أكثر من نصف مليون مغزل في القرى، تقوم مؤسسة جرامين أدوج بمساعدة النساجين بتوفير المواد والأصباغ والتصميمات الحديثة، وتقديم خدمات

التسويق، ومتابعة الجودة من خلال الإشراف.ونتيجة لهذا العمل فقد أضيف ٨٠٠٠ مغزل يدوي حديث إلى قاعدة الإنتاج في جرامين تشيك، ويستفيد منهات أكثر من ١٠ آلاف أسرة استفادة مباشرة. وقد قامت مؤسسة جرامين تشيك بتصدير ١٣ مليون ياردة إلى أوروبا والولايات المتحدة عبر العديد من أصحاب مصانع الملابس في بنغلاديش على شكل ملبوسات مؤسسة جرامين شاكتي التي تعمل في مجال الطاقة الريفية بهدف توفير الطاقة المتجددة في القرى المحرومة من الكهرباء. ودعمت جرامين ترست من خلال المانحين أكثر من ١١٣ منظمة في ٣٤ دولة بآسيا والباسيفيك وأفريقيا وأميركا اللاتينية وأوروبا، وقد أقرضت تلك المنظمات ما مجموعه ١٦مليون دولار حتى الآن، والتي أقرضت بدورها ١٧٤ مليون دولار من أموال المانحين في الأغلب إلى المقترضين. وصل مجموع من وصلت إليهم تلك

المنظمات الآن إلى نحو مليون عضو، ٩٩٪ منهم من النساء. هل يمكن تكرار تجربة بنك غرامين في العالم العربي؟

تجربة أتاك» في شطب ديون الفقراء[٢٢]

أ . مع بدء التحضيرات لقمم الدول الصناعية الكبرى في كل عام تبدأ المؤسسات والمنظمات المناهضة للعولمة بالتحضير لمظاهرات عارمة تجوب شوارع الدولة المستضيفة للقمة. وتعتبر منظمة «أتاك» من أهم هذه المنظمات القائمة على رأس الاحتجاجات، حيث أنها وفي كل مرة تستطيع حشد مئات آلاف من المواطنين للمشاركة في هذه التظاهرات. وبعد أن كانت الدول الصناعية الكبرى تلاحق أعضاء هذه المنظمة، أصبحت تتماشى هذه الأيام مع بعض مطالبها. وتحلى أعضاؤها بجرأة لا مثيل لها في أوساط الحركات الشبابية الكلاسيكية، كما أن لديهم أهدافا واضحة : أهمها اجبار الأغنياء دفع المزيد من الضرائب لصالح الفقراء وإعفاء الدول الفقيرة من ديونها. كما أن نضالهم لا يقتصر على رفع الأعلام دون جدوى، كما تفعل الكثير من الحركات الاحتجاجية. علاوة على ذلك يوجد لديهم قدرة ومعرفة تامة في ترغيب المتبرعين على دفع الأموال دون تردد.

كلمة «أتاك» هي اختصار لاسم «جمعية التحكم في تصريف وتشغيل الأموال لصالح الشعوب» yens). وتجدر الإشارة إلى أن هذه المنظمة تنشط في اطار الفعاليات التي تنظم ضد عولمة الاقتصاد، كما أنها تعتبر من أشد المنتقدين لمنظمة التجارة العالمية (WTO) التي تعمل على تحرير وخصخصة المؤسسات العامة. وتناضل «أتاك» أيضا من أجل إدخال سياسة فرض ضرائب على التجارة بالعملات وعلى تدفق الأموال العالمية. وتسعى المنظمة إلى جانب ذلك كله إلى وقف نظام السوق الحر الأمريكي (FTAA). وانطلقت «أتاك» في فرنسا عام ١٩٩٨ كجزء من «حركة مناهضة للعولمة»، وتضم اليوم تحت لوائها أكثر من ٩٠ ألف عضو من جميع أنحاء العالم، يعيش في ألمانيا ١٠ آلاف منهم. وتنشط هذه المنظمة غالبا في أوروبا.

اكتسبت»أتاك» الزخم والدعم وخاصة بعد أحداث جنوا في جنوب إيطاليا عام ٢٠٠١، حيث قتل أحد المتظاهرين المناهضين لقمة الثماني في ذلك الوقت.» ومنذ ذلك الوقت بدأت اجتماعات قمة الثماني تعقد في أماكن منعزلة وصعبة الوصول بالنسبة للمتظاهرين.

---

٢٢ زاهي علاوي ww.dw.de

أتى عمل منظمة «أتاك» المتواصل ثماره حين تم بالفعل في قمة الثماني التي عقدت في اسكتلندا ٢٠٠٥ إلغاء جزء كبير من ديون الدول الفقيرة من قبل الدول الصناعية. ألغيت فورا ديون ١٨ بلدا فقيرا شديد التداين بنسبة ١٠٠٪ على أن تلغى ديون ٩ بلدان أخرى

في غضون الـ١٨ شهرا القادمة. توني بلير : اعترف بأهمية المنظمة حينما قال: «لولا الحركات والمنظمات المناهضة مثل «أتاك» لما كان هذا النجاح بهذه السرعة.

تجربة النمو الاقتصادي في البرازيل

مع نهاية العام ٢٠١١ أعلنت البرازيل رسميا أنها أصبحت سادس اكبر اقتصاد على مستوى العالم متقدمة بذلك على بريطانيا. وواقع الأمر فإن هذا الانجاز الذي تحقق بعد مرور عام من ولاية الرئيسة الحالية «ديلما روسيف» لم يكن إلا ثمرة نجاح برنامج اقتصادي إصلاحي طموح شهدته البرازيل طوال ثماني سنوات هي فترة حكم اليسار بزعامة الرئيس لولا دا سيلفا

الذي نقل البرازيل من هوة الإفلاس والعجز عن سداد الديون إلى قمة التقدم الاقتصادي خلال ثماني سنوات فقط «عندما تسلم الحكم وهو يترنح بمشكلات اقتصادية كبرى تلقى بظلال الإفلاس على البلاد التي كان من مظاهرها مشكلة انخفاض قيمة الريال البرازيلي أمام الدولار الأمريكي، والتضخم وارتفاع مستويات الدين العام سواء الخارجي أو الداخلي مشكلة النقص الحاد في توصيل الكهرباء إلى مساحات شاسعة من البلاد، وهو ما يعيق مشروعات التنمية الزراعية والصناعية بشكل كبير وخفض معدلات النمو. مشكلة التسرب من التعليم وتردى أحوال المدارس بشكل عام. بالإضافة إلى انتشار الجريمة المنظمة وخاصة تجارة المخدرات إلى جانب مشاكل الجوع والبطالة والفقر الحاد والتفاوت الشديد بين طبقات المجتمع، الذي كان ينقسم بوضوح شديد إلى طبقتين، الأولى عبارة عن شريحة رفيعة جدا من الأغنياء غنىً فاحش في مقابل شريحة عريضة من الفقراء فقر مدقع في مشهد صارخ للتفاوت الاقتصادي وانعدام شبه كامل للعدالة الاجتماعية في مجتمع ناهز عدد سكانه ال٢٠٠مليون نسمة.

قال لولا : (أنا مقتنع بأنني يجب أن أعطى الأولوية للفقراء... والفقراء يحتاجون إلى الإعانات لتكون حياتهم أفضل. وتبنى لولا سياسات يسارية لحل معضلة الفقر البرازيلي ولانجاز تقدم قوي في تحقيق العدالة الاجتماعية.

٢٣ امل مختار / مركز الاهرام للابحاث والدراسات http://acpss.ahramdigital.org /

المناخ الديمقراطي افرز إرادة شعبية قوية ورغبة عارمة لدى البرازيليين لتحقيق النجاح والنمو والتقدم رغم الفقر الشديد ورئيس وحزب لديهما إرادة للنجاح وتحقيق النمو والتقدم وهدف وحيد وهو مصلحة البرازيل، وكما يقول المحللون في البرازيل أن «لولا» مكث في الرئاسة ثماني سنوات لم يتربح لنفسه ريالا واحدا على الإطلاق. امتلك «لولا» عزيمة قوية للنجاح وكاريزما جعلت من اوباما يقول عنه: (لولا هو السياسي الأكثر شعبية على وجه الأرض).

قصة نجاح اليسار بقيادة «لولا»

١. تنفيذ برنامج للتقشف، نفذت البرازيل برنامجا للتقشف بهدف سد عجز الموازنة والقضاء على أزمة الثقة، وطلب «لولا «دعم الطبقات الفقيرة له. أدى برنامج التقشف إلى خفض عجز الموازنة وارتفاع التصنيف الائتماني للبلاد ومن ثم ساهم ذلك بقوة في القضاء على انعدام الثقة في الاقتصاد البرازيلي، وبناء عليه تلقت البرازيل نحو ٢٠٠ مليار دولار استثمارات مباشرة من ٢٠٠٤ وحتى ٢٠١١ ، بالإضافة إلى ذلك دخل ما يقرب من ١,٥ مليون اجنبي للإقامة في البرازيل في ٢٠١١ وعاد نحو ٢ مليون مهاجر برازيلي إلى البلاد. وقد أدت هذه الاستثمارات إلى رفع الطاقة الإنتاجية للدولة وهو ما يعنى توفير فرص عمل جديدة ومن ثم المساهمة في حل مشكلة الفقر. وبعد أن كان صندوق النقد يرفض إقراض البرازيل في أواخر عام ٢٠٠٢ أصبح الآن بعد ثماني أعوام من العمل في برنامج لولا الاقتصادي مدين للبرازيل ب ١٤ مليار دولار.

٢.تم توفير تسهيلات ائتمانية، حيث خُفضت سعر الفائدة بنسبة ٥٪ وهو ما سهل الإقراض بالنسبة للمستثمرين الصغار، ومن ثم أدى إلى تسهيل إقامة المشروعات الصغيرة وتوفير فرص عمل ورفع مستوى الطاقة الإنتاجية والنمو وهو ما ساهم بشكل عام في حل مشكلة الفقر. وتشير الأرقام إلى أن نصف سكان البلاد زاد دخلهم خلال العقد الأخير بنسبة ٦٨٪ .

٣. التوسع في الزراعة واستخراج النفط والمعادن أدى إلى سد العجز في ميزان المدفوعات الذي كان يعانى منه الاقتصاد البرازيلي قبيل عام ٢٠٠٣

٤. التوسع في الصناعة

اتجهت السياسات الاقتصادية في هذا الشأن إلى الاهتمام بشقين للصناعة، الأول هو الصناعات البسيطة القائمة على المواد الخام. والثاني صناعات السيارات والطائرات

٥. تنشيط قطاع السياحة، اجتذاب أفواج سياحية كبيرة، بسياحة المهرجانات ونجحت في استقبال ٥ ملايين سائحا سنويا. وهو الأمر الذي يساهم كذلك في إنعاش الاقتصاد وتحقيق مزيدا من النمو.

٦. (الإعانات الاجتماعية):بالمفهوم اليساري وقد كان في قلب هذا الجانب هو سياسة الإعانة البرازيلية المعروفة بـ (بولسا فاميليا)، وقد كان إجمالي الإنفاق على البرنامج يصل إلى ٠,٥ ٪ من إجمالي الناتج المحلى بتكلفة تقدر بين ٦ و ٩ مليار دولار . والمهم هو ربط هذه المعونات بشروط صارمة تشمل التزام الأسرة بإرسال أطفالها للتعليم والالتزام بالحصول على الأمصال واللقاحات للأطفال بشكل منتظم. وبعد التأكد من التزام الأسرة بالشروط السابقة، تحصل الأسرة على دعم.

وقد كانت انجازات هذا البرنامج باهرة خلال العقد الماضي، فقد وصل عدد المستفيدين إلى نحو ١١ مليون أسرة، وهو ما يعنى ٦٤ مليون شخص بما يعادل حوالي ٣٣٪ من الشعب البرازيلي. ويمكن توضيح معنى استفادة الأسر الفقيرة من البرنامج على النحو التالي. تقول مؤسسة سيتيليم المتخصصة في أبحاث المستهلكين انه قد صعد أكثر من ٢٣ مليون شخص من الطبقتين (د) و(و) إلى الطبقة (ج)، وهى الطبقة التي يتراوح دخلها من ٤٥٧ إلى ٧٥٣ دولارا شهريا .هذا يعنى تقليل الفجوة بين الطبقات بصورة تدريجية. توصل «لولا» اليساري إلى العدالة الاجتماعية عن طريق رفع الحد الأدنى للأجور وإعطاء الإعانات للأسر الفقيرة،عمل على تحسين قاعدة المجتمع.

لقد بدأت عملية العدالة الاجتماعية وعليها أن تستمر لتؤتى ثمار اكبر... وأنا أرى ان المهم في التقدم الاقتصادي ليس التقدم على مستوى الناتج المحلى الاجمالى فقط ولكن الأهم هو الانجاز في مجال السياسات الاجتماعية أو العدالة الاجتماعية....لقد زاد دخل السكان السود في عهدي بنسبة ٢٢٠٪.... والفقراء أصبحوا يتسوقون من المراكز التجارية» قال الرئيس لولا

٧. التوجه نحو التكتلات الاقتصادية من خلال منظمة (الميروكسور) وهى بمثابة السوق المشتركة لدول الجنوب وتشكلت باعتبارها اتفاقية للتجارة الإقليمية بين كل من البرازيل والأرجنتين وباراجواى واوروجواى في ١٩٩١ وعضوية غير كاملة لفنزويلا وبوليفيا. وهى تعد اليوم رابع اكبر قوة اقتصادية في العالم، وقد اهتمت سياسة «لولا» الاقتصادية على المستوى الخارجي بالقيام بدور قوى في التأثير على النظام الاقتصادي العالمي من خلال اجتماعات (الميركوسور). ويرصد الباحثون الاقتصاديون تنامي ذلك الكيان الاقتصادي

الجنوبي في الوقت الذي يتدهور فيه الاتحاد الأوروبي.

وعلى جانب آخر شكلت البرازيل مع روسيا والصين والهند مجموعة (البريكس BRICS) في ٢٠٠٩ ثم انضمت لهم جنوب أفريقيا في ٢٠١٠. عام الازمة ٢٠٠٨، كانت البرازيل اقل دول العالم تأثرا بالأزمة. فقد حققت في هذا العام نموا وصل إلى ٥,١٪

أصبحت البرازيل احد الدول المقرضة للبنك الدولي بعد أن كانت مدينه له، ومن ثم استخدمت ذلك الوضع للمطالبة بكوته تصويتية اكبر للدول النامية. صرح «لولا» قبيل خروجه من الرئاسة بدعمه لفقراء أوروبا ورفضه فرض برامج التقشف عليهم. وهو بهذه السياسات يسعى لكسب دعم دولي له في قضية الحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن باعتباره قطب اقتصادي وسياسي دولي صاعد.

مفاضلة تطرح على قوى التغيير والتقدم الفلسطينية، بين البقاء تحت رحمة التدخلات والدعم الخارجي وما يتطلبه ذلك من عمليات تكيف أدت وتؤدي الى زيادة الفقر وفكفكة النسيج الاجتماعي، وإضعاف مناعة المجتمع والتجمعات الفلسطينية في مختلف المجالات، وبخاصة التماسك الوطني ضد الاحتلال والتبعية، لتكون النتيجة التسليم بالوضع الراهن. وبين البحث عن خيارات اخرى كما حدث مع شعوب عديدة. قد يبرر البعض اختلاف الشروط التي يعيشها الشعب الفلسطيني عن الشعوب الاخرى كسبب لبقاء الوضع على حاله. وجود الاختلاف صحيح، لكنه لا يبرر ابدا استمرار القبول

بالتلاعب الداخلي والخارجي بمصير الشعب. لا مناص ولا بديل عن مبادرات شجاعة ومدروسة ومبدعة لاختراق الوضع المأزوم. وثمة ما هو مشترك مع التجارب السابقة، فضلا عن امتلاك تراث شعبي فلسطيني فيه من عناصر القوة الشيء الوفير، إضافة لتضامن عالمي ما يزال يحتفظ بإمكانية تفعيله بلا حدود.

الباب الثامن

الحركة التعاونية الفلسطينية

الباب الثامن : الحركة التعاونية الفلسطينية

للحركة التعاونية الفلسطينية تاريخ طويل غير ان تجربتها بقيت عاثرة رغم النجاحات المحدودة خلال سنوات الانتفاضة الاولى التي ساهمت فيها التعاونيات على تعزيز وتطوير العلاقات المجتمعية. لكنها سرعان ما تراجعت.

مرحلة قيام السلطة الفلسطينية شهدت تراجعا في عمل التعاونيات التي عانت من التهميش والاهمال الرسمي وعدم توفير الدعم المالي لها. والتعاونيات تفتقر لقانون عصري يتلائم مع المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، لا سيما أن قانون التعاونيات يعود لحوالي ٥٥ سنة من دون تعديل او تغيير. كما وأن غياب إتحاد تعاوني بشكل فعلي وفاعل يعيق تطور وتقدم عمل التعاونيات وبخاصة أن هذه التعاونيات لا تتعامل بمفهوم تعاوني مرتبط بالعمل الجماهيري والتطوعي.

تعاني وتواجه التعاونيات في فلسطين تحديات ومشاكل على مدار السنوات الماضية من ناحية دورها الوطني والاقتصادي والمجتمعي . التعاونيات تعاني من نقص حاد في مفهوم العمل التعاوني ، وفي المفاهيم الأساسية المرتبطة به كالعمل الجماعي والتطوعي، ولديها ضعف في البنية والمهارات الادارية والتنظيمية ، لديها ضعف في تسويق منتجاتها، وضعف رأسمال التعاونيات في ظل غياب الدعم المادي لمشاريعها الانتاجية ، وبالتالي تتسم مشاريعها الانتاجية بالهشاشة ولا تستطيع الصمود أمام التحديات التي تواجهها كالكوارث الطبيعية وغيرها». (١)

إن العمل على إقامة التعاونيات الإنتاجية الزراعية كنموذج تنموي إقتصادي يعزز الاعتماد على الذات في مواجهة علاقات التبعية لاقتصاد دولة الاحتلال. وتقديم نموذج من التعاونيات المنتجة، القائمة على عمل جماعي وطوعي يقوم بإستثمار الموارد المحلية بشرياً ومادياً. ويزيد نسبة الأفراد المعتمدين على ذاتهم المستندين لمبدأ الاكتفاء الذاتي . لم يستمر هذا النموذج الذي نشأ اثناء الانتفاضة بسبب نقص في رأس المال وعدم اعتماده كسياسة من قبل الحركة السياسية . وجاء توقيع اتفاقية اوسلو وما تبعه من اتفاقات كإتفاق باريس الاقتصادي الذي عمّق التبعية الاقتصادية للاحتلال الاسرائيلي ، واعتبر ذلك بمثابة ضربة قاصمة لفكرة التعاونيات .

جذر مشكلة العمل التعاوني الذي بدأ في فلسطين منذ مطلع القرن العشرين هو تأسيس التعاونيات بفكرة غير تعاونية أي اسبقية التمويل على الهدف التعاوني.خلافا لذلك

فالتعاون هو نظام اقتصادي واجتماعي يهدف الى تجميع جهود مجموعة من الأفراد لتحقيق رغباتهم وحاجاتهم المشتركة ،ويقوم على تجميع الجهود الصغيرة والاموال القليلة المبعثرة في كيان تعاوني كبير. وبالاستناد للتأسيس المدني والديمقراطي كمقوم اساسي للعمل التعاوني، ولفكر تعاوني قوامه الشعور بالمسؤولية التضامنية والمشاركة في صنع القرار، وقيمة ان يتحول الشخص بالاشترك مع الاخرين الى منتجين يؤمنون مصدرا للدخل.

والاقتناع بمبدأ المساواة والعدالة والتضامن وقيم الأمانة والصراحة والمسؤولية الاجتماعية والانفتاح والاهتمام بالآخرين هذا النوع من الاقتصاد ينعكس إيجاباً على النساء كشريك في الانتاج والتسويق.

«بلغ عدد التعاونيات الفلسطينية المسجلة ٨٥٠ تعاونية يعمل فيها ٤٢٤ مشتغلاً منها ١٠ تعاونيات تترأسها نساء ويعمل فيها ١٢٠ مشتغلاً»(٢) تضم في عضويتها ٥٥ ألف عضو ، منها ٥٥٣ جمعية عاملة و ٢٩٧ جمعية مصنفة بأنها غير فاعلة . وفي هذا الإطار يبلغ عدد النساء المشاركات في جمعيات تعاونية نسوية ٧٠٥٢ موزعات على ٤٠ تعاونية نسوية ، إضافة إلى أكثر من ٣ آلاف عضوة مشاركة في تعاونيات مختلطة مع الرجال وموزعة على ٦٠ تعاونية بأنواعها المختلفة».(٣)

غياب الاستراتيجية التي من شأنها النهوض بالحركة التعاونية والتي بالضرورة تدعو لإعادة النظر بالقوانين السائدة والتي عفى عليها الزمن وسن قانون جاذب يحمي العمل التعاوني . إن توفير الحماية والدعم لهذا النمط التعاوني يسهم في تنمية صمود المجتمع وقدرته على تخطي العقبات القائمة للوصول الى الترابط ما بين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، وهذا يعني تكريس سياسة الاعتماد على الذات وزيادة الانتاج المحلي والمساعدة بسد جزء كبير من الاحتياجات . غير ان واقع التعاونيات شيء مختلف.

فالعضوية الشكلية والتي تتمثل بطرح أسماء بهذه التعاونيات دون المشاركة بفعالياتها ونشاطاتها واصبحت العضوية شكلية ما افسد فكرة ومفهوم العمل التعاوني . كما وأن العدد المساهم او الذي يدير تلك التعاونيات أضحى يعتمد على شخص او اثنين في كل تعاونية يتحملون المسؤولية عن مصيرها ومستقبلها وادارتها دونما محاسبة او اهتمام من قبل المساهمين/ات ، حيث اصبحت التعاونيات شكلاً متوارثاً كما ورثناه منذ أساسه في العشرينات يعتمد الفردية في القيادة ولأجل استقبال الأموال التمويلية وأفقد العمل التعاوني فحواه ومضمونه ومبررات وجوده .

وتبين ان هنالك ضعف في الممارسة الديمقراطية من قبل الجمعيات التعاونية ادت الى «ضعف الوعي التعاوني لدى أعضاء الجمعيات، ومن مظاهر ذلك الإنفراد في اتخاذ القرارات وفي سير أمور الجمعية ، عدم مقدرة التعاونيات على تلبية الاحتياجات الحقيقية لأعضائها ، عدم إشراك الهيئة العامة في اتخاذ القرارات والمشاركة في تنفيذ النشاطات والمشاريع ، عدم تقديم التقارير المالية والادارية الكافية والمهنية ، انعدام التواصل القوي بين لجنة ادارة الجمعية وهيئتها العمومية». كما وأن نتاج ذلك إدارياً أدى الى «عدم قيام التعاونيات بدور فاعل في تنمية المجتمعات اجتماعيا واقتصاديا ، خضوع التعاونيات لممارسات غير ديمقراطية ، تنفيذ التعاونيات لمشاريع تتعارض مع أهدافها ، ضعف كفاءة المجالس الادارية لدى بعض التعاونيات ، عدم تعرض صناع القرار في التعاونيات للمساءلة عن اعمالهم وقراراتهم

التعاونيات النسوية

المشروع التعاوني وسيلة للنساء المنخرطات للانتاج وما يترتب على ذلك من تحسين استقلاليتهن الاجتماعية والاقتصادية من خلال مشاركتهن في إدارة شؤون التعاونيات وتسويق منتوجاتها.وهذا يستدعي إكتساب النساء قدرات مهنية عبر رفع المستوى التعليمي والمهني «.(٤)

هناك ضرورة لتعميم سياسات مراعاة المساواة بين الجنسين في تنمية القطاع التعاوني وتطوير الأعمال والمشاريع من خلال تطوير حملات مناصرة لتغيير القوانين ولوضع سياسات تراعي النوع الاجتماعي.

وينبغي دعم وتعزيز التعاونيات النسوية القائمة ، وأن تقوم الإدارة العامة للتعاون بتشكيل فريق متعدد التخصصات ، إقتصادي ، تعاوني ، إجتماعي بحيث يقوم الفريق بمراجعة وتقييم شامل للجمعيات القائمة.لاستشراف فرص النجاح لمشروعاتها ومعرفة مدى تطبيقها لقيم ومباديء العمل التعاوني وبخاصة لجهة مشاركة النساء. وإعطاء صفة تفضيلية للمنتجات التعاونية النسوية في مشتريات بعض المؤسسات المحلية أو العمل على إيجاد هذه الصفة في عقود التصدير لبعض البلدان العربية والأجنبية.

كما ويجب توفير حاضنة لرعاية تطوير المشاريع الصغيرة ، بحيث تشمل الحاضنة تقديم مجموعة من الخدمات الاستشارية واللوجستية التعاونية النسوية ، ومن ضمنها التدريب والمتابعة والاشراف والتوعية التعاونية.

إن إنحسار العمل التعاوني النسوي في إطار الرؤية التقليدية والموروث الاجتماعي لدور المرأة، حيث ان معظم الجمعيات التعاونية النسوية تعمل في مجال الزراعة أو في الصناعات الغذائية الزراعية والتطريز والتي حصرت مشاركة المرأة في دور محدد ، دون إشراكها في العملية الانتاجية .

وهذا يستدعي المبادرة لزيادة العمل الانتاجي في الجمعيات التعاونية النسوية وتحويل هذا الموضوع إلى قضية إجتماعية ، من أجل إحداث تغيير في دور ومشاركة المرأة الاقتصادي والاجتماعي. إن هذا من شأنه تعزيز الانتاجية ومشاركة المرأة في سوق العمل ، وتضاعف من مساهمتها في تحمّل أعباء إعادة بناء المؤسسات.

إن مبادرات تطوير التعاونيات تعتبر احد الأدوات لزيادة مشاركة المرأة في الانتاج وهذا يتطلب إقرار قانون وتشريع للعمل التعاوني وتطوير الشراكة المجتمعية والتنمية وتحويل هذا القطاع إلى قطاع إنتاجي ، بدلاً من دورها الإغاثي . إن دعم الجمعيات التعاونية يجب أن يستهدف منح فرص جديدة للشباب والشابات وجسر الهوّة بين الأجيال وتحديد إحتياجات الجمعيات للمشاركة في الانتاج والخدمة التي تقدمها ، والموارد والمصادر التي تحتاجها.

إن مشاركة النساء في العمل التعاوني هي حديثة ، حيث أن معظم الجمعيات التعاونية النسوية تشكلت بعد عام ٢٠٠٠، ولكن للاسف لم يكن ذلك بمبادرات نابعة من وعي تعاوني اجتماعي ولكن نتيجة لتوجه المؤسسات التنموية المحلية لدعم النساء وتدعيمها ونتيجة لوجود آفاق تمويلية. إن أهم التحديات التي تواجه إنخراط النساء في العمل التعاوني هي التحديات الاجتماعية والثقافية والتنظيمية ، والنمطية في تقسيم العمل بين المرأة والرجل ، والعادات التقليدية الفلسطينية والممارسات الأبوية والنمطية القائمة على المساواة بين الجنسين ، وقلة الموارد والدخل عند النساء ، وعدم تصرف النساء في ممتلكاتهن أو دخلهن وصعوبة تنقل المرأة والوصول الى فرص التعلم والتدريب ، وتدني نسبة المشاركة الاقتصادية للمرأة ، ومحدودية فرص سوق العمل وضعف آليات التسويق.

الجمعيات التعاونية للتوفير والتسليف

بهدف النهوض في المناطق الريفية المهمشة والتي تفتقر لأبسط أنواع المساعدات والمشاريع ، وبسبب إعتماد المزارع الفلسطيني وبخاصة النساء على القدرات الذاتية دون تنظيم ، سواء بالعمل الانتاجي او التصنيعي او التسويقي ، جرى التفكير في إقامة جمعيات

تعاونية بشكل بسيط جداً وأولي بهدف عمل صناديق توفير او جمعيات مصغّرة هنا وهناك ومن منطلق «العونة» والتطوع للمساعدة والمساعدة الذاتية . وفيما بعد تم حصر هذه الفكرة وتركيزها في النوادي النسوية التي أنشأتها الإغاثة الزراعية وأصبحت تحت رعاية جمعيات تنمية المرأة الريفية المنتشرة في كافة أنحاء مناطق الوطن .

جرى تنظيم لهذه العملية من أجل تطويرها كتعاونيات نسوية من خلال تشكيل الجمعيات التعاونية للتوفير والتسليف ضمن برنامج للاغاثة الزراعية الممول من هيئات دولية. الهدف من هذا البرنامج هو «مساعدة العائلات الفلسطينية الفقيرة لتحسين مستوى معيشتها وزيادة دخلها من خلال إقامة المشاريع الصغيرة والمدرّة للدخل...» . تابعت الاغاثة الزراعية المشروع وأفرزت من ناحيتها مرشدات عاملات في النوادي النسوية بهدف «تنظيمها وتطويرها ومأسستها» حتى حصلت على التراخيص كجمعيات تعاونية متخصصة في عام ٢٠٠٢.

إن الأموال والمدخرات لتلك الجمعيات تأتي من التمويل الذاتي للنساء الأعضاء بالجمعيات كمساهمات . كما وتعتمد الجمعيات النسوية التعاونية هذه على بعض مصادر التمويل والهبات والقروض من جهات مختلفة كقروض ميسّرة ومعفيّة من الفوائد لزيادة رأس المال لمنح القروض للعضوات بالجمعيات لإقامة مشاريعهن الصغيرة المتنوعة .

الجدول التالي يبين التغيير في إجمالي المساهمات للأعضاء في الأسهم ما بين ٢٠٠٥ و ٢٠٠٨ موزعة حسب الجمعيات(١١) :

المحافظات	مجموع	مساهمات الدينار	الأعضاء أردني	التراكمي	في مساهمات الأعضاء 2005 – 2008)%(	مساهمات الأعضاء 31/12/2008 (%)
جنين	202785	241760	331578	408728	20.4	101.6
قلقيلية	67973	89106	126725	172833	8.6	154.3
طولكرم	44690	44070	52454	55580	2.8	24.4
نابلس	96609	129878	190971	288123	14.4	198.2
طوباس	26613	36392	36447	38324	1.9	44.0
سلفيت	112551	114375	95597	127219	6.4	13.0
رام الله	87913	148692	164520	180430	9.0	105.2
القدس	88390	101119	118181	148955	7.4	68.5
أريحا	20482	24233	26970	30559	1.5	49.2
بيت لحم	26219	37034	58017	72526	3.6	176.6
الخليل	-	-	-	31898	1.6	-
غزة	358904	372150	386336	447258	22.3	24.6
المجموع	1.133.129	1.338.809	1.587.796	2.002.433	100.0	76.7

أما الجدول التالي فيبين اجمالي عدد وقيمة القروض تراكميا والتي صرفت للأعضاء في الفترة ما بين العام ٢٠٠٥ والعام ٢٠٠٨ (١٢)

المحافظة	العدد التراكمي للقروض الممنوحة				النسبة من عدد القروض التراكمي	القرض لكل عضو %	قيمة اجمالي القروض الممنوحة				النسبة من عدد القروض الاجمالية
	2005	2006	2007	2008			2005	2006	2007	2008	
جنين	798	1001	1202	1483	24.2	1.3	651450	934850	1254085	1817535	24.8
قلقيلية	227	298	374	446	7.3	0.50	161795	241045	347585	479885	6.6
طولكرم	183	209	243	285	4.7	0.40	124601	140868	161818	192768	2.6
نابلس	356	461	585	742	12.1	0.80	282547	416347	601647	998697	13.6
طوباس	144	186	213	238	3.9	0.60	75984	109534	127694	157294	2.1
سلفيت	376	452	537	632	10.3	0.60	357740	343440	550071	699271	9.5
رام الله	118	233	325	450	7.4	0.40	140500	313100	460300	677850	9.3
القدس	210	291	369	444	7.3	0.60	217850	354950	598150	669650	9.1
اريحا	71	97	115	143	2.3	0.50	71700	102500	126100	166600	2.3
بيت لحم	42	66	114	168	2.7	0.40	33603	58103	98103	149803	2.0
الخليل	-	-	-	40	0.7	0.10	-	-	-	25550	0.3
غزة	842	907	967	1048	17.1	0.40	97990	1073800	1142860	1289528	17.6
المجموع	3367	4201	5044	6119	100.0	0.60	3097760	4088537	5468413	7324431	100.0

يجري إعداد برامج تدريبية للعاملين في تلك الجمعيات وكذلك للنساء العضوات ، حتى تستطيع العضوات والمقترضات الاستفادة من القروض في اقامة مشاريعهن ، حيث يتم التدريب على العمل الجماهيري والادارة والاتصال وكتابة التقارير وغيرها من مواضيع ذات العلاقة .

من ناحية اخرى ، فإن تلك الجمعيات بحاجة لدعم ونهوض من خلال تكثيف البرامج التدريبية والسنوية تشمل مواضيع ادارية مثل الرقابة والتنظيم والاتصال وكذلك ادارة المشاريع والتشبيك والترويج وكتابة مقترحات المشاريع والتخطيط والتحليل المالي واعداد الموازنات ...إلخ تستهدف الاعضاء والمشرفين .

هناك ضرورة لتفعيل وتعزيز الجمعيات كي تصل للاستقلالية . كما ويتطلب من جمعيات التوفير والتسليف العمل على تأسيس مشاريع مدرة للدخل من باب تنويع مصادر الدخل لدى الجمعية ، والذي من شأنه التقليل من نسبة المخاطرة ويزيد من الايرادات من خلال المشاركة في مشاريع مدروسة ومجربة مثل الجمعيات الاستهلاكية .

« بلغ عدد جمعيات التوفير والتسليف النسوية التعاونية ١٢ جمعية مرخصة موزعة على ١١ جمعية بالضفة الغربية وجمعية واحدة بفرعين في قطاع غزة . وتضم في عضويتها النساء الريفيات بهدف تنمية اسرهن ، وقد بلغ عددهن ٦٠٨٦ عضوة موزعة على ١٣٥ مجموعة توفير وتسليف . كما وبلغ اجمالي مدخراتهن ١٦٩٧٣٠٤ دولار بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٣١ . أما اجمالي قيمة القروض التي تم صرفها لعضواتها منذ البداية فقد بلغت ٤٥٩٣٤٩٠ دولار موزعة على ٣٩١٨ قرض يفيد ٢٩٠٣ عضوة كما وتملك رأس مال عامل وبمحفظة اقراضية قائمة تبلغ قيمتها ١٩١١١٤ دولار امريكي .

وقد حصلت الجمعيات التعاونية النسوية هذه على قروض ميسرة من الاغاثة الزراعية وبنك التنمية الاسلامي وبرنامج الامم المتحدة الانمائي والصندوق العالمي للتنمية الزراعية ، هذه القروض معفية من الفائدة وقد بلغت ٥٧٧٠٠٠٠ دولار امريكي على مدار السنوات الثلاث ٢٠٠٥–٢٠٠٨ حيث تم استخدام هذه القروض لزيادة رأس المال العامل المخصص لمنح القروض الفردية المشار اليها. إلا أن المدخرات الشخصية لعضوات الجمعيات مثلت النسبة الأكبر من المبالغ المخصصة للإقراض الفردي داخل الجمعيات ، وهو الأمر الذي يبعث على الاعتزاز بتجربة هذه الجمعيات، ويعكس كذلك مدى إيمان النساء العضوات بفكرة الجمعيات ودورها الريادي في تحسين مستوى معيشتهن وتعزيز دورهن على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي».(١٣)

إن هذه الجمعيات النسوية بحاجة لتخطيط اقتصادي مدروس وممنهج من حيث وضع خطة استراتيجية اقتصادية بخصوص القروض التشغيلية التي تقترضها النساء لاقامة مشاريعهن الصغيرة . حيث يتطلب توجيه القروض لمشاريع تنموية اقتصادية تؤتي ثمارها من خلال اقامة مشاريع اقتصادية متنوعة في كافة المناطق .بحيث تكون تلك المشاريع التعاونية متكاملة تغطي نسبة من احتياجات السوق المحلي وبأفق الانطلاق خارج الوطن من مبدأ التصدير والتبادل التجاري وعقد اتفاقات اقتصادية تبادلية لتكون بديلا عن الاقتصاد الاسرائيلي ، وتطوير تلك التعاونيات لتكوّن مراكز بيع وتسويق محلية وبجودة منافسة وبأسعار منافسة ايضاً . ان ذلك يتطلب اعادة النظر بالثقافة الاقتصادية المجتمعية المحلية وتطوير الموروث الثقافي الذي بدأ بنظام العونة والعمل التطوعي والتبادل السلعي ليصبح أداة اقتصادية مقاومة وبديلة متقدمة .

العمل التطوعي (العونة) وإشكالاته

هناك إستعداد ودوافع كامنة في أعمال الشباب الفلسطيني من الجنسين مصدرها الرغبة في مساعدة الآخرين وتعريض النفس للمخاطر دون خوف أو تردد من أجل فكرة ، حاجة ، هدف أو مبدأ يؤمن به . إلا أن التجربة أخذت أشكالاً مختلفة من النمو والتطور .

بدأ العمل التطوعي كعمل اجتماعي منظم في فلسطين مع بداية العشرينات من القرن الماضي ، غارساً جذوره العميقة خاصة في الظروف الصعبة التي كانت تمر بها فلسطين . عرف الفلسطينيون العمل التطوعي ومارسوه من خلال الجمعيات الخيرية ، اللجنة العليا للعمل التطوعي ، اللجان الاجتماعية والتطوعية المختلفة (على مختلف إنتماءاتها الفكرية والايديولوجية) ، اللجان النسائية ولجان الاغاثة الصحية وغيرها . إن المجتمع الفلسطيني وبفعل الظروف القاسية التي عاشتها الجماهير الفلسطينية وبفعل عمل ودور المؤسسات الجماهيرية والنقابية والحزبية ، اعتمد العمل التطوعي كجزء من عملية التقارب بين فئات الشعب على إختلاف الوانها الدينية والمذهبية والفكرية والسياسية والاجتماعية وتعزز بذلك مفهوم الانتباه والولاء للمجتمع الفلسطيني بشكل عام ، وشكل اللبنة الاساسية للعمل التطوعي الذي نما وازدهر ونمت معه المؤسسات التطوعية.»(١٤)

هل ما زال التطوع يعبر عن قيم أصيلة يؤمن بها الشباب والشابات، رغم تضاؤل عملية هذا العمل وإنحساره؟

«إن أي عمل يقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد من خلال تقديم قدراتهم وجهودهم ومواهبهم وأوقاتهم ، بهدف تنمية مجتمعاتهم وتقديم المساعدة للآخرين بدون مقابل ، هذا ما يعرف بالعمل التطوعي ، والذي يعد في يومنا هذا اساسا لبناء المجتمعات ، تطويرها ، وتنميتها . حيث أن الحكومات لم تعد قادرة على القيام بدورها التنموي وسد إحتياجات أفرادها ومجتمعاتها ، دون التعاون مع جهات أخرى تساهم بشكل موازٍ في تنمية المجتمع».(١٥)

وقد كان لمشاركة المرأة الفلسطينية بالأعمال التطوعية ، دورها المميز وبالذات بعد عام ١٩٢١ عندما اتخذ التطوع شكلا اكثر تنظيماً من خلال العديد من الممارسات والأنشطة التطوعية والذي كان جوهرها يأخذ الطابع الاجتماعي والتربوي والصحي والإيوائي مثل أنشطة الاتحادات النسائية وغيرها ، وإتسعت دائرة الأعمال التطوعية في أعقاب المؤتمر النسائي الفلسطيني الذي عقد في مدينة القدس عام ١٩٢٩ والذي حضرته أعداد كبيرة من سيدات مختلف المدن الفلسطينية ، وكان من قراراته ضرورة تأسيس الجمعيات التطوعية النسائية في مختلف المدن الفلسطينية . وامتد عطاء المرأة الفلسطينية بمشاركتها للمرأة العربية عندما عقد المؤتمر النسائي العربي في القاهرة وخروج المؤتمر بعدة توصيات أهمها ضرورة تأسيس جمعيات خيرية عربية في مختلف المدن العربية .

وكان للنشاط الخيري دوره «خلال إضراب عام ١٩٣٦ وفي كل الأحداث التاريخية والسياسية التي مرّ بها الشعب الفلسطيني وفي أعقاب حرب ١٩٤٨ وإستجابة للظروف العصيبة التي ألمّت بالشعب الفلسطيني من تشريد وتهجير وتجويع وترمّل ، وبعد النكبة عام ١٩٤٨ كان على القطاع التطوعي أن يعتمد على ما تتوفر له من إمكانيات وتحمّل معظم العبء دون أن يضع في حساباته توقع أي تعاون او دعم من الجهات الرسمية . أقيمت عام ١٩٥٨ ثلاث اتحادات للجمعيات الخيرية لتقديم الخدمات الاجتماعية كالخدمات الطبية المختلفة والخدمات التعليمية والمهنية وخدمات رعاية المعوقين والمسنين . وفي عام ١٩٨٠ تم انتخاب اول هيئة للجنة العليا للعمل التطوعي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، التي ضمت أثناء تأسيسها ٣٧ لجنة مثّلت ١٢٠٠ متطوع ، وبعد عام واحد فقط أصبحت تضم ٧٦ لجنة عمل وتمثل ٣٥٠٠ متطوع ، وتفيد الاحصائيات أنها في ذلك العام إستطاعت تقديم ٣١,٠٠٠ يوم عمل تطوعي في القرى والمخيمات ومدن المناطق المحتلة».(١٦)

إن الدوافع الكامنة وراء التطوع تختلف من شخص لآخر ، ومن مؤسسة لأخرى ، ومن مجتمع لآخر . ولكي نستطيع فهم هذا الإختلاف لا بدّ من الوقوف على ذلك ، والرؤية السليمة لواقع التجربة والعمل المؤسساتي والحاجة المجتمعية، فكان الدافع وراء العمل التطوعي له أكثر من بُعد ، منها دعم الجوانب الأخلاقية في المجتمع وتطوير المهارات الشخصية في فهم الآخر . كذلك تطوير مهارات الاتصال وزيادة المعرفة والتعارف ، سدّ الفراغ عند الشباب ، إعتباره فائدة لزيادة الخبرة والبحث عن عمل، ويزيد الثقة بالنفس ، زيادة الإنتماء الوطني كذلك حب التجربة والإستكشاف.

«هناك العديد من النظريات التي فسّرت دوافع ومحفزات التطوع ومنها نظرية (كيد) والتي تتحدث عن وجود عوامل داخلية وخارجية تتعلق بالحافزية والدافعية للتطوع ، ومن العوامل الداخلية يأتي البحث عن الأنشطة والمتعة والفرص المختلفة ، الحاجة إلى الشعور بالرضى عن الذات ، والحاجة إلى التفاعل الاجتماعي . وأما عن الدوافع الخارجية فقد تناول «كيد» الرغبة في الانتاج ، الحاجة الى التعزيز اللفظي والمعنوي بأشكاله المختلفة . ومن النظريات أيضا حول الدوافع التي غالبا ما يشار إليها في ادبيات التطوع لِ «فيتش» والذي اشار فيه الى ثلاث فئات من الدوافع : حب الخير ، إرضاء الأنا ، التفاعل الاجتماعي . وعن دافع حب الخير فيمثل الرغبة بمساعدة الآخرين ، أما عن إرضاء الأنا فمن خلال زيادة المهارات ، والمعرفة ، وإحترام الذات ، وأما الدوافع الاجتماعية فتعبّر عن البحث عن الانتماءات الاجتماعية والأنشطة.»(١٧)

وتميز العمل التطوعي التنموي في الاراضي الفلسطينية تاريخيا بإعتماده على مبادرات منظمات المجتمع المدني ، وكان للمنظمات الأهلية دورين أساسيين هما مقاومة الاحتلال الاسرائيلي من جهة ودعم أفراد المجتمع الفلسطيني من جهة أخرى وحمايته من قسوة الاحتلال وسياساته التدميرية على كافة الاصعدة . وقد نشأت هذه المؤسسات في محاولة عقلانية من الفلسطينيين لتلبية إحتياجات الشعب الفلسطيني في ظل غياب حكومة وطنية . وبالرغم من السلبيات التي إتسمت بها بعض هذه المؤسسات الا أن نشوئها كان ثروة مجتمعية فريدة في تشعبها ونشاطها وتخطيها للحدود المعتادة لمثل هذه المنظمات غير الحكومية .

«مع إنشاء السلطة الفلسطينية ، واجهت هذه المنظمات وضعاً حرجاً ، إذ أن دور هذه المنظمات المستقبلي في ظل السلطة أصبح غامضاً من ناحية العلاقة بينهما والقاعدة القانونية التي تحكم هذه العلاقة من النواحي العملية».(١٨) حيث تميزت العلاقة بين مؤسسات السلطة والمؤسسات الأهلية بالتعاون تارة والتنافس تارة أخرى ، ومن الملاحظ

ان هناك إرتباط بين نشاط المنظمات الأهلية ومعدلات الفقر التي تقل في المناطق التي تزداد فيها هذه المنظمات . وبالرغم من التاريخ الجماهيري للعدد الأكبر من منظمات المجتمع المدني الفلسطيني ، إلا أن هناك تراجعاً ملحوظاً في عدد المنتسبين إليها ، وفي محدودية التواصل بينها وبين الجمهور خاصة في مجال تحديد الأولويات والمساهمة في صنع القرار والمشاركة في التنفيذ .

لقد «عزز غياب أولويات فلسطينية واضحة تتمحور حول منظور تنموي فلسطيني متفق عليه ، وآلية تنسيقية فاعلة بين السلطة ومؤسسات ومنظمات المجتمع المدني ، حالة من الإرباك ، مما أتاح فرصة مناسبة ومريحة لتطبيق أجندات المانحين التنموية ومنظورهم السياسي ، وتعزيز تبعية مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني لهم . وبالتدريج تنامي إعتمادها على المانحين الخارجيين في تمويل مشاريعها التنموية والخدمية ، وإهمال الاعتماد على الذات ، ما أدى ويؤدي إلى تحكم المانحين في الخطط التنموية الفلسطينية وبالتالي في تطور المجتمع المدني. احدهما إيجابي بمستوى محدود ودعوي، يتمثل بتوفير الأموال لمشاريع فردية مؤقتة، وتوفير التدريب وبناء القدرات لعينة محدودة من الناس، والآخر سلبي يتمثل بفرض ما يخدم سياساتها وتطلعاتها للمجتمع الفلسطيني مقابل الدعم المالي.»(١٩)

وبرغم التراجع العام في مفاهيم وقيم التطوع في الآونة الأخيرة مقارنة بالسابق والبدايات ، إلا أن الأعمال التطوعية أخذت أشكالاً أكثر تنظيماً أحياناً وبشكل أصبح تقليداً في مناطق محددة . ومن أجل زيادة التطوع وإنتشاره وإعادته لسابق عهده ، ضرورة عمل المؤسسات الشبابية على :

– أن تلعب المؤسسات دورا إيجابياً في تشكيل مفهوم وقيمة التطوع وعدم ربطه بحوافز مادية وبالضرورة التمييز بين التدريب والتأهيل وبين التطوع ، فالتدريب ليس عملا تطوعيا.

– ضرورة توفير الأنظمة والسياسات الواضحة لدى المؤسسات توضَّح بها حقوق وواجبات المتطوع وأدواره للتقليل من سقف التوقعات والحدّ من مشاعر الإحباط والتخبطات المختلفة .

– رؤية وطنية واضحة لصياغة مفهوم التطوع والعمل على الحفاظ عليه ووضع قوانين لتطويره.

– التخطيط لسياسات مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، والكشف عن جوانب القصور في

مجال العمل التطوعي .

– محاولة فهم وتقبل احتياجات الجيل الجديد من المتطوعين وتطويع البرامج التطوعية لتلائم الاحتياج المجتمعي.

– تطوير نظم إدارية تعمل على إدارة شؤون التطوع وتوضيح القضايا المتعلقة به من المفاهيم ، الأدوار ، الحقوق والواجبات ، إمكانيات المؤسسة وغيرها .

– العمل على صياغة قانون وطني يحمي كل من قيمة ودور التطوع والمتطوع ويشجع المؤسسات المجتمعية المختلفة لتبنّيه وبرمجته.

– توحيد مفاهيم المؤسسات التعليمية من مدارس ومعاهد وجامعات لرؤيتها للعمل التطوعي كمفهوم وقيمة وخلق آليات لجميع الدارسين .

كل ما تطرقنا له بإختصار ، يفسّر بأن التطوع يأخذ دورا إقتصاديا واسعا كعمل طوعي بدون مقابل مالي ومادي ويسد الكثير من الثغرات من البطالة والفقر ويساعد على توفير ما تعجز عنه الجهات الرسمية للمناطق والمرافق المهمشة في المجتمع وتأخذ الشكل التعاوني الطوعي.

خلاصـة

إن الواقع الذي تعيشه النساء مُغَيّب عن عملية التنمية المستدامة بسبب الإرث المجتمعي وبسبب ضعف الخطط الاقتصادية بالاضافة للنظرة الدونية للمرأة . من هنا تأتي أهمية النهوض الاقتصادي للمرأة في ظل المتغيرات الحاصلة في العالم العربي وفي ظل الحاجة الماسة للمجتمع الفلسطيني للخروج من الأزمات المتعددة ، وهذا يتطلب إعطاء المزيد من القوة والدور للمرأة وإمكانية التعبير والإبداع . لهذا ، فإن دعم المرأة والنهوض بها يعني مشاركتها الفعالة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وفق المساواة والعدالة في الحقوق والموارد والخيارات والفرص المتاحة . وإقتصادياً يعني المساواة وحصول المرأة على الموارد الاقتصادية والتدريب والمعرفة التي تعزز المكانة الاقتصادية للمرأة ويمكن للتمويل الصغير أن يكون الأداة والوسيلة الفعالة للنساء عبر التعاونيات النسائية ، وإزالة كافة العقبات التي تحول دون تطور المرأة إقتصادياً وأخذ

دورها في هذا المجال ، حتى تتمكن المرأة من ممارسة دورها الاقتصادي وضمان وصولها الى المشاركة الكاملة في الهيكل الاقتصادي الوطني وتحقيق المساواة للحصول على الموارد الاقتصادية والتي تشمل الأرض ورأس المال والتقنيات اللازمة بالاضافة الى حقها في الحصول على التدريب المهني والحصول على المعرفة ووسائل الاتصال التي تعتبر من الأدوات الفعالة لتعزيز المكانة الاقتصادية لها.

نهاية ، إن تحقيق تنمية حقيقية وشاملة في ظل الاحتلال أمرٌ صعب ، لأن التنمية تعني تحسين الأوضاع المجتمعية من كافة النواحي السياسية والاقتصادية والحريات وغيرها ، ولأن زيادة معدل الانتاج المحلي لا يفي بالغرض تماماً ، لكن هذا لا يعني وقف العمل وعدم النهوض بالتنمية المحلية . فالاحتلال من خلال سيطرته على المعابر والحدود يعرقل الاستثمار والاستيراد والتصدير لمواد الخام والتكنولوجيا كما ويعرقل الانتاج الزراعي والصناعي الوطني ويتحكم بالموارد وينهب الأرض والمياه ويصادرها ويزيد من توسعه في الاستيطان وحركة المواطنين وخنق المناطق السكنية ومنع توسعها . وهذا يعني العمل بإتجاهين : إتجاه التنمية وإتجاه آخر مقاومة الاحتلال للخلاص منه وتجسيد المكتسبات التي ننجزها لتضع اساس للاقتصاد الوطني وحل قضايا الجماهير وزيادة الثقافة التعاونية وتنظيمها وتكريسها.

الباب التاسع

أفكار و مقترحات

الباب التاسع : أفكار ومقترحات

المتفائل يرى ضوءا غير موجود ... والمتشائم يرى ضوءا ولا يصدق

اولا : التحرر الذهني كشرط للتحرر الفردي والمجتمعي والوطني. يستدعي انتاج المعرفة وممارسة النقد الفكري لواقع التخلف والاستلاب وبنية القهر والتبعية والالحاق، مهمة تحتل الصدارة وتستدعي نشاطا دائما غير منقطع يواكب انتاج الفكر التحرري على صعيد كوني ويشارك به، ويتوقف عند التجارب الملهمة، وهذا يستدعي :

أ – إنشاء خلية تفكير من عناصر تتمتع بوعي يساري وباقتناع واندفاع من طبيعة ثورية. تضع بعد تشكلها تصورا للاهداف والمهمات و آلية عمل وخطط وأولويات.

ب – تأسيس موقع الكتروني كمنبر لنشر الفكر التحرري وللحوار والتواصل والانفتاح على قوى الثورة والتحرر في كل مكان، ولانتاج معرفة نقدية للواقع. وإبراز قضية تحرر المرأة ومعوقات تحققها.

ثانيا : التحرر الاقتصادي للمرأة يشكل الاساس المادي لتحررها الاجتماعي، وهذا يستدعي :

أ – اجتذاب وتشجيع النساء في العمل الانتاجي ووضع تصورات لرفع نسبة المرأة العاملة، في الاقتصاد والمؤسسات الحكومية والخاصة وللتحررمن الامتيازات التي يكرسها القانون للرجل.

ب – توليد الموارد من داخل المجتمع عبر نموذج العمل التعاوني الاجتماعي للنساء الكادحات، الذي يستند لمبدأ الاعتماد على الذات والعمل المشترك الجماعي في انتاج الموارد وراس المال ، تدخل في دورات انتاج مشتركة صغيرة قابلة للاتساع والتطور.

ثالثا : قانونيا طرح قضية المساواة في الحقوق بين النساء والرجال من خلال:

أ – إعادة النظر بكل القوانين والتشريعات المعتمدة من قبل السلطة التي تتنافى مع كرامة المرأة وحقوقها وحقوق الانسان.

ب – تنظيم حملة دعاوية وجماهيرية لوقف العمل بنفايات القوانين الرجعية البائدة الحاطة من كرامة المرأة والانسان من قبل السلطة والاستعاضة عنها بالقانون الدولي ذو الصلة بالمرأة بانتظار وضع واعتماد قوانين جديدة من قبل المجلس التشريعي منسجمة مع القوانين الدولية.

ج – إدانة وفضح الخداع والتحايل على اتفاقية «القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة»، لجهة إخضاع الاتفاقية للانسجام مع النظام الاساسي الفلسطيني، بعد اعتماد توصيات مجلس الافتاء التي فاقت في سوئها التحفظات العربية. الدول العربية ومنها السلطة توقع على الاتفاقية لارضاء الخارج وتتحفظ على بنود أساسية لارضاء القوى الرجعية في الداخل. والمطلوب فضح هذه الازدواجية ورفضها. وفضح الازدواجية بين نص القانون الاساسي الذي يرفض التمييز على اساس الجنس ونصوص التمييز في قانون الاحوال الشخصية وقانون العقوبات(المسودات الجديدة).

د – – فتح معركة حق المرأة في الارث والملكية بحقوق متساوية مع الرجل، وإزالة الغبن المتمثل في الحرمان الكلي وفي عدم المساواة، وبتلاعب السلطة الذكورية وتواطؤ المجتمع والمؤسسة الدينية ضد هذا الحق الذي يعتبر أحد روافع تمكين وتحرر المرأة اقتصاديا.

هـ – استقلال المؤسسات السياسية والوطنية عن المؤسسات الدينية ورجال الدين. وتأكيد الانحياز للهوية الوطنية الجامعة كلاحم وطني يشد الشعب الى بعضه البعض ويوحده، ورفض استبدالها بهوية دينية «لاحم ديني» او بهويات فرعية « العائلة والعشيرة والطائفة والجهة» التي تقود الى تفكيك المجتمع وتهديد وحدته التاريخية.

و – إعادة النظر في المناهج التعليمية التي تميز بين النساء، وتفصل العلم عن الحياة ، وتعيد انتاج طريقة الحفظ والصم وتحويل الطلبة الى آلة لا تفكر ولا تتساءل ولا تبتكر ولا تنتقد.

رابعا :إعلاميا : التعريف الاعلامي بحقوق المرأة وبقصص نجاح نساء في التنمية والتعاونيات. تنظيم حملات لمناهضة العنف الذي تتعرض له النساء. نشر وشرح الاتفاقات والقوانين الدولية التي تطرح المساواة وإزالة كل أشكال التمييز ضد النساء. تقديم برامج في وسائل الاعلام المرئي والمسموع حول قضية تحرر المرأة الاقتصادي

والاجتماعي. بناء قاعدة معلومات حول النساء. نقد الادوار التقليدية للمرأة الذي يروجها الاعلام

خامسا : اجتماعيا : – الاعتراض بقوة على القائلين بزوال فكرة المجتمع، التي تستند إلى زعم تحول الطبقات الى جماهير او رعية، والى انهيار روابط التضامن المجتمعي. والاعتراض لا يكون بالتأكيدات العمومية والشعارات بل :

أ – السعي لبناء حامل اجتماعي اقتصادي لتحرر المرأة والمجتمع والوطن، انطلاقا من فرضية أن دحر الاحتلال يحتاج الى مشروع سياسي اقتصادي اجتماعي عماده الطبقات الشعبية الكادحة.

أ – تشجيع النساء وبخاصة الفتيات للانخراط في الحياة السياسية وتحديدا في التنظيمات اليسارية.

ب– توطين الجماهير في حركات اجتماعية متعددة تنشأ على الارض وفي الميدان انطلاقا من الضرر والظلم الذي لحق بجموع الناس. وهذا يعني استئناف الانطلاق من حيث توقفت (المنظمات والاتحادات والنقابات والحركات) السابقة ولكن بطرق مجددة. حركات معلمين/ات واكاديميين/ات، عاطلين وعاطلات عن العمل، نساء محرومات من الملكية والارث ونساء معنفات، شبيبة، اصحاب الاراضي المصادرة والمنازل المهدومة، زوجات وأبناء وأمهات المعتقلين... الخ. حركات تخلق طريقتها في التعبير والاحتجاج وطرح المطالب وانتزاعها، وتنطلق من إراداة خاصة وجماعية.

ج– إعادة ترتيب الحيز العام بالنضال التراكمي بما يضمن فرص عادلة ومتساوية، وبما يضع نهاية لاقصاء النساء – نصف المجتمع– من الحيز العام. وارتباط الحضور في الحيز العام بالعمل من أجل حل المشاكل.

سادسا : التنمية الاقتصادية والبشرية :

أ – التنمية الحقيقية هي شكل من اشكال المقاومة الاقتصادية لعلاقات التبعية والاحتكار والنهب. ويرتبط نجاحها بمدى انخراط الطبقات الشعبية والفئات الاكثر احتياجا في مشاريعها، بمستوى مشاركة النساء (نصف المجتمع) في قلب عملية التنمية المترافق مع الاعتراف بحقوقهن.

ب – تحويل الجهد الفردي والحل الفردي الى جهد جماعي وحل جماعي، وتحويل التمكين الفردي المؤقت الذي ينتزع الافراد من قاعدتهم الاجتماعية ويحيد االمحتكرين والناهبين، الى عمل اجتماعي دائم يتصدى للاحتكار والنهب باعتباره المسؤول عن الإفقار والمعاناة والاستغلال. التمكين عملية سياسية اجتماعية وثقافية مرتبطة بالتغيير الاجتماعي تقودها حركات سياسية واجتماعية.

ج– اعتماد المشاريع التي تلبي احتياجات المواطنين الاساسية وتعزز سياسة الاعتماد على الذات.

د – تشغيل مدخرات المواطنين الموجودة في البنوك والمصارف في الاقتصاد المحلي والدوران في العملية الاقتصادية وتوليد الدخل، وعدم السماح بتحويلها الى الخارج، والعمل على عدم إبقاء أموال التصدير في الخارج، وتشجيع إعادتها وإدخالها في دور.

هـ– تحويل الاقراض البنكي من تشجيع الاستهلاك الترفيهي (شراء السيارات والبيوت الفاخرة) الى الاستثمار في مشاريع انتاجية تعزز سياسة الاعتماد على الذات.

و – مقاطعة منتجات دولة الاحتلال ومقاطعة ونبذ اصحاب رؤوس الاموال الذين يستثمرون في المستوطنات وداخل دولة الاحتلال، والذين اندمجوا في البنية الكولونيالية الاسرائيلية. .

ز– العمل على الخلاص من الإلتزامات والاتفاقات الاقتصادية المجحفة الموقعة مع اسرائيل مثل اتفاقية باريس الاقتصادية، ومراقبة التمويل الخارجي ورفض الشروط المجحفة التي توضع عليه ، ووضع خطة وطنية لتحديد الاحتياجات وتطوير ورعاية نظام التوفير والتسليف ليصبح بنك للفقراء

ح– تفعيل دور لجان حماية المستهلك لأخذ دورها في حماية المواطن الفلسطيني وتحديد ومراقبة الاسعار وتثمينها ومقاومة الاحتكار ليكون قانوناً عاماً ولإرساء إقتصاد إجتماعي منصف وعادل.

ط – تمليك الشباب من ذكور وإناث أراضي مهملة وعامة لدعمهم بإقامة مشاريع تعاونية، لما لذلك من إعادة الإعتبار للعمل التعاوني وحماية للأرض وإشراك الشباب غير المالكين للأرض بأهمية هذه الخطوة وللسيطرة على الموارد ، الأرض والمياه والمنتوج وحمايته من الاستيطان الاسرائيلي.

ي– إعادة حصر للتعاونيات من حيث العدد والتوزيع والتخصص وتنظيم هذه العملية ، وتقديم التراخيص لها دون وضع عقبات أمامها مالية او ادارية ووضع خطة تنموية تعاونية تغطي كافة المناطق.

مراجع الباب السادس

١. ميثاق الامم المتحدة.

٢. الاعلان العالمي لحقوق الانسان ٤٨

٣. العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ٦٦

٤. العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٦٦

٥. اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) ٧٩

٦. البيان الختامي لمؤتمر بكين عام ٩٥

٧. قرار مجلس الامن ١٣٢٥ لعام ٢٠٠٠

٨. وثيقة الاستقلال ٨٨

٩. القانون الاساسي الفلسطيني

١٠. ملخص الدراسة القانونية حول مدى مواءمة التشريعات السارية في فلسطين للمواثيق الدولية – مركز دراسات المرأة – المحامي ناصر الريّس /٢٠١٠

١١. نوال السعداوي – عن المرأة والدين والأخلاق

١٢. اصلاح جاد – نساء على تقاطع طرق – مواطن ، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية/٢٠٠٨

١٣. زياد عثمان – البرلمان الفلسطيني الصوري – المرأة والتشريع بين التجديد والقولبة

١٤. قانون الاحوال الشخصية الاردني رقم ٦١ لعام ٧٦

١٥. النساء الفلسطينيات وقانون الاحوال الشخصية – اصدارات مركز المرأة للإرشاد
القانوني والاجتماعي

١٦. نصر ابو حامد – دائرة الخوف

١٧. وثيقة حقوق المرأة – صادرة عن الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية وطاقم شؤون المرأة

١٨. البرنامج السياسي والنظام الداخلي لحزب الشعب الفلسطيني

١٩. برنامج الجبهه الشعبية لتحرير فلسطين

٢٠. ورقة موقف من قضية المرأة صادرة عن الجبهه الشعبية لتحرير فلسطين عام ٢٠١٢

٢١. البرنامج العام والنظام الداخلي الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني « فدا»

٢٢. حول العلمانية – كتيب من اصدارات الجبهه الديمقراطية لتحرير فلسطين

٢٣. النظام الداخلي لإتحاد لجان العمل النسائي الفلسطيني

٢٤. غازي الصوراني – مقال بعنوان المرأة الفلسطينية ودورها في المسار الوطني والديمقراطي

٢٥. حقوق الانسان في قوانين العقوبات السارية في فلسطين – من اصدارات الهيئة المستقلة لحقوق المواطن

٢٦. آمنة الجبلاوي – مقال بعنوان قراءة في تحفظات الدول العربية على اتفاقية سيداو ، هل هي خصوصية عربية ام خصوصية ثقافية

٢٧. دراسة لـ «اسكوا» حول اشكال التمييز ضد المرأة في البلدان العربية

٢٨. روز شوملي – الزواج المبكر

٢٩. أ. ليلى احمد – مجلة جهينة العدد ٧ مقالة بعنوان التمييز الجنسي ضد المرأة بين النص الشرعي والعرف الاجتماعي

٣٠. قانون العقوبات الاردني رقم ١٦ لعام ٦٠

٣١. ميس الصالحي – بحث « وضع المرأة في قانون العقوبات الاردني رقم ١٦ لعام ٦٠»

٣٢. سامي لبيب – التاريخ عندما يُكتب ويُدون لحفنة لصوص – الحوار المتمدن

٣٣. بو علي ياسين – كتاب الثالوث المحرم

٣٤. د. احمد السايح –

http//:www.lahamag.com/pages.asp?page&١=recs&٤=articleId&١٢١٢٧=subId٣٧٤=

٣٥. د. محمد شحرور – مقال بعنوان التعددية الزوجية – نشر في مجلة روز اليوسف http//:org.shahrour/?p=١٣٦٧

٣٦. عبد الغني سلامة – نقد الشخصية العربية

٣٧. د. شرابي – مقدمات لدراسة المجتمع العرب

مراجع الباب الثامن :

com١.j-alhayat.www- سهى نزال ، منسقة مشروع التعاونيات في مركز بيسان للبحوث والانماء

٢- الجهاز الاحصائي المركزي الفلسطيني – تعداد المنشآت – ٢٠٠٧

٣- تصريح لوزير العمل الفلسطيني د. احمد مجدلاني بمناسبة يوم التعاون الدولي في تموز ٢٠١٠

com.diwanalarab.www ٤- محمد القفراوي ، ١٧ شباط ٢٠٠٧ (بتصرف)

com.j-alhayat.www ٥- الحياة الاقتصادية – ابراهيم ابو كامش

٦- المصدر السابق

com.j-alhayat.www ٧- م.ز شوكت صرصور ، احتياجات وتطوير الجمعيات التعاونية النسوية من منظور النوع الاجتماعي

٨- المؤتمر التعاوني الثاني – الدور الاقتصادي والاجتماعي للتعاونيات في فلسطين – ٢٠١٢.

http://:eg.org.ahram.digital ٩- د. جودة عبد الخالق

١٠- إيثان ميللر، اقتصاديات اخرى امر ممكن من اجل اقتصاد تعاوني وتضامني – الحوار المتمدن – عدد ٢٠٠٦/١٧٥٢

١١- تقرير عن جمعيات التوفير والتسليف من عام ٢٠٠٥-٢٠٠٨ – (بتصرف)

١٢- المصدر السابق

١٣- http://arabic.microfinancegateway.org

١٤- تقرير التنمية البشرية، برنامج دراسات التنمية في جامعة بيرزيت

١٩٩٨-١٩٩٩، ص٧٥

١٥- الدوافع الشخصية وراء العمل التطوعي بين المتوقع والواقع، المركز الفلسطيني للارشاد ، ٢٠٠٢

١٦- محمد حاج يحيى ، العمل التطوعي ومسيرة ممارسته في المجتمع الفلسطيني – دائرة الدراسات والابحاث – القدس – منشورات اتحاد الجمعيات الخيرية، ١٩٨٦

-٢٠٠٦١٧,Utah Arts Council Publication

١٨- جميل هلال وآخرون، مساهمات اولية في النقاش الدائر حول المفهوم والقياس، برنامج دراسات التنمية، ١٩٩٨

١٩- بيان مؤتمر التنمية البشرية – جامعة بيرزيت ، ص٣،٢ – ٢٠٠٤

٢٠- قانون وزارة العمل الفلسطينية

٢١- جريدة الحياة الجديدة – ملحق حياة وسوق – د. محمد نصر – العدد ٥٦ ، ٢ حزيران ٢٠١٢ ، ص٥

٢٢- د. فؤاد نهرا – ندوة «دولة الرفاهية الاجتماعية» ، الاسكندرية ، مصر ، ٢٨-٢٠٠٥/١١/٣٠

٢٣- د. محمد نصر،عميد كلية التجارة والاقتصاد – جامعة بيرزيت، جريدة الحياة الجديدة ٢٠١٢/٥/٥، العدد٥٩٢٩

٢٤- المصدر السابق

٢٥- الربيع العربي والتمكين الاقتصادي للمرأة عبر المنظمات التعاونية – محمد الفاتح عبدالوهاب العتيبي، الحوار المتمدن ، العدد ٣٦٥٧

٢٦- المصدر السابق

ملاحظة : الباب السادس الذي يناقش الجانب القانوني من إعداد الزميلة سمر الأغبر مساعدة الباحث

والباب الثامن الذي يناقش العمل التعاوني من إعداد الزميل محمد الاسمر مساعد الباحث

عندما نكون بصدد اختلال في المستوى الفكري يترافق مع غياب العقيدة الاجتماعية و ضعف الحامل الاجتماعي، فإن هذا يعني الافتقار الى استراتيجية ثورية للتحرر، و يصبح كل حديث عن تحرر المرأة لا يعدو كونه شعارات فاقدة لمضمونها التحرري. وفي غياب عقيدة اجتماعية تضيع الحدود الفاصلة مع سياسة البيروقراطية الأبوية في حقول السياسة و الاقتصاد والعمل الجماعي .

و يصبح كادر التنظيمات اليسارية عرضة للأستقطاب من قبل المنظمات غير الحكومية، و عرضة لقبول أجندات و أولويات الدعم الخارجي. عندئذ يحدث نوع من الانفصام بين شعارات و أطروحات بلون يساري من جهة و ممارسة غير يسارية من جهة أخرى، فالاقوال شيء و الافعال شيء آخر . غير أن أفدح تجليات المشكلة هو الاكتفاء باستعراض نقاط برنامجية ذات هوية يسارية لم تخضع للتطوير منذ زمن طويل، بمعزل عن خوض معارك ديمقراطية و اجتماعية على أرض الواقع، و بتجزيء عملية تحرر المراة لجهة التعامل مع المشاريع والانشطة والتمويل بمعزل عن السياسة و الاهداف و المضمون والتحرري.